إمارة الزبير

بين هجرتين

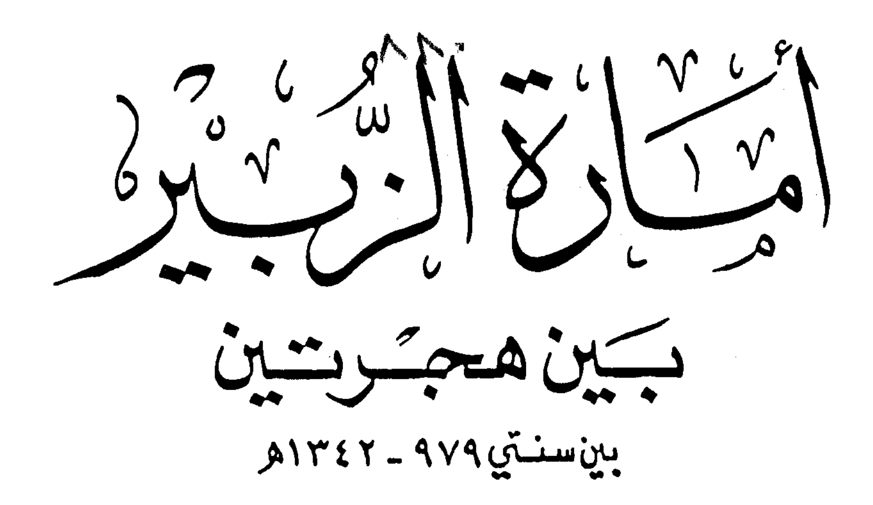
بين سنتي ٩٧٩ - ١٣٤٢هـ

الجزء الرابع

تأليف

عبدالرزاق عبدالمحسن الصانع وعبدالعزيز عمر العلي

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م



بين هجرتين

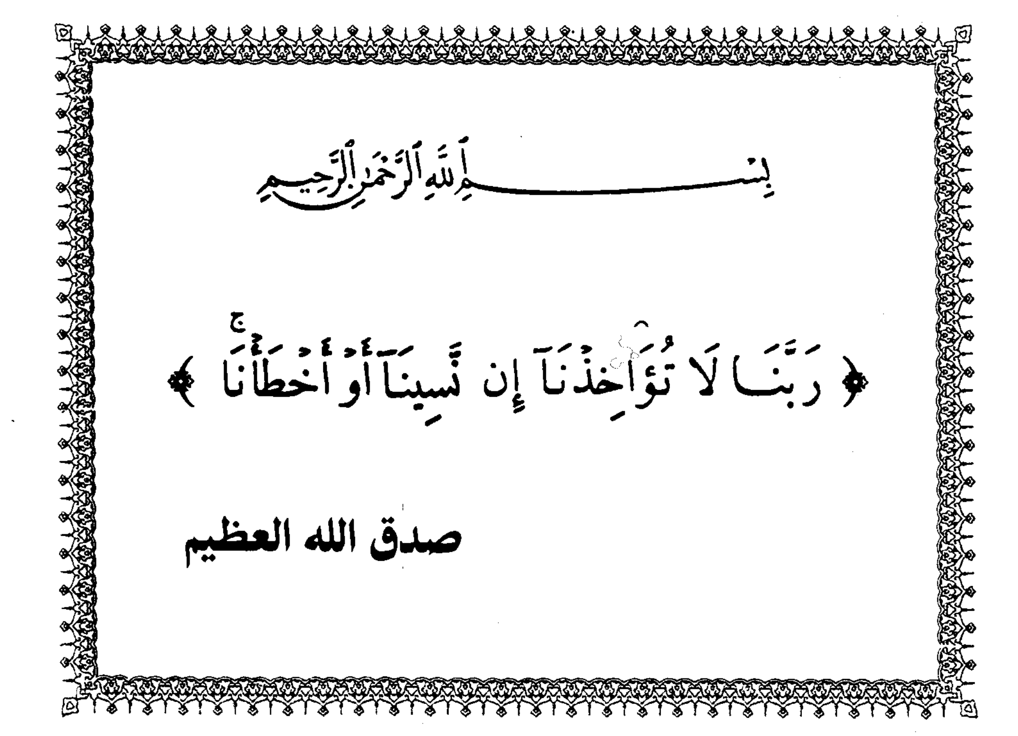
بين سنتي ٩٧٩ - ١٣٤٢هـ

الجزء الرابع

تأليف

عبد الرزاق عبد المحسن الصانع وعبد العزيز عمر العلي

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾
صدق الله العظيم

الزبير بأقلام الكتاب والمؤرخين

ـ أولا ـ

تردد اسم الزبير كمدينة تاريخية في كتابات السياح ومذكراتهم فقد ذكر نيوبور الألماني عندما جاء العراق وزار بلد الزبير عام ١١٧٩ هـ الموافق ١٧٦٥ م. ذكر أن الزبير هي البصرة القديمة في آخر مراحلها حيث قامت على مسافة تتراوح بين ميل ونصف الى ميلين[(١)].

ويضيف قائلا: وتعرضت القبب التي على أضرحة الصحابة الى الاعتداء من قبل نادر شاه ملك العجم عندما حاصر البصرة سنة ١١٥٦ هـ الموافق ١٧٤١ م. ولم يذكر نيبور أن البلدة تعرضت عند الحصار لأضرار. وذكر أن الزبير بن العوام يرقد تحت قبة كبيرة قرب جامع جميل ذي منارة واحدة.

كما أشار الى أنه منذ (ثمانية الى عشرة أعوام) سكن هذا المكان عدد غفير جاءوا من نجد حتى أصبح بالامكان تسمية الزبير بالمدينة الصغيرة وذلك لأنه شيد هناك جامع آخر[(٢)] اضافة الى الجامع المذكور.

ثم تحدث نيبور عن حفر سعده أوكرى سعده الآتي من هيت وذكر أن المياه لم تصل منذ سنوات فأصبحت الأرض المغلة بادية يتجول فيها البدو. وختم حديثه بالقول، لم أوفق في الـزبـير بالاطلاع على أية معلومات بصدد الزمن والمناسبة التي خربت فيها البصرة القديمة.

ـ ثانياً ـ

وجاء في دائرة المعارف لبطرس البستاني[(٣)]: الزبير بلدة حديثة العهد في العراق على مسـافـة ثمانية أميال من البصرة الى الجنـوب الغربي، دعيت كذلك نسبة الى الزبير

---

(١) يقصد في ذلك الميل الألماني. مشاهدات نيبور ص ٢٥. تعريب سعاد العمري.

(٢) يعني به جامع النجادة.

(٣) ج ٩ - ١٨٩٣.

الصحابي الجليل. كان موقعها محطا لمجتمع قوافل البصرة في مسيرتها الى الشام فأبتنت فيها سارية من العرب بيوتا قليلة من الآجر منذ نحو ثلاثمائة سنة. ولأسباب اقتصادية وخصومات عائلية في نجد هاجر اليها كثيرون من النجادة منهم آل زهير وآل بسام وآل ثاقب وآل فداغ وآل مشري وآل منديل وغيرهم فأقاموا بها يتعاطون التجارة فأصابوا أرباحا وافرة فعمرت البلدة وكثر سكانها وأقاموا لها سورا من الطين عرضه نحوا من ثلاثة أمتار حماية لها من قبائل البادية فصارت من ثم محطا لسابلة العرب يبلغ عدد سكانها عشرة آلاف نسمة معظم تجارتهم الخيل ترسل منها الى البصرة فإلى الهند وليس لها زراعة ذات شأن فيزرع في ضواحيها شيء يسير من الحنطة والشعير ولا يقوم بماء المطر لقلته عندهم فيسقى بماء القليب[1] وهي آبار يحفرونها لتلك الغاية. ومعظم معروشاتها الأثل وهو شجر يشبه الأرز لايستفيدون منه الا للوقود. ويعمل ذوو اليسار منهم على التملك بأرض البصرة. وهم جميعا مسلمون حنابلة مشهورون بكرم الأخلاق والذكاء واكرام الغريب الا أنهم على عظيم من التهاون تلجئهم اليها قلة الأشغال.

هواؤها جيد على أن اشتداد القيظ في فصل الصيف يبلغ الميزان بين ٥٠ ـ ٥٥ درجة مئوية فتهب فيها ريح سموم فتضنك العَيَر» في السبيل الا أن داخل البيوت رطب في الطبقات السفلى[2]. يكثر الجراد في ضاحيتها فيذهب المتسببون ويأتون به على الحمر ويبيعونه فيها ويذهبون بقسم وافر منه الى البصرة فيعرض للبيع ويأكلونه قديدا وهو محبوب عندهم، غير أن الجراد على كثرته في تلك البلاد لايضر بالأراضي ولا يتجاوز مقره في البر فيتغذى بما فيه من كلأ الطبيعة وقلما يتجاوز حدود منازله.

ولأهل الزبير ولع بقنص الغزال والأرنب وطير الحبارى يخرجون اليها بالبازي والشاهين وكلاب الصيد ولا يستعملون البنادق الا في صيد الغزلان يكمنون لها في موارد المياه في فصل الصيف.

وهذه البلدة قائمة على آثار البصرة القديمة على مقربة من أرض واقعة الجمل المشهورة في كتب العرب. وفيها مدفن الزبير ابن العوام وكان بإزائه مسجد رممته والدة المغفور له السلطان عبد العزيز فصار جامعا كبيرا. وفي ضواحي البلدة آثار ذات شأن

---

(١) العصر الذي كتب به بطرس البستاني في معارفه هذه المذكرات في أواخر القرن الثالث عشر الهجري. كان أهل الزبير يكثرون من زراعة الحنطة والشعير وكانت الأمطار وافرة وليس كما ذكر.

(٢) الطبقات السفلى ويعني بها جو السرداب.

منها النهر المعروف بنهر عمر نسبة الى صاحبه كانت تجري فيه المياه متشعبة من الفرات حتى شط العرب غربي البصرة الحالية. فتروي ماتخلل من الأرض وهي الآن مهملة لاتغل حنطة. ومنها ركن واحد للجامع المعروف بجامع سيدنا عمر نسبة الى بانيه وهو الى شرقي البلدة على مسافة ميل ونصف. وفيها مدفن طلحة الى شمال شرقيها على مسافة يسيرة. ومدفن ابن سيرين مفسر الأحلام والحسن البصري وهو مدفن متقن البناء. وكان يحكمها قبل التنظيمات شيخ تقيمه الدولة العلية من كبرائها فتولى أمرها زمنا آل ثاقب ثم انتقلت المشيخة الى آل زهير فكان الشيخ سليمان الزهير آخر شيخ حكمها. آما الآن فيعهد بأمر حكمها الى مدير يقيمه والي البصرة.

- ثالثاً -

وجاء في كتاب تحفة النصرة في أخبار البصرة[١]

قصبة الزبير هي في جهة القبلة من البصرة على مسافة ساعتين الى الراجل، وبناؤها من الحجارة والطين والجص وكل أهلها من أهل السنة والجماعة وأغلبهم طلبة علم وقسم من أهاليها أصحاب أملاك في البصرة وقسم آخر يتعيشون بزراعة البقول والباقي يسوقون الحمير ولم يؤخذ من عندهم من جميع التكاليف الميرية وأنهم لم يدخلوا التحرير[٢].

وتحتوي قصبة الزبير على خمسة عشر جامعا وسوق يحتوي على ثلاثمائة حانوت وسبع مدارس وعشرين مكتبا ومركز لمدير الناحية.

ويبلغ عدد سكانها زهاء عشرة آلاف نسمة، والقصبة محاط عليها بسور من طين وتشتمل على ألفين ومائتي دار.

---

(١) للشيخ المرحوم عبد الواحد باش أعيان العباسي ج ٢ وهو كتاب مخطوط يتكون من خمسة عشر جزءا سنة ١٣٢٩ هـ.

(٢) المقصود بها تأدية الخدمة العسكرية. والتكاليف الميرية: هي ضريبة الأملاك السنوية.

ملاحظة:

ذكر صاحب النصرة أن الفئات الاجتماعية في الزبير ينقسمون الى أربعة. أما القسم الذين نعتهم بأنهم يسوقون الحمير فإن منهم يتكون جيش الامارة ولهم رئيس يسمى شيخ الحمارة وهؤلاء هم عدة الشيخ في النائبات وهم موضع تكريم الشيخ ولطالما ذبوا عن البلدة أيام التعديات الصادرة من البادية أو من جهات البصرة. كما أنهم يعملون بنقل التمر والحنطة والشعير والمتاع سواء من البصرة أو من مزارع الزبير الى البلدة وربما الى خارجها وبهذا يجد المراقب أن أي بيت لايخلو من حمار أو حمارين أو أكثر.

رابعاً ـ

انطباعات السيد محمد الرابح عن الزبير:

بين أيدينا ورقتان كتبهما السيد الشيخ محمد بن رابح في أواسط القرن الرابع عشر الهجري للأستاذ الشاعر عبد الله محمد الشارخ وكان بصدد تأليف كتاب عن الزبير وهو نزيل البحرين آنذاك من أبناء الزبير والشيخ السيد الرابح المغربي أصلا والحجازي مولـدا قدم الى الزبير في أوائل القرن الرابع عشر الهجري وقد عاصر رجالات ذلك العصر من علماء وحكام وأدباء. ويؤسفنا أن الشاعر الشارخ لعله قد فقد ورقة مما كتبه السيد الرابح. والشارخ صديقنا لما علم بعزمنا على كتابة تاريخ الزبير أرسل لنا هاتين الورقتين رحم الله من من كتب ومن أتحف.

جاء في مستهل الورقة[1]: من المشايخ: الشيخ محمد بن عبد الجبار والشيخ عبد الله ابن حمود والشيخ صالـح المبيض والشيخ محمـد العوجان والشيخ عثمان الجامع والشيخ محمـد الغنيم والشيخ هلال القيم على مسجـد سيدنـا الزبير رضي الله عنه والشيخ ابن دايل والشيخ عبـد الله بن مهيدب ومن الـرؤساء الحاج ابراهيم الزهير والحاج عبد الله الابراهيم وخالد العون ومن الوجهاء ذوي النفوذ الحاج ابراهيم المنديل وأولاده لاسيما يوسف باشا وعبد الوهاب باشا القرطاس وعلي باشا الزهير وعبد الله المشري وأخيه حسين ومن الأدباء ملا حسن الضبيب وكل هؤلاء ومن نزل عن طبقتهم لم أستفد منهم شيئا مع كثرة الاجتماع بهم والمذاكرة معهم سنين عديدة يحسن أن أكتبه

---

(١) ص ٣.

لك مما يدخل في مطلبك والسبب في ذلك أن من كان قبل هذه الطبقة جميعها من مشايخ ورؤساء وذوي نفوذ ووجاهة لم يلتفتوا الى ذلك ولا آثروه عمن كان قبلهم ولعل لهم نوع عذر منعهم من التفرغ لمثل ذلك حيث أنه من باب الكماليات. والاشتغال بها أو القاء البال لها لايكون الا بعد استيفاء الضروريات وتحصيل الحاجيات باستتباب الأمن وتوفر نوع من الرفاهية بحيث لايكون هناك مايشوش الأفكار فضلا عن أن يقلقها فان ماذكر هو الأسـاس أو نواة الحضـارة ولا شك أن التاريخ من متعلقاتها فاذا فقدت فقدت ضرورة واذا لم تكن حضارة مستقره كان مايسمى الوحشية أو مافي حكمها والشأن فيها الجهل والعماية[1] إلا مايعتد به العقلاء. وعلى اختلاف أسباب الهجرة الى الزبير من نجد فقد كانت الزبير أوفر حظا من سواها، وفيهم علماء ورؤساء ووجهاء وقد علمت من الحالة العامة في العراق كله من الاضطراب والفتن وسلب الأمن والراحة لاسيما البصرة التي الزبير من ملحقاتها فانها كانت خرابا يبابا والوحشية ضاربة فيها أطنابا إذن فالعذر واضح لجميع من ذكرنا ومعلوم أن فاقد الشيء لايعطيه.

نعم وقفت على أثرين يحسن كثيرا ادخالهما في تاريخ الوطن أحدهما ماذكره العلامة البستاني في دائرة معارفه وأغلب ظني أنه في حرف الزاي وهو قد خبر الزبير بنفسه حيث كان ضيفا في البصرة عند آل الزهير يعلم أولادهم وذكر حالة أهل الزبير الاجتماعية وأثنى عليهم وعلى أخلاقهم ثناء عطرا وقفت عليه في مكة المشرفة عند أحد أصدقائي الأجلاء وهو السيد محمد بن عثمان نائب الحرم الشريف سنة ١٣١٦ هـ ولعلها توجد عندكم في المكتبة[2] أو عند أحد الأفاضل والأثر الثاني وقفت عليه في مختصر تاريخ ابن سند ذكر فيه أن أهل الزبير كانوا أقوى سببا في كسر أسطول سلطان مسقط وقد كانت البحرين تحت حكمه آنذاك فأرسل أسطولا عظيما منها لأخذ البصرة فجاء أهل الزبير من جهة البر ليقطعوا عليه خط الرجعة وتحصنوا بالنخيل فانكسر وكفى الله البصرة معرة الجيش وقد كنت رأيت هذا الكتاب في البصرة. هذا غاية ماعندي قد كشفت لكم حقيقته وإن كانت لاتسمن ولا تغني من جوع ولكن أسأل الله تعالى الذي ألهمك ذلك وسخرك له أن يساعدك عليه ويبلغك أملك فيه فإنه هو وحده المستعان واعلم أيها الولد

---

(١) يشير بذلك الى ماكتبه ابن خلدون في مقدمته عن تصوير الحياة حين تنتقل من البداوة الى الحضارة في المجتمعات البدوية المتحضرة.

(٢) يشير الى مكتبة الزبير الأهلية.

الأديب أنه لم يسبق لي أن أجبت أحدا الا بالاجمال الضروري الذي لابد منه. وإن أكثر أوقاتي أقضيها في مسجدي أعني مسجد مزعل باشا السعدون الذي أنا قيّمه واختصصت به كمدرسة أدرس فيه. نعم من قصدني الى شيء قمت بالواجب أو المندوب حسب مقتضى الحال الا أن مودتي للمرحوم والدك ولحن خطابك دعتني الى الكتابة بخالص مودتي مجازاة لمودتك لي علي ظهر غيب والله يحمينا وإياك عن موجبات كل عيب فإنه المتفضل الكريم والهادي لمن يشاء الى الصراط المستقيم، وبلغ أخاك الأكبر مني السلام ودمتم سالمين والسلام.

ـ خامساً ـ

كذلك بين أيدينا ورقات كان قد كتبها المرحوم أحمد حمد بن صالح ليكون منها نواة لتاريخ الزبير ثم إنه مرض ولم يمكنه من مواصلة العمل في هذا التاريخ فأودعها لنا قائلا: أرجو أن تكملوا بها ما استطعتم فقد شغلني المرض.

ونحن إيفاء بالعهد للمرحوم أحمد ومن قبله ممن قاموا بالعهد لهذا التاريخ وهم كثيرون تنادوا وكتبوا قليلا أو كثيرا. فنرجو ونحن على هذا الطريق أن نكمل المسيرة ويخرج الكتاب الى النور وتقر العيون بما كتب الكاتبون فيقرأ الأبناء ماسجله آباؤهم [*] وكان قد قدم لنا هذه النبذة سنة ١٩٥١م.

وكان المرحوم أحمد الصالح قد كتب تسع صفحات ضمنها تاريخ البلدة من بعض النواحي تكلم في الصفحات الأربع الأولى لوامع من حيث الهجرة والاستيطان وتحدث عن المدارس الحديثة وأطرى أولاد الزبير بكونهم يمتلكون صفاء في الذهنية واستعدادا طبيعيا لتلقي العلوم ثم خلص الى القول بأن «الحركة الأدبية لابأس بها في الزبير أما حملة العلم الديني في الزبير فهم الى حد ما قلة وقد يصح أن يقال إن علماء الزبير قد انقرضوا تقريبا[١] وقد كان فيها شخصيات لامعة كالأستاذ الشنقيطي والشيخ محمد العوجان والشيخ محمد الدايل والشيخ سليمان الغنام وقد كان هذا شاعرا بليغا ومؤرخا

---

(١) كتب المرحوم أحمد الصالح هذه النبذة سنة ١٩٤١م ثم توفى في أوائل الستينات.

(*) نعم فلتقر عيون من كتب ومن دعا الى ذلك بعون من الله ثم بفضل الشاب الغيور عبد العزيز السعود البابطين الذي حنا على المشروع جملة وتفصيلا وأقسم أن ينفق عليه حتى يخرج الى النور باذن الله عافاه الله وأكرمه.

ممتازا. ومنهم الشيخ عثمان الجامع وله مؤلفات كثيرة والشيخ محمد بن صعب وله مؤلفات والشيخ محمد بن سلوم وولده الشيخ عبد الرزاق ولهما مؤلفات قيمة والشيخ ابراهيم بن جديد الذي كان له الفضل في زيادة سور الزبير ليحميها من هجمات البادية آنذاك وقد استحصل على مدفع لهذا السور من داود باشا والى بغداد. ومنهم الشيخ أحمد بن عبيد الله شارح كتاب البيان والتبيين للجاحظ والشيخ عثمان بن سند وابن أخيه علي. وقد بلغت الحركة العلمية في الزبير حدا لايتصوره الانسان عندما يرى الزبير الآن بحيث بلغ عدد الذين بهم كفاية للتدريس ستمائة رجل وقد أحصى يوسف بن يحيى الزهير المحسن الكبير والمتوفي سنة ١٢٤٥ هـ عدد حفاظ القرآن فبلغوا ألفا وسبعمائة رجل ومائتين وتسعين امرأة وحفاظ متون الفقه واللغة خمسمائة رجل وتسعين امرأة ومن شهيرات العالمات من النساء فاطمة الفضيلية الفقيهة المحدثة واللغوية البارعة التي رويت لها مناقشات بقلمها انتقدت فيها أبا سعيد الأخفش النحوي الشهير ولها تعاليق على شروح المنتهى والاقناع وحواشي الشيخ منصور في الفقه الحنبلي وكانت تدرس الرجال والنساء داخل خيمة ضربتها في صحن بيتها والرجال خارجها وكانت محجبة داخل الخيمة مع النساء. ومن تلميذاتها عائشة بنت راشد ولها على شرح النووي لصحيح الامام مسلم وترجمتها مذكورة في ذيل طبقات العليمي. ومنهن شريفة الوطبان وكانت متخصصة في الأدب العربي وتحفظ ديوان المتنبي ولها ديوان لطيف معظمه في الزهد والتربية. ومنهن شاهة بنت سليمان الفواز ولها شرح على كتاب الأربعين[1] ومنهن أيضا الأديبة فاطمة البسام مؤسسة مسجد سوق الجت وغيرهن كثيرات.

واشتهر كثير من الأدباء والشعراء في الزبير منهم الشاعر محمد بن لعبون وكان يقول الشعر النبطي الراقي أيضاً ومنهم الشاعر عبد الله بن ربيعة والشيخ عبد الله بن جميعان وابراهيم الغملاس والشيخ صالح المبيض، وكانت المدرسة المسماه مدرسة الدويحس[2] ذات شأن يذكر وقد اسستها المحسنة حصه العقيل سنة ١٢٠٣هـ ولها أوقاف كثيرة وحالتها الآن مؤسفة بالرغم من أوقافها هذه وهي بيد دائرة الأوقاف الآن.[3]

---

(١) كتاب الأربعين للإمام النووي جمع فيه أربعين حديثاً للرسول ﷺ وكانت هي جماع الفقه والحكم والتشريع وكثر شراحها خلال بضعة قرون.

(٢) المشهور أن مؤسس مدرسة الدويحس هو المحسن دويحس الشماس من آل الشماس الأسرة الزبيرية المعروفة سنة ١١٨٨هـ.

(٣) ليس لها وجود الآن.

وفي الزبير في الوقت الحاضر نخبة من الأدباء لا يحبون الظهور ولهم ولع وتتبع خاص لسير الحركة الأدبية الحاضرة وإقتناء الكتب النفيسة منهم الوجيه الشيخ عذبي آل الصباح والحاج عبد الحميد الصانع وأخيه عبد القادر والحاج ابراهيم المطلق والسيد أحمد العبد العزيز البسام والحاج محمد العقيل والسيد عبد العزيز حمد الصالح والسيد عبد العزيز عثمان المطير والسيد أحمد حمد الصالح والأستاذ الشاعر مقبل يوسف الرماح والشاعر عبد الله المحمد الشارخ والأستاذ يوسف الشرهان والسيد عبد الرحمن ابراهيم البسام والسيد عبد الرزاق بن أحمد الحمود.

ومن أبناء الزبير كثيرون في سلك التعليم كما منهم الضباط والموظفون في كثير من الوظائف الحكومية وغيرها.

ومن أشهر شعراء الشعر العامي الآن سالم الحميد وعياف العياف، وقد بلغ الأول العقد التاسع من عمره ولا زال قوياً نشيطاً جداً يتحف المجالس بشعره ونكاته.

المواقـع التاريخيـــة:

في الزبير كثير من المواقع التاريخية أهمها ضريح سيدنا الزبير (رضي الله عنه) وضريح أنس بن مالك وضريح طلحة الخير (رضي الله عنه) وعتبة بن غزوان والحسن البصري وابن سيرين.

ومن معمري الزبير الحاليين حمد اللافي ويبلغ حوالي (١٢٥) عاماً حسب قوله استناداً الى ما يذكره من وقائع. وناصر الحسينان ويبلغ حوالي المائة عام وابن محارب وهو في العقد العاشر ولا زال شعره أسود فاحماً.

المؤسسـات الرسميـة في الزبيـر:

في الزبير عدا المدارس الرسمية ومديرية الناحية، مركز للشرطة ومستوصف ودائرة جمرك ومخفر لجوازات السفر كما فيها بلدية من الدرجة الثالثة وقد الغيت أخيراً وألحقت بالناحية.

المشاريـع الآخــرى:

وقد توفق الزبيريون بعطف الحكومة فمدت اليهم أنابيب ماء شط العرب وتخلصوا من مياه الآبار القذرة، وكان ذلك في أواسط سنة ١٩٣٦م.

وهناك مشروع الكهرباء حيث تبذل الهمة لتحقيق الحركة العمرانية ـ تلاحظ حركة عمرانية طيبة في الزبير وقد كان لتأسيس محطة للقطار في الزبير أثر في ذلك إذ أصبح القطار يمر بقرب الزبير في الآونة الأخيرة ويؤمل للزبير مستقبل عمراني باهر.

مكتبة الزبير الأهلية:

وأهم ما يسترعي النظر وجود مكتبة فخمة في الزبير قائمة على أطلال سوق المربد الأدبية وتديرها الآن هيئة ادارية مؤلفة من الذوات التالية أسماؤهم:

السيد عبد العزيز العثمان المطير	رئيساً
السيد أحمد حمد آل صالح	سكرتيراً ومحاسباً
الحاج سعد الأحمد الربيعه	أميناً للصندوق
السيد ناصر المطير	عضواً
السيد ناصر المجموعي	عضواً
السيد عبد العزيز عمر العلي	عضواً
السيد عبد الرزاق الصانع	عضواً

وهم يبذلون الهمة لكل ما يعود للمكتبة بالخير.

أشهـــر العائــلات:

ومن أشهر عائلات الزبير القديمة والحديثة:

آل المنديل وآل البسام (وآل صالح وهم عائلة الحاج حمد آل صالح وعائلة الحاج ناصر آل صالح وعائلة عثمان آل مطير) وآل العسافي وآل زهير وآل الفداغ وآل عصيمي وآل قرطاس وآل مشري وآل الذكير وعائلة الحاج سعود الصالح وآل فليج وآل الشعيبي وآل عقيل وآل ابراهيم وآل سند (وآل الصباح وقد نزحوا اليها من الكويت إثر أحداث مؤسفة).
وآل راشد وآل صانع وآل عنيزي وآل ربيعه وغيرهم.

ومن علماء الزبير في الوقت الحاضر الشيخ البصير محمد العبد الرحمن السند وقد اشتهر بذكائه وشدة حفظه والشيخ محمد العسافي والشيخ عبد المحسن البابطين والشيخ محمود المجموعي والشيخ عبد الرزاق الدايل والأستاذ الشيخ ناصر الأحمد انتهى حديث أحمد آل صالح في رسالته رحمه الله .

من حديث للنبهاني

الشيخ محمد النبهاني أحد العلماء المعدودين في أوائل القرن الهجري الماضي زار الزبير سنة ١٣٤٠هـ في عهد مشيخة ابراهيم العبد الله الراشد وزار مسجد الزبير وكشف عن القطعة المرمرية الملصقة على ضريح الزبير بن العوام ونقل لنا محتوياتها ولم يشر اليها أحد قبله وكنا قد أشرنا الى محتوياتها في مقدمة الجزء الأول وذكر أن الشيخ ابراهيم العبد الله الراشد بعد أن أقر على شيخه الزبير بعد أنتهاء الحرب العظمى أن أذن لليهود بسكن بلدة الزبير فأشتروا لهم بها داراً فحنق عموم الأهالي وهم مصممون على أزاحتهم اذا سنحت الفرصة لأن بلدة الزبير مقدسة ما حوت كتابياً ولا مجوسياً منذ أربعة عشرة قرناً.

وفي عهد تأليف (التحفة)[1] يقول النبهاني رأيت الزبير وهي تحتوي على ١٦ مسجداً وستة جوامع وعشرين مكتباً أهلياً للصبيان ومكتباً واحداً من قبل المعارف، وغربي الزبير على مسافة ثلاثين دقيقة موضع يقال له (أم شداد) وقد عمر ذلك الموضع بعد الإحتلال يمكث فيه الجنود البريطانيون وقد بنت لهم الحكومة البريطانية بركتين عظيمتين مكشوفتي الوجه يأتيهما الماء من شط العرب بواسطة مضخة بخارية.

وبنت لبعض الباعة ولضباط الجنود حجراً وأسواقاً فأصبحت قرية ذات شأن، وقد ذهبت اليها سنة ١٣٣٩هـ فرأيتها ذات منظر عجيب وأسواق وحجر وحوانيت.

سادساً: الزبير في معجم (منجم العمران)[2]

جاء في الجزء العاشر ص٢٢٧ من هذا المعجم في الحديث عن الزبير ما يلي:
الزبير مدينة عراقية حديثة العهد على مسافة ثمانية أميال من البصرة الى الجنوب

(١) التحفة النبهانية للشيخ محمد النبهاني في عشرة أجزاء تناول فيها تاريخ وشئون البلاد العربية منذ نشأتها الأولى وحتى عهد المؤلف وتاريخ التحفة سنة ١٣٤٠هـ.

(٢) هذا الكتاب جاء تعقيباً على كتاب «معجم البلدان» لياقوت الحموي، والمنجم هو من مؤلفات القرن الرابع عشر الهجري لصاحبة محمد أمين بن عبد العزيز الخانجي (١٢٨٢هـ - ١٣٥٨هـ) الموافق (١٨٦٥م - ١٩٣٩م).

الغربي، كان موقعها محطاً لمجتمع قوافل البصرة في طريقها الى الشام. ومنذ نحو ثلاثمائة سنة بنت فيها سارية من العرب بيوتاً قليلة وفي أيام ظهور الوهابيين في نجد هاجر اليها الكثير وأقاموا بها يتعاطون التجارة فعمرت البلدة وأقيم لها سور وكثر سكانها حتى بلغ ستة عشر الف نسمة معظم تجارتها الخيل وليس بها زراعة تذكر لقلة أمطارها وأهلها مسلمون على المذهب الحنبلي ومعروفون بالذكاء والكرم ومكارم الأخلاق، هواؤها جيد لكنه شديد الحر في الصيف. ويكثر الجراد في ضواحيها وهو لأهاليها غذاء وتجارة يتاجرون به جهة البصرة، وهو من كثرته في أراضيهم لا يضرها بل يبقى في الأراضي الكلئية.

ولأهلها ولع شديد بالصيد خصوصاً الغزلان والأرانب وصيد الحباري، وهذه المدينة قائمة على آثار البصرة القديمة قرب أراضي وقعة الجمل الشهيرة وبها مدفن الزبير بن العوام (رضي الله عنه) وكان به مسجد صغير رممته والدة السلطان عبد العزيز فصار جامعاً كبيراً وفي ضواحي هذه المدينة عدة آثار قديمة منها قبر طلحة الخير وقبر ابن سيرين مفسر الأحلام الشهير والحسن البصري وكان حاكمها سابقاً شيخ من كبرائها تعينه الدولة العلية ثم صارت مديرية تحت حكم مدير يعينه والي البصرة.

تعقيب تاريخي:

في كثير من المصادر التي يتقارب تاريخها من حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية من يعبر عن الحركة (بالوهابية) مبطنة بسمة لا تتفق والحقيقة الناصعة فإن الكتاب والمؤرخين في أيامها قد ناصبوها العداء فهم إما فرنجة وهم بطبيعة الحال أعداء للدين الإسلامي وإمّا أن يكونوا من العثمانيين الذين نكبوا في حكمهم وإمّا أن يكونوا مشايعين لهؤلاء وأولئك.

ولو عدنا الى المنصفين من الكتاب لحكموا لهذه الحركة الإصلاحية بالإيجابية وأنها كانت حركة توحيدية منطقية حاربت البدع والشهوات وردت للإسلام وجاهته بعد ظلام كاد يطمس وجه الإسلام. ولذلك فلا غرو أن نجد سمة (الوهابية) تطفى في المؤلفات الأولى في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين.

سابعـــاً :

بيدنا رسالة من صديق قديم كان يهتم مثلنا بأن يكون للزبير تاريخ، كنّا نستقر بمدينة الزبير في الأربعينات وحتى السبعينات من هذا القرن ثم نآى في البلدان وطوّف في كثير من البلدان العربية والإسلامية وعلمت أنه أينما حلّ كانت تراوده فكرة تدوين رسـالـة عن مسقط الـرأس «الـزبـير» ثم استقـر في الكويت في الستينات الى أوائل السبعينات وكان عندها قد بدأنا نضع مواد هذا التاريخ ثم كان على اتصال بين الفينة والفينـة وفي أوائـل السبعينـات أصيب بالشلل وعلمنا أنه لم ينقطع والبحث في هذا التـاريخ يتسقط أخبارها في الكتب والمصادر المطبوع منها والمخطوط ولم نلتق لمشاغل حالت بيننا وبينه ولم تبل أواصر المودة والوفاء لهذا التاريخ ثم فاجأتنا رسائله وإذا هي تتـابع بالرغم من مشاغل المرض منه يستحثنا بالمبادرة والتعجيل بالكتابة. ووفاء منا بالعهد له وللتاريخ الذي ندونه أن نقر عينه وهو في دار الخلود أن نشركه بالكتابة عن هذا التاريخ الذي يعتصر قلبه كلما جلس أمام القلم والورق، تضمن هذا التاريخ برسالة من رسائله الكثيرة التي كان يقول فيها إن القلم تعجز عنه يدى ولكني أصر على الكتابة وأفرغ ما في جعبتي بما أملك من عصارة الذهن والفكر قبل أن أفارق الحياة.

الى حضرة الأخوين العزيزين أبو قتيبة وأبو نزار* المحترمين

السـلام عليكـم ورحمـة الله وبركاته[1]

بعد وصول رسالتك التى ذكرت فيها استلامك المخطوطة لم استلم منك أي رسالة.

المانع خير[2] أرجو أن تعطيني لمحة عن وجهة نظرك بها كمصدر تاريخي والمهم بها علاج ضبط التـواريخ من مصادرها لأنه ليست بها كل تواريخ السنين، وإنّ الصبر والجلد في البحث قد يعطي نتائج باهرة. لقد اتضحت لي بعض النتائج من مقارنة التواريخ. . منهـا:

---

* كان تاريخ هذه الرسالة في ٢٣/٧/١٩٧٣م من الكويت الى الزبير.

(١) كان يوجه أكثر الرسائل باسم أحد المؤلفين. ونعتذر له رحمه الله في هذا وإن كان في الأحيان الأخرى يوجهها للمؤلفين.

(٢) لا ننكر أن الأستاذ المرحوم ضاعن السمدان صاحب هذه الرسالة قد ارسل لنا وهو في الكويت مخطوطة تاريخية كانت من أغنى المصادر لهذا التاريخ هي تمائم الدرر في تاريخ الساده العزر.

انجاز ما بدأت به من عهد قديم لا بد أن يكون من الروعة بمكان وإنني متلهف للإطلاع على بعض ما انجزته لحد الآن فارجو أن تبّر بوعدك وترسل لي ما كتبت عن طريق «المفوز» لأنه ربما تكون بعض ملاحظات يمكن ادراجها قبل التدوين والطبع ذات قيمة أو مفتاح لحقائق منسية يمكن تلافيها قبل فوات الأوان لتفيد القارىء والمؤلف ـ أخي أبا نزار. . أخي أبا قتيبة. . إنني مهتم للغاية بتاريخ الزبير لأنه يشرف خاصة إذا بحث بأسلوب علمي إجتماعي حتى ولو لم نحصل على بعض التواريخ المهمة لأنه بمثل هذه المنطقة يحصل تعقيد لتداخل وتنوع الظرف الزماني والمكاني على سلوك ومنطلقات هذا العصر المضطرب كثيراً، كقدوم الجيوش التركية بمرات متعددة والتي حصل بها تخريب أملاك وممتلكات وهدم بيوت وتقطيع نخيل وتشريد عربان مستقرين بحجة اضطراب الأمن لا بل وإبادة جماعية لإنسان هذه المنطقة بالذات خصوصاً في عهد تأسيس الزبير وما بعده بكثير وما قبله بقليل كهدم القصر والبيوت وحرق المسجد في جويبده وعلى يد أحد حكام البصرة (علي باشا بن فراسياب) سنة ١٠٣٧هـ لقد ذاق الويل آل العليان والمنتفك وأهل البصرة الحديثة. والويل من جيوش الأتراك والفرس وكذلك من بعضهم ضد البعض حتى غدا انسان ذلك الوقت انساناً مشرداً بائساً زاهداً في الحياة ونعيمها إذ لا نعيم بدون استقرار لأن هذا المجتمع عاش أجيالاً زاهداً مما مهد لإنتشار الصوفية بين أفراده، لأنه حتى في الخريبة (البصرة القديمة) يوجد سكان لا يستهان بهم كما يجتمع وقت الذكر في المنطقة حوالي الألف رجل كما هو مدون في المخطوطة[1] ومن استقرائنا لتلك الحقيقة من الزمن ندرك إن المكان فيها أخذ يمتلىء بالرواد ناشدي الإستقرار.

إن ما ذهب اليه الشيخ عبد القادر في كتابه عن الزبير[2] وتاريخ تأسيسها لا بجانب الصواب لأسباب عديدة سوف ادرجها بهذه الرسالة وللمقارنة سوف اعطي وجهة نظري عن تأسيس الرطبة والنخيب لأنني شاهد عيان لهذه المدن الصحراوية فأرجو ان تسمحوا لي بالإطالة لبلورة الفكرة عن طريق ظاهرها ولنبدأ الآن بتأسيس مدينة الزبير وقبل أن نبدأ أود أن أطرح وجهة نظري لا بد من ملاحظتها وهي بأي عهد من الحكام تأسست

---

(١) تمائم الدرر في ذكر السادات الغرر مخطوط في مكتبة باشي أعيان ونسخة أخرى قدمها لنا المرحوم ظاعن السمدان والد الدكتور أحمد السمدان وقد استقينا منها معلومات نافعة ثم رددناها عليه مع المفوز رحمه الله تعالى.

(٢) المقصود عبد القادر باش أعيان البصرة في أدوارها التاريخية.

الزبير. وما هي الروابط الإنسانية التي تمت بصلة وهذه الروابط. هل هي قبلية؟ أم عقائدية؟ أم تجارية؟ إن تاريخ حكام المنطقة ينبئنا أنه منذ مطلع القرن السابع سادت في المنطقة لكل ـ قبيلة ينتمي لهؤلاء الحكام أصولها في نجران ثم تحولت الى الحجاز وانتمى لها كثير من البيوت الحجازية ثم تسربت الى نجد وانحدرت الى الأحساء أو ما بين نجد والأحساء ثم فرجت منها بيوت منهم المانع حكام البصرة، منذ بداية القرن السابع الهجري وحكمت بادىء ذي بدء قبيلة المنتفك ثم البصرة بالتبعية. إن هذا البيت أقرّ له بالسيادة، وبعهد أحد الحكام منهم تأسست الزبير. أي لا بعهد السعدون كما هو متعارف عليه لأنه لم يكن هناك السعدون.

إذن هذا البيت ليس عراقياً في الأصل أتى من نجد ومن الصمان بالذات ووادي المياه (الصرار). لقد وجدنا قسماً من الترابط العضوي في المنطقة ساهم في سيادة العصر النجدي في الزبير.

تأسيس مدينة الزبير:

والحديث متصل:

لم نحصل على معلومات أكيدة عن تاريخ تلك السنة التي تأسست فيها مدينة الزبير ولكن هناك شواهد عديدة على ظروف تأسيسها كمحاولة لمّ شعث سكان المنطقة من حضر أقرب للبداوة وبدو أقرب للحضارة وعلى رأسهم النجديون سكان مدينة البصيرة التي تحول اسمها الى البصرة بعد خراب البصرة عام ٧٠١هـ وذلك لتوفر الظروف الإجتماعية والإقتصادية والهادفة باصرار بحكم الحاجة للإستقرار والإطمئنان أنه جو تشوبه مظاهر الخوف والتحفز. ولكن هناك البرواسع (والبر بريره ثم لا يدوم للطلائب إلا أهلها) هذه الكلمات دارجة لا يستغني الباحث عنها خصوصاً من قرأ علم الإجتماع والانثربيلوجيا لأن مثل هذه التعبيرات تعطي المعنى المقصود والغاية مدى أوسع لسبرغور الدوافع السلوكية للمجتمع فالجماعة هؤلاء رغم حاجتهم للإستقرار تتنازعهم عدة طموحات سلوكية منها ما يؤثر جماعياً ومنها ما يؤثر بسلوك الأفراد ومنها ما هو وقتي يتلاشى شيئاً بعد شيىء.

المهم تكونت الحاجة الى الاستقرار وبصورة ملحة سواء بدافع اقتصادي أم بدافع إجتماعي فعن طريق البصرة الحديثة المدينة الأم طريق سكانها من نجديين وغيرهم كأصحاب مصلحة بذلك ومن البدو المنتمين موسمياً أو كلياً، وممن يحيط بها تكونت نواة القرية التي سوف تكون ليست هي الجو الملائم لسكان الخريبة المشتتين بين بقايا قصور البصرة القديمة وبعض حوط الموتى فيما يحيط بالزبير والحسن البصري لأن بعض نماذج هذا السياج المبني لم تزل بقاياه ماثلة منها سياج أو حوطه لبيت الرديني قرب مسجد الزبير في أقصى التكية.[١]

هذه بعض الشواهد للإستدلال فقط، إنما القصد أن أقول أن هناك حوطاً أسست أصلاً لتكون قبوراً للموتى ولكونها أماكن ذارية عن الرياح الباردة أو المغبرة يفضل صاحب العشة (الصريفة أو بيت الشعر) السكن فيها بدون أن يكلف نفسه مشقة البناء وحاجته يمكن أن تكون مؤقتة خصوصاً والمنطقة يشوبها الخوف ولا يستبعد أن تكون هناك قصور كقصور جويبده العتيد وكقصر على ضفاف الخليج الذي انهزم عن طريقه[٢] حسين باشا بن علي باش فراسياب ثم هناك ولا بد قصور لأجل الربيع لأن ربيع المنطقة يغري من عندهم سعة في الرزق للسكن مؤقتاً ولأجل القنص فيما يجاوره. إن سعة الرزق رغم كل الأحداث مشهورة بأهل البصرة ولا نستبعد أن النجديين أصلاً كالزهير والفداغ وسواهم يفضلون (الكشتة)[٣] والقنص.

هذا شيء لا بد للمعقب أن يلم به لأنه واقع تلك المنطقة في هذه الحقبة من الزمن.

والشيء المهم كثيراً هو أنه لا بد أن يحدث بالنسبة للظروف توافق تفكير أو توافق يخدم المصلحة العامة أو الخاصة معاً. أي أن هناك تلاؤماً لمتطلبات الظروف والحاجات الملحة نتج عنه بالضرورة اتفاق كلمة بين السنيين ككل أي بما فيهم النجديون المتواجدون في البصرة وأطرافها ومن ذلك أصولهم نجدية ولهم السيادة في المدينة والصحراء وعزوا عن قصد وبدون قصد وجهات النظر الملائمة لهم لدعوة الشيخ مانع

---

(١) في المناسبة أن جد عائلة الرديني الأول الذي أتى من الإحساء دفن قرب مسجد الكواز ولكن ذريته هم الذين بنوا الحوطة لموتاهم.

(٢) هو القصر المسمىء «كشك البصري».

(٣) تعبير زبيري وتعني الخروج الى البر للنزهة.

وهو من سلالة الشيخ راشد المذكور عندكم الآن في المخطوطة عاش في عهد الشيخ جبـارة بين ريّان وهو الذي سلم مفاتيح البصرة عن طريق ولده محمد الى السلطان العثماني سنة ٩٤٥هـ. ومانع هذا هو الذي بينه وبين منتفك واسط ثارات قديمة والذي له نفوذ على صحراء الزبير كقسم واسع من المنتفك لأن أجداده هم أصحاب جويبده والعرجاء وحكام البصرة القدماء، بهذا العهد اتفقت الكلمة على دعوته أميراً للبصرة لأنهم بعد أن نصبوه أرسلوا وفداً للسلطان لأخذ الفرسان له وقد كان واستماله السلطان وأيده وأنعم عليه هذا الحاكم أو الأمير كان محبوباً ومتبوعاً ويمكن أن يمهد للإستقرار خصوصاً من جهة الصحراء ومن سلالة هذا الشيخ زامل المناع المعاصر لنا والذي يحب الزبير وأهلها حباً قلبياً حتى أنه أوصى بدفنه فيها وقد كان.

وهذا النائب من أعز أصدقائنا ويأتي عندنا كضيف واعرفه، وفي الكويت ارسل لنا قبل وفاته بسنين رسالة يطلب حضور أحدنا للتسوية أنه وكما هو مؤرخ لا ينتمي أصلاً للقبيلة ذاتها في نجد التي مساكنها الصمان بين الرياض والأحساء إن أجداده هم أقرب العرب الى أهل الزبير. إذن مانع هذا الذي بعهده وجدت الزبير أو بعهد مقامس الذي ورد ذكره مع النجديين لبناء قلعة على نهر عنتر كما ورد في عدة تواريخ، هو أقرب وأحب الناس لأهل الزبير لا السعدون كما هو متوارد على الأفواه لأن السعدون ظهروا أخيراً ولولايتهم قصة معروفة:

إن مانعاً هذا سبق وأن اتفق مع العليان أهل الجزائر سنة ١١٠٦هـ وغزا البصرة لإسترجاع أملاكهم من الأتراك الذين صادروها ولم يقدروا حتى على حفظ البلاد من الأتراك الذين صادروها ولم يقدروا حتى على حفظ البلاد بالرعاية والحماية لأنهم بدور ضعفٍ فكان ما كان أن أحبه أهل البصرة والنجديون وحصلوا له الفرمان المذكور ولكن في سنة ١١٠٩هـ تسلط عليه حاكم الحويزه فرج الله خان وبالحيلة والخدعة أخذ منه السلطة منذ سنة ١١١١هـ الى سنة ١١١٤هـ وكان حاكم الحويزة يدين بالولاء لحكام الفرس لذلك تسرب الحكم صراحة للفرس فجزع كل السنيينَّ في البصرة وما حولها بما فيهم مانع وعشائره وتوحدت الجبهة المعارضة للفرس ومن معهم من العرب الشيعة فكانت صريحة دخلها البصريون والنجديون والأتراك ومانع فانهزم الفرس بزعامة داود خان دون قتال الى عبدان والمحمرة ومنذ عهد المصلح عبد الرحمن باشا نمت جذوره

بحب العدالة ولكن العدالة هذه لا بد أن ترافقها القوة.

إن وجود النجديين في البصرة أصبح قوة تسد فراغ ضعف الولاة في البصرة. والعهد عهد عشائر ومصالح خاصة وأطماع المتسلمين.

وهنا يورد لنا التاريخ[1] اتفاق النجديين مع الشيخ مغامس بن مانع لبناء قلعة على نهر عنتر سنة ١١٢١هـ وقد اتى هنا ذكر النجديين كقوة فعالة لهم دالة على أهل البصرة وأطرافها اذن لا بد مما ليس منه بد قرية أو مدينة خاصة لتحفظ عندهم بعض السمات المتميزة بعض الشيء لكبح الطموحات بالتزاوج لا خشية على العروبة وما داخل الأجناس من عجمه فحسب بل حتى بدافع مذهبي والسنة ملء الصحراء ونجد إذا تعذر الحصول على الزوجات من البيئة ورغم ما يخفيه الزمن من مفاجآت حدث تأسيس الزبير للإستقرار وليجلوا عوائلهم من نجد والبصرة وأطرافها وهذا هو الوقت لظهور بلد بأي صورة من الصور لذلك لا نستبعد سنة ١١١٨هـ أو سنة ١١٣٠هـ كما دونها الشيخ عبد القادر باش أعيان أن مستوطني الزبير لم يجدوا المنطقة فارغة وكما هو متوارد أن الخريبة والموارد والحوط والقصور بها أناس ولكن ليس عندهم سمة الإستقرار ومن الصور المعقولة البعد عن خبث الهواء في البصرة أو لأجل الصبغة المذهبية المحدودة كالسلفى أمّا العجمي فهو الذي يراد البعد عنه كثيراً كعصبية صريحة أما السلفى فجوهر الخلاف الذي لم تتضح معالمه إلا أخيراً ولكن بذلك العهد كانت نجد كالبصرة في وجود المزارات والتقاليد كما ينبؤنا مؤرخو عهد المصلح الكبير الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي كان يدرس في المجموعة عند الشيخ محمد سنة ١١٣٨هـ وحين خروجه منها خائفاً عطشان ولولا أن أنقذه الحميدان وأركبه على دابة من دوابه التي تنقل الحمولة من أرز وغيره عليها لهلك.

إن سكان المنطقة أصلاً كانوا فقراء بؤساء كما ورد في المخطوطة ويجمعهم الذكر في حلقاته وكما ترى الآن بعصرنا الحاضر كيف هاجرنا عنها لما ضاقت حلقات الرزق بها

---

(١) كما ورد في (تقويم الفرج بعد الشدة) ان مغامس بن مانع سنة ١١١٧هـ سمح للهولنديين ببناء كنيسة ومنزل للأب يوحنا ورسو للسفن في شط العرب.

وكيف أصبحنا أقلية بالنسبة لغيرنا ولولا وجود المنتفك في ديم خزام لصرنا أضعف مما هو ماثل الآن ولكن لنا ميزة العراق في مواطنتنا المؤثرة على سلوكنا وقد أتى معظمها عن طريق الدواوين وحبنا للأسفار وكذلك عن طريق وسائل تعارفنا أسرياً.

إنّ تلاصق بيوتنا على هيئة خاصة تتوسطها باحة ثم سميت جاخوراً عاماً تحيط به الجواخير من ظهر البيوت الخلفي ونفتح عليه المنافذ وكأن ملكاً مشاعاً يمتلكه المجاورون له وكان يؤدي عدة أغراض منها أخذ طين البناء ولسيل مياه الأمطار وللإستخدام اليومي للنساء وكانت العوائل تهبش وتجرش به ويتم التعاون عن طريقه كما للمجاورين حق استخدامه عند الضرورات للأعراس ولدخول الحيوانات حتى أنه يستخدم للأغراض التجارية بقصد اعادة تصديرها كالأغنام والإبل والبضائع وأنا عاصرت استخدام أهلي لجاخور الرشود لإعادة تصدير أغنام لبر فارس كان عددها عشرة آلاف رأس وأعرف اسم صاحبها اسماعيل ومنذ مائة عام بطل استخدامها لهذه الغايات وسدت المنافذ لإختلال الحكم المحلي وقد تملكها البعض منهم ولم تزل بقايا من هذه الجواخير تؤدي الغاية نفسها كجاخور اللهو بسكة في البراحة وكجاخور اللهو في السوق الذي بظهر دكاكين المزروع وبحكم العادة للتعاون بين الأسر استعيض عن ذلك الجاخور العام لفتح النقب على الأسطح لذلك كان عدم وجود النسوة في الشوارع أمراً ملفتاً للنظر وكثيراً ما سئلت عن ذلك في أطراف العراق الشمالي وبغداد والموصل، إنها مميزة لنظام معماري أتي منذ تأسيس حارات وأسواق المربد. فبنى أهل الزبير على أساس الخطط القديمة مثل المربد مثل مدينة البصرة القديمة والطرق العمومية عشرون ذراعاً والأزقة سبعة أذرع والميادين بعرض أربعين ذراعاً وطولها حسب الحاجة.

هذه بعض الملاحظات التي لا غنى عنها. بخصوص تأسيس هذه المدينة أمّا ما عمره أهل الزبير أو النجادة في غير هذا الموقع فكثيراً ما عمر لاحقاً بعد الإستقرار المبدئي كقلعة صالح والعمارة ذاتها والمسيعيدة على نهر الكحلاء قبل أن يتفرع الى شط العدل والأعبوج سمى بالزبير هذا في الأهوار الخاصة في العمارة أمّا على أهوار الناصرية فتأسست سوق الشيوخ والخميسية كل ذلك يؤكد أن هذه البلدة الزبير كانت ذات شأن وأناسها لديهم مميزات منها حب العمل ومنها قوة نفوذهم في البصرة لأنهم حماتها لا غزاتها كما يحلو للبعض منهم ليقول اتيتم على بعير أجرب دون وعي للخدمات الإجتماعية إن

في المدن أم في الأهوار أم في الصحراء ولذلك أقول لكم أن تاريخ الزبير يشرف كل من حقق وتعب لأجله مع ما في رسالتي هذه من نبذة طريفة أجد أنها قد أصبحت مملة لذلك أودُّ دفع الملل بما سأرويه عن كيفية بناء الرطبة وتغيير ناسها في مدد قصيرة جداً.

ثامنـــاً:

وكتب أحد الضباط العرب الذين كانوا يعملون بجيش الدولة العثمانية والذي عمل بدورة تفتيشية وصل فيها الى سفوان وأم قصر ودخل الزبير ومن قبل دخل الإحساء وتجول في ربوعها وأعطانا فكرة صادقة عما شاهده وما انطبع في نفسه[١]:

أمّا الزبير فبلدة نجدية قبل أن تكون عراقية فهي لا تشبه مدن العراق وحتى ولا البصرة القريبة منها بمبانيها وأسواقها وأهاليها، فالمباني من الطين والجص يستعمل فيها بكثـرة لوجود الحجر الصالح لذلك. وهناك يحرق الجص ويرسل الى البصرة، وتجد البنـايات مبيضـة كلها بالجص من الداخل والطوق والعقادات مستعملة بكثرة لقلة الأخشـاب هنـاك وغـلائها اذا جلبت وسقوف الأسواق كلها عقادات وقباب ضيقة ومنتظمة ولا يوجد فيها ميادين الا قليلاً والميدان الكبير المسمى «الصفا» يكثر فيه الجمال والبقر والغنم وهي تباع فيه ولا بناية هناك للحكومة وللمديرية دار ايجار

أما نحن العسكريين فقد أجرت الحكومة لنا خاناً فيه بعض الغرف والباقي كله اسطبل للبغال وهو طبقة واحدة كما أن أكثر البيوت ذات طبقة واحدة والحاصل من أراد أن يرى الأحساء وبريده وعنيزه وحائل والرياض وغيرها فلير الزبير.

تاسعاً: ذكرت سلنامه صحيفة (٩١)[٢]

قصبة الزبير تقع في جهة الغرب من البصرة على مسافة ساعتين. وبناؤها كلّه من الحجارة واللبن (حجارة غير محرقة بالنار). وكل أهلها من أهل السنة والجماعة وقسم من

---

(١) سيد محمد رؤوف «أبو رؤوف» «مراحل الحياة في الفترة المظلمة» وكان ذلك في أوائل القرن الرابع عشر الهجري.

(٢) وهي جريدة عربية تركية تصدر في البصرة سنة ١٣٠٨هـ.

أهلها أصحاب أملاك وقسم آخر يعيشون بزراعة بعض البقول. والباقي حمّاره ولم تؤخذ من الجميع أي تكاليف ميرية ولم يدخلوا التحرير.

وتحتوي قصبة الزبير على خمسة عشر جامعاً وسوق، تحتوي على مائتي حانوت وسبع مدارس وعشرين مكتباً للصبيان.

ونفوس القصبة المذكورة زهاء ثلاثة آلاف نسمة تقريباً والقصبة محاطة بسور وتشتمل على ألف ومائتي دار.

عاشراً: وجاء في دليل الخليج الجزء الرابع «للوريمر»:

مدينة الزبير مدينة من مدن العراق التركي وتقع في الصحراء على بعد تسعة أميال جنوب غربي مدينة البصرة وهي الخطوة الأولى في الطريق من البصرة الى الكويت أو نجد ولا علاقة بينها وبين قضاء الزبير في العمارة.

والمدينة محاطة بسور والمنطقة الواقعة فيها كلها قاحلة فيما عدا الناحية الجنوبية الشرقية التي يوجد عنها قليل من حقول البرسيم والبطيخ والأعشاب وأشجار العبل[1] التي تمتد لمسافة ثلاثة أميال وهذه الجهة التي بها الأعشاب الزراعية تسمى «دريهمية» وتحصل المدينة على مياه الشرب من الآبار. وعلى بعد أميال قليلة في اتجاه الشمال الغربي من مدينة الزبير توجد منازل شيخ الزبير.

وأهم شيء يقع خارج المدينة هو ضريح الإمام الحسن البصري على بعد نصف ميل من البوابة الغربية والى داخل الأسوار يوجد ضريح «الزبير» المميز بمئذنة زرقاء يبلغ ارتفاعها «٤٠ قدماً» وهي الآن متهدمة وآيلة للسقوط من جهة الشمال، ويوجد بالمدينة سوق كبير مسقوف معظمه من الحجر وكذلك المساكن من الحجارة المجففة وأحسن المساكن مزودة بالبادجيرات[2].

---

(١) العبل: كل شجر مفتول الورق ويعني به الأثل.
(٢) جاذب الهواء وهو برج مربع مفتوح من الجهات الأربع لإسقاط الهواء عمودياً داخل المنازل.

ويقدر عدد سكان مدينة الزبير بنحو ستة آلاف نسمة وكلهم من المسلمين السنة وذلك أمر طبيعي في مكان يضم ضريح «الزبير» الذي مات في هذا المكان في معركة ضد «علي» وتوجد مساكن لكثير من الأثرياء والملاك في البصرة والزبيريون يأتون اليها في فصل الصيف نظراً لجفاف الهواء[1] كما توجد بالزبير بعض العائلات الكبيرة من وسط الجزيرة العربية كانت بالأصل مقيمة هناك.

ويصدر الزبير الجص والجبس والجير والصنادل، والسروج تصنع بالزبير ويعمل كثير من السكان بالتجارة أكثر من العمل في أي شيء آخر. ويتمتع بطيخ الدريهمية بسمعة طيبة.

والزبير سوق هام بالنسبة للأماكن المحيطة بها وخاصة قبائل البدو وهي كناحية من نواحي قضاء البصرة يوجد بها مقر المدير وقليل من الشرطة كما توجد كتيبة تتكون من عشرين رجلاً تحت امرة ضابط.

وسكان الزبير أنفسهم معفون من الخدمة العسكرية الإجبارية قانوناً ولكن بعضهم قبضت عليه السلطات التركية في البصرة وأدخلته الجيش.

وتمتد آثار البصرة القديمة من أسوار الزبير لمسافة ثلاثة أميال على طول الطريق الجديد للبصرة وتتكون من ربوات تتخللها حجارة صفراء محروقة وتغطي مسافة عدة أميال مربعة وبعد الزبير بميلين على الطرف الجنوبي للطريق توجد الآثار وهي المساجد الهامة للمدينة القديمة وجزء من المنارة الشمالية مبنى من حجارة صفراء جميلة فاخرة ولا زالت قائمة على بعد ميل نحو الشرق من هذا المسجد القديم ضريح طلحة الذي ذبح مع الزبير في معركة الجمل التي حدثت في هذا المكان سنة ٦٥٦م هذان البناءان الأثريان يشهدان بعظمه المدينة القديمة.

---

(١) المعروف أن أهل الزبير يقصدون البصرة أيام الصيف نظراً لجفاف الهواء في الزبير ونداوته في البصرة والجنوبات.

تعليـــــق :
دليـــل الخليـــج

تأليـف : ج ج لوريمر

ترجمة مكتبة الترجمة بديوان حاكم قطر طبع على نفقة الشيخ أحمد بن علي آل ثاني حاكم قطر ألفه قبل الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م وهو يشمل مباحث جغرافية وتاريخية للخليج العربي في القرنيين الأخيريين.

وقام بتأليفه بتكليف من قسم الخدمات المدنية بحكومة الهند وكانت في ذلك العهد تشرف على المصالح البريطانية في منطقة الخليج من النواحي السياسية والعسكرية والتجارية من خلال شركة الهند الشرقية.

جغرافيتها البشرية

وصف أرض المنطقة:

إن أرض العراق الجنوبي لا يمكن فصلها عما يجاورها من الأراضي الصحراوية الممتدة غرباً وجنوباً غربياً، وشمالاً غربياً مما يتاخم شمال شرق الجزيرة العربية وليس هناك حدود طبيعية تفصل بين أجزاء هذه الرقعة المنبسطة وقد اشترك أقوام هذه الرقعة في مضاربهم وغزواتهم وتتبع مصادر العيش منذ أقدم الأزمنة وكانت الحكومات التي تولت ادارة الحكم في رقعة هذه المنطقة من الشمال والشرق والجنوب تعامل القبائل الرحل ذات الخف والحافر معاملة ودية تستقبلهم تشتري منهم وتبيع وتحميهم ما داموا في كنفها، هذه الصفة البشرية من الناحية التاريخية هي عين ما كان يجري في عصور الدولة الإسلامية الأولى وفي عصور الدولة العربية في أوائل القرن الحالي هذا من الناحية البشرية أو قل من الناحية الرعوية أما من الناحية الجغرافية فما هناك فرق ظاهر في مختلف أجزاء المنطقة من حيث الكيان التكوين الجيولوجي فالأمطار تهبط غزيرة في الشمال الشرقي من الجزيرة العربية وتجري أوديتها فتسقي بادية الزبير كما تسقي أرض نجد والكويت فتنحدر قبائل الجزيرة ليرعوا أغنامهم وأنعامهم في بادية الزبير والكويت وقد يكون العكس هو الصحيح حيث يجري وادي الباطن وتربع الصمان والدهناء والأعراب في هذه الأقطار تتبادل المنافع بما تنتج صحراؤها ونحن حينما نتحدث عن جبل سنام وخور عبد الله والدبدبة ووادي الباطن وسواحل الخليج العربي فإنما هي قواسم مشتركة تفيد منها قبائل هذه الأقطار على حد سواء.

إن كثيراً من السياح العرب والأجانب قد اخترقوا جزيرة العرب من شرقها الى غربها وحتى العراق والكويت وغيرهم سار من العراق حتى البادية الجنوبية المنبسطة ومنهم من كانت هذه المناطق الثلاث بالجملة تحت علمه ومن هؤلاء ابن بطوطة واليعقوبي وناصر خسرو ونيبور وجسني ونافز نيبه وغيرهم فقدموا للعلم خيراً كثيراً حين نشطت اليها البعثات الأثرية والسياسية ونتصل اتصالاً وثيقاً بامارات الجزيرة العربية والبصرة والزبير بالذات والمنطقة المستطيلة المحصورة بين الخليج العربي ومرتفعات الصمان والدهناء فاكتشفوا العيون العذبة واكتشفوا الذهب الأسود ودونوا عادات القبائل الرحل

ودونوا الكثير عن طبائع الرجل البدوي ودونوا ما عرفوا عن هذه الأرضٍ وطبيعة هذا الخير كيف طبع اخلاق رجل هذه المنطقة من تلك وكيف ينصرف وقديماً قال الشاعر:

يمـــرون بالـدهنا خفـافـاً عيابهم ويرجعن من داريــن بجر الحقائب

ودارين هي احـدى مراكز التموين على الخليج العربي كجبيل والعقير والبحرين والزبير (في أم قصر) والكويت والزبارة وغيرها من هذه الثغور البحرية التي تعتبر تموين وتخـزين تأخـذ وتعـطى ولا ننسى كاظمه التي كثيراً ما ذكرها الشعراء في قصائدهم مرتفعين شمالاً الى السماوة حيث تنتشر العيون هنا وهناك وهناك تنتشر قبائلٍ تميم وشمر وبنى حسين والسعيدوعنزة الا مر الذي كون هذا الإختلاط والتبادل مزيجاً من شعب عربي واحد ربطتا بينهم عوامل شتى من المصالح واللغة والدم والدين الواحد ولا ننسى بني عمومتهم من بنى خالد والعتوب والضفير ممن ربطوا بين وشائج ووشائج وفي هذا يقول الشاعر:

يمـــمـــن نجـــدا اذا ما انـــجـــدا واذا ما اتهـــم فالمسرى تهام

معالـم جغرافيـة وتاريخيـة

تكتنف بلدة الزبير معالم هامة من الشمال والجنوب والشرق والغرب وسنلم بالعديد منها.

جبــــل سنــــام:

يقع في جنوب الزبير في طريق اليمامة[1] وهو المرتفع الوحيد في المنطقة يرتفع الى علو ١٥٠ متر ونيفاً ويجثم على أرض واسعة تشقق سفوحه من جهته الجنوبية والشرقية الأخاديد حيث توجد مسالك تعين السالك على التعرف على طبيعة صخوره. وفي بعض هذه الصخور ملونات مختلفة بني، بيضاء، وخضراء وسمراء كالحة ولا تعدم أن تجد بعض مغارات موحشة تلتجىء اليها بعض الضواري الكاسرة*.

يقول ياقوت الحموي[2] (سنام جبل يراه البصريون عامة من فوق سطوح دورهم كأنه قطعة من الغمام) في طرف السماء.

ووجود سنام في هذه البقعة من الأرض بمفرده لشيء يدل على غرائب الطبيعة ويعود ياقوت الحموي يقول: ذكر أن الدجال يخرج منه[3] ولعل لهذه الأسطورة صدى لما هدد البصرة القديمة صاحب الزنج والقرامطة واحتلوا جنوب العراق وكان مقدمهم من هذه الناحية.

وصخوره تصلح لتعبيد الطرق وقد سبق أن استعملت منه احجار لهذا الغرض في تعبيد الطرق كطرق البصرة ـ العشار وطرق المعقل وسكة حديد الزبير ـ الشعيبة والشارع الشمالي بين البصرة والعشار كما استعملت لتعبيد طريق البصرة ـ العمارة وما زال مصدراً لهذا الغرض عن طريق التفجير بالديناميت.

---

(١) هناك جبل في الحجاز يدعى سنام أيضاً ويسميه البعض طميه وحاكوا حوله قصة اسطورية وساقوا المثل القائل: زعله سنام على طمّيه في الرس من القصيم.

(٢) معجم البلدان حرف السين ج٣ ص٢٥ (٣) معجم البلدان ص١٥٥.

وجبل سنام يبعد عن الزبير ٣٣ كيلومتر تقريباً وبينه وبني سفوان ١٥ كلم[1] ويقرب سنام يدعى البقّار.

ووقف جبـل سنام في وجه شعيب البطن الجبار ففي منخفضاته وبطاحه وأوديته مستقر لمياه هذه الشعبان التي تنحدر من مسافات بعيدة وفي هذه المنطقة تكتسي الأرض بألوان الربيع ويتواجد بعض قبائل بادية الزبير حولها يرعون أغنامهم وأبلهم. ويطلق البعض على جبل سنام بأسم الضلع.

وتحدث الجيولوجيون عن جبل سنام فقالوا فيه كثيراً قال بعضهم أنه تكون من أملاح تشبه فقاقيع الأرض ثم ارتفعت بعامل التعرية والبناء (عامل التعرية الجوية) فتحجرت بفعل الرياح الرطبة المارة على الخليج وقال آخرون غير ذلك. والحقيقة أن في جبل سنام مجالاً للبحث والدراسة. لا زالت في طي الكتمان تنتظر من يفصح عنها ويكشف عن لثامها.

---

(١) رحلتي الى العراق: لجيمس بكنغهام: ج٢: ص٣١٦ (ترجمة سليم التكريتي).

* من مشاهدة المؤلفين. كما فيه حجر جيري بعد أن يطفأ يصلح لعمل مختلف الأدوات الفخارية.

سفـــــوان

يقـع سفـوان جنوب الزبير وهو مجموعة عيون ماء ذكرها صاحب معجم البلدان (ياقوت الحموي) أن سفوان يقع على مرحلة من باب مربد البصرة وتردد ذكره في كتب الأدب العربي القديمة.

فقد جاء على لسان الشاعر الجاهلي ودّاك المازني.. قال:

روينداً بني شيبـــان بعض وعـيدكم ... توافـيكـم خيلي على سفـوان

ويضيف ياقوت: أن سفوان ماء على قدر مرحلة من المربد به ماء كثير السوافي وماؤه شروب[1] قال الشاعر:

جاريــة بســفــوان دارهــا ... تمشـي الهـوينـا مائــلاً خمارهــا

وهي على طريق الحاج بين الأحواض وانقاء الطوي:

ووردت سفوان في شعر أبي نواس قال:

هي الـديار اذا الـزمـان زمـان ... واذا الـشبـاك لنـا حرى ومعـان

يا حبـذا سفــوان من متّربـع ... اذا كان مجتمـع الـلوي سفــوان

من هذا يظهر أن منطقة سفوان منطقة جميلة خضرة يقصدها ذوو النعمة واليسار من البيوت الزبيرية[2].

ويتلوه من ناحية البصرة وادي العقيق الذي كان يعتبر من الأماكن الجميلة.

يقول ابن شميل واذا جلست في بطن المربد فهو حزيز[3] تربته رخوة كثيرة الحجارة والحصى عرف بلياليه ورقة انسامه وقد بنى فيه الحجاج قصره العظيم[4] الذي كان بعد

---

(١) شروب أي يشرب وفيه مرورة.
(٢) حين نقول: البيوت البصرية أو البيوت الزبيرية فإنها هي نفسها لأن البصرة القديمة هي أرض الزبير الحالية.
(٣) البكري في حاشية بحث الدكتور أحمد صالح العلي مجلة سومر ج ٢ وانظر كذلك لسان العرب ج ٧.
(٤) الأغاني ج ٧: ٦٧.

دار الإمارة الحمراء التي جددها عبيد الله بن زياد خير قصور البصرة وابنيتها. يروي ابن فضل الله العمري في مسالك الإبصار إن هذا القصر كان في الأصل قصراً لقباذ ملك فارس ولعلله انشأه على انقاض قصر قباذ بعد أن ترك دار الإمارة الحمراء. وجاء في الأغاني[1] ان المنصور الذي أرسى قواعد الحكم في العراق لبنى العباس نزلها وعرف اهمية ارض السواد فأمر ببناء سور البصرة[2] ليحميها من غزو الأعداء.

وهكذا نرى التاريخ يعيد نفسه للمنطقة لتنتعش من جديد فتحفر الآبار ويزرع الزارع ويمتح الماء من عمق غير بعيد فتثمر أرضها وتنتج البطيخ والرقي والخضار.

وقد اكتشف السور العباسي في الثلاثينات من هذا القرن الميلادي على حدود البحر[3] حيث وجدوا اساساته من الطابوق يمتد الى مسافة يغمره ماء البحر في بعض المواقع وقد أطلع عليه المسئولين حين كانوا يخططون (لأم قصر).

جاء في العقد الفريد لأبن عبد ربه ان الخليفة هارون الرشيد عقب زيارة الخليفة المنصور لهذه البقعة من الأرض وجد الناس في بحبوحة من العيش والنعيم بما يغبطهم عليه أهل بغداد ووجد القصور ومن تلك القصور قصراً لعمه ابراهيم بن علي بن العباس فرأى فيه عجباً: الأنهار والحدائق والثمار والغزلان وشرب لبناً من حليب أكثر من نعم تنتج الحليب والزبدة واللبن وحين زار الخليفة المأمون البصرة عرج على عمه ابراهيم في منتجعه على البحر فرأى من مظاهر الترف ما لفت نظره فقال له: ما هذا يا عماه أنت تعيش رغداً بما لا يوجد في قصر الخليفة في بغداد ثم أن الخليفة أنقص مخصصاته السنوية.

وكان الخليفة الرشيد هو الذي اقطعه ذلك وبسط له في الرغادة ليشغله عن طلب الحكم.

---

(١) الأغاني جـ ١٢: ٦١ وانظر كذلك ثمار القلوب: ٥١٢ والطبري جـ ٣: ٦٤٦.

(٢) هو ثاني سور يبنى بعد السور الذي بناه الخليفة عمر بن الخطاب على يد المغيرة ابن شعبه.

(٣) اكتشفه الشيخ سليمان بن الشيخ أحمد الإبراهيم الراشد.

ولا بأس أن نورد هذه الطريفة: روى لنا الصديق الثقة حمد محمد الفارس قال: حدثني والدي وكان قد ذهب الى الحج ثالث ثلاثة هم الحاج عبد المحسن المهيدب والحاج أحمد العنيزي والراوي عن طريق البحر فلما مروا بباخرتهم الى باب المندب ركب معهم خواجاً مصري الجنسية وجلس قريباً منهم وأنس بأحاديثهم فقال: انتم من الزبير من أرض البصرة قال: نعم قال: ان عندي وثائق تثبت ملكيتي لأراضي زراعية في سفوان فضحكوا وقالوا: لا نعرف أرضاً زراعية هناك.

ونحن أهل المنطقة ودار الزمن فإذا شاب مصري يقابل مدير طابو البصرة عبد الحميد السلمان ويقدم اليه أوراقاً موثقة من الحكومة المصرية وكان قد مضى عليها قرابة مائتي سنة فعجب بدوره المدير وقال: سأرسل معك خبراء يوقفونك على أرضك وهو يعلم أن لا وجود للأرض ذات بساتين هنا أرسل معه سليمان الفيحان وعبد الرحمن الدبيكل. ومبارك الزنكي بوصفهم من الشباب الزبيري الذين يملكون خبرة في هذه الأراضي ومعهم أثنان من موظفي الطابو، ووصلوا الى المنطقة فإذا هي صحراوية لم يكن فيها غير مخفر للشرطة فقالوا له: هذه سفوان فأين البساتين التي تنطق فيها أوراقك[1] . . . فرجع كاسف البال وتخلى عنها وقال: هي لكم، وعاد أدراجه[2].

تاريخ سفوان الحديث

سفوان اليوم تعتبر ناحية تابعة لقضاء الزبير يبلغ عدد سكانها (٨٨٩٠) نسمة، يحدها الكويت من الجنوب والفاو من الشرق ويحدها القضاء من الشمال وهي الى الشمال الشرقي من المملكة العربية السعودية والى الشمال الغربي من محافظة المثنى.

تربتها رملية سهلة ليس فيها تضاريس جغرافيتها واضحة سوى جبل سنام الصخري ووادي شعيب الباطن الذي تمتد تفرعاته من المملكة العربية السعودية وتنتهي قرب سفوان.

---

(١) تنطق أوراقه أنها أرض زراعية يسقيها نهر كري سعده فيها مختلف الثمار والنخيل وتمتد في منحدرات جبل سنام بإتجاه النهر ووجدوا هناك بضع نخلات ذاهبة في الطول.

(٢) كان هذا النهر هو فرع من الفرات ثم لما أهملت الدولة العناية بالأنهار عميت جراء السوافي والأتربة وزحفت الصحراء فأندرست وهلكت الزروع.

وفيها من المدارس مدرستان أحداهما أبتدائية للبنين والأخرى ابتدائية للبنات ومركز مكافحة للأمية أحداهما للرجال والآخر للنساء.

وسفوان منطقة بدوية تتواجد فيها قبائل الظفير والسعيد والجشعم والبدور والمنتفك وآل رفيع وآل حميد والمطور وشمر وبني حسين.

الأوديـــة والشعبـــان

وادي البطـــن (الباطــن):

في أقصى الشمال الغربي من منطقة الزبير الصحراوية يلوح لنا أثر جغرافي ظاهر عظيم الأهمية في جيولوجية المنطقة ذلك هو وادي البطن ويطلق عليه (الباطن) مجرداً من كلمة وادي. وهو منخفض واسع له خصائصه مما أثار فضول الجغرافيين من قديم الزمان وحتى اليوم.

ولقـد اقتبسنـا من بحث كتبـه خبير أجنبي يدعى اريس وليماز نشرته مجلة سومر العراقية جزء ٢ نقتطف منه بعض ما جاء فيه:

صفـــة الـــوادي:

يقال للقسم الجنوبي الشرقي من البادية الواسعة التي بين العراق والمملكة العربية السعـودية الـدبنة رقعة من الأرض قوامها الرمل والحصباء مكسوة بشجيرات الغضا الصحراوية الواطئة، ويصلح أن يكون وادي البطن علامة حدود بين العراق والكويت.

ولعل أول منشأ وادي البطن من موضع بعيد في الجنوب داخل البادية في المملكة العربية السعودية ويأخذ مجراه من هناك في جنوب غربي البصرة (شمال غرب الزبير) وعندها يتلاشى في البرية من حول جبل سنام.

فإذا طغى جراء هطول الأمطار المستديمة عبر من حول الجبل وانقسم الى قسمين يجريان من حول مدينة الزبير ليصبا في الخليج العربي.

ويكـون الوادي بالقرب من الزاوية الشرقية من منطقة الحياد منبسطاً من الأرض عريضاً فيبلغ عرضه في بعض أقسامه نحو ١٤ ميلاً ويمتد وهو بهذه الهيئة نحو الشمال الشرقي مسافة تقرب من ٤٥ ميلاً الى الرحيل. ويؤخذ من تقارير الخبراء أن عمقه في

هذه الأنحاء لا يتجاوز ٤٠ قدماً والحدود في هذه الجهة وهي المفروض أن تكون في وسط مجرى الوادي وأوطأ أقسامه إلا أنها كانت مثار خلاف بالرغم من ذلك في الآونة الأخيرة بين شركة النفط الكويتية وشرطة البادية العراقية (فقد اعلنت الشرطة العراقية أن شركة النفط الكويتية قد اجتازت الحدود وبدأت بأعمال السبر في موضعين داخل الحدود العراقية نحو أربعة أميال).

ووصف لنا الذي قطع هذا الوادي ان على جانبيه أغواراً عميقه شبه الأخاديد والشقوق وإن مجاري المياه تتجمع في وادي الباطن وترى وهي تمتلىء بالسيول حتى حافتيه. ويؤخذ مما تحصل لدينا من الخرائط والتقارير أن مياه الأمطار المنصبة من هذه الأخاديد تجري متجمعة في برية وادي البطن بإتجاه الشمال الشرقي ثم تختفي في رمال البطحاء قبل أن يتاح لها تأليف مجرى واحد منفصل ويدل على أنه يتم تصريف هذه المياه في طبقات عميقة تحت الأرض ومن ثمة فلا يوجد في الوادي مجرى للماء واضح المعالم فيعين منطقة الحدود بين البلدين وكان ذلك سبب النزاع.

جيولوجيـــة البطـــن:

تغطي بادية الدبدبة طبقة من الحصباء الرملية يقال لها قيعان الدبدبة وهي من عصور قديمة جداً وتمتد جنوباً حتى تدخل الكويت والمملكة العربية السعودية وغرباً الى خط طول ١٥ , ٢٩° الذي يمر قريباً من شرق منتصف منطقة الحياد. وإن ٦٧ كم المسافة التي يقطعها وادي البطن من نقطة الرقعي (حدود الكويت والعراق وحتى يصب في هليبة وجريشان).

وقوام هذه الطبقة بوجه خاص رمل حصباء من صخور نارية مدورة ومستطيلة[1] ذات ألوان مختلفة وذرات ناعمة غريبة، وقد وجد في مواضع كثيرة أن هذه الحصباء الرملية قد تماسكت وتصلبت بفعل مادة قلوية من الجير الأبيض وتبين من القطاعات الجيولوجية الموجودة. إن هذه الطبقة يصل تخنها الى نحو ٣٠٠ قدم في منطقة الحياد قرب وادي البطن وإن منها طبقة خشنة مسامية تسمح بتسرب الماء الى باطنها.

---

(١) هي ما ندعوه في الزبير بالصلابيخ.

وتنفرش هذه القيعان فوق منطقة حجرية كلسية منبسطة على عمق ٣٠ قدماً من سطح الأرض وتليها من تحتها طبقة ثخينة جداً من حجر كلس الزهر تحتوي على حجر كلس طباشيري أبيض في أعلاها وطفل (طينية جيرية) في أسفلها على أنها كلما تقدمت من ناحية الجنوب ازدادت حالتها الرملية ويبلغ ثخن حجر كلس الزهر نحو ١٢٠٠ قدم.

منشأ هيئة الوادي:

ونظراً الى أن عرض البطن[1] في هذه الجهات بالغ السعة إلا أن تصريفه للماء يتسرب للأعماق فإنه لا يمكن أن تعتبره وادياً كبقية الأودية بل أن له اعتباراً خاصاً وما لدينا من الخرائط يشير الى أنه منخفض بل أن السواح والجيولوجين أيضاً قد ذكروا أنه منخفض ليس إلا.

ويرى الجيولوجي على ما اجتمع لديه من معلومات ان هذا المنخفض قد تكون من سلسلة حفريات مستديرة احدثتها قيعان الدبدبة ذات المسام التي في الأعلى قد اتاحت للمياه التسرب من المجاري التي تحت سطح الأرض ان ما في اسفلها من حجر الكلس فإنهارت بمرور الزمن وشكلت هذه السلسلة من الحفر المستديرة وقد ساعد على حدوث هذه العملية من جهة عوامل التأثيرات الصحراوية بالإضافة الى فعل الرياح والعواصف الرملية وما تجرفه امامها مياه السيول فكل تلك العوامل قد اوصل وادي البطن الى ما هو عليه اليوم من هيئة وسعة.

ورجعنا الى خرائط التسوية في البصرة فوجدنا ان وادي الباطن حين يصل الى نقطة «حصيبة» وهي الحد الفاصل بين الحدود العراقية والكويتية يتفرع منه شعيب بطين حيث يتجه نحو الشمال مكوناً الحد الفاصل بين قضاء الزبير والبادية الجنوبية حتى ينتهي في منطقة الخرز الكائنة غرب مخفر شرطة الرافعية وآبار نقطة الرميلة بينما يستمر شعيب الباطن بالإتجاه نحو الشرق مكوناً الحد بين العراق والكويت ويأخذ سمته حتى عقله بن سعيد وعقله العذيبة ليتكون منها خور الصفيوات في الجانب العراقي ويستمر

---

(١) وادي الباطـــــن.

الباطن مندفعاً فيتفرع منه شعيب أبو شحم في الجانب الكويتي وشعيب ابو فطيم فيملأ الأول بطاح الروضتين وخبارى أم العيش ويتكون من فائض هذا الماء خور صوبان شمال غرب الكويت ويتجه شعيب البطين نحو البادية الجنوبية من العراق حتى يصل جابدة ولقيط أما الباطن الكبير فيأخذ سمته متجهاً الى الزبير الى أن يصده جبل سنام فيقف وتتجمع المياه بطوفان غير أن مسارب منه تتجه صوب القريطيات ومنها يجري شعيب سديرة ليملأ منخفض الدريهمية وديم خزام ويصل جزء منه الى الذروية ويميل بما تبقى من قوته الى أراضي السبخ الجنوبي من الزبير من وراء ضريح طلحه.

ومما يجب ألا يفوتنا أن نذكر أن منطقة الحياد التي تكون شكلاً هندسياً بمثل المعين أو ما يسمى عند العوام بالبقلاوة رأسه الشرقي باتجاه الكويت وهي العوجا ورأسه الشمالي باتجاه العراق وهي الأمغر أما جهتاه الجنوبية والغربية وهما الوكبة والأنصاب فبإتجاه المملكة العربية السعودية.

وحدث شاهد عيان أكثر المرور في هذه المنطقة بحكم عمله فيها يقول ان شعيب الباطن حين يصل الى منطقة سديره يتفرع الى فرعين يتجه الأول الى الزبير ماراً بالمدور والجبيلات وحتى يستقر في ديم خزام أما الفرع الآخر من الباطن فيتجه الى الذروية ومنطقة الذروية مرتفعة شيئاً ما والذروية نفسها يتكون منها شعيب الدريهمية أي أن هذا الفرع حين يعلو يميل بثقله الى شعيب الدريهمية.

وادي السبـــاع :

جاء في معجم البلدان[1] أن وادي السباع هو الوادي الذي يمتد بين البصرة ومكة بينه وبين البصرة خمسة أميال.

وفي طرف وادي السباع قتل الزبير بن العوام رضي الله عنه عقب منصرفه من معركة الجمل. والسباع جمع سبع ووادي السباع من نواحي الكوفة سمي بذلك لما ذكر أن أسماء بنت دريم بن القين بن اهود بن بهراء كان يقال لها أم الأسبع وولدها بنو وبره بن

---

(١) ياقوت الحموي ج ٥: ٣٤٣.

ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة يقال لهم السباع وهم كلب وأسد وذئب وفهد وثعلب وسرحان وبرك وهو الحريش ويقال له الكركدن له قرن واحد قال ابن حبيب بن مر بن وائل بن قارط بن هنين بن قصي بن دعمي بن الجديلة بن أسد بن نزار بن معد بن عدنان: وأسماء هذه كانت أمرأة جميلة بوادي السباع حوله فهم بها الرجل فقالت له: لعلك أسررت في نفسك مني شيئاً فقال أجل فقالت لئن لم تنته مني لأستصرخن عليك فقال: والله ما ارى بالوادي أحداً قالت: لو دعوت سباعة لمنعتني منك واعانتني عليك فقال: أو تفهم السباع عنك قالت نعم ثم رفعت صوتها يا كلب يا فهد يا ذئب يا أسد يا سرحان. . الخ فجاءوا يتعادون ويقولون ما خبرك يا أماه فقالت: ضيفكم هذا احسنوا قراه ولم تر أن تفضح نفسها عند بنيها فذبحوا له واطعموه فقال وائل ما هذا إلا وادي السباع فسمى بذلك.

قال ابن ابي الحديد: هو الوادي الذي بطريق الرمة وقال السفاح بن بكير:

صل على يحيى وأشياعه ... ربُ كريمٌ وشفيعٌ مطاع
أم عُبيد الله ملفوفةٌ ... ما نومها بعدك إلا رُواع
فلما استحسنت بكرة واله ... حنت حنيناً ودعاها النزاع
يا فارساً ما أنت من فارس ... موطأ الأكناف رحّاب الذراع
قوال معروف وفعّاله ... عقّار مثنى أمهات الرّباع
يعدو ولا تكذب شداته ... كما عدا الذئب بوادي السباع

وهي طويلة. . وقال أيضاً:

مررت على وادي السباع ولا أرى ... كوادي السباع حين يظلمّ وادياً
أقل به راكباً أتوه وبيئة ... وأخوف الا ما وفي الله سارياً

مما تقدم يظهر لنا أن وادي السباع يمتد بين الزبير من الشمال الغربي على بعد ١٠ كم ، وحتى الكوفة ثم يعرج غرباً ليقطع الصحراء حتى مكة المشرفة.

وذكر أن موضع ضريح انس بن مالك رضي الله عنه هو في طرف وادي السباع.

من هذا يجدر بنا أن نقول: أن وادي السباع الذي عرف في بلد الزبير هو الذي يبدأ من الشعيبة الشمالية وهو يفرق بلدة الزبير وكان منخفضاً من الأرض خصيباً وموحشاً سكنته سباع الصحراء وكانت هذه الصحراء تتصل بصحراء أفريقيا عن طريق الأردن والعقبة متصلة ببوادي الحجاز ونجد والعراق (الزبير) وقالوا أن وادي السباع هو المسمى أيضاً بوادي النساء وسمى بهذا حيث أن النساء من نواحي الكوفة والبصرة يخرجن لألتقاط الكمأة.

وادي العقيـــــق:

هو أحد أودية المدينة المنورة في الأصل ثم تلقينا من الرجال المسنين في الزبير أن في الزبير أيضاً وادي العقيق وقالوا أن موقعه هو ما جاور شعيب الدريهمية من جانبيه ثم قالوا: أن وادي العقيق هو وادي النساء في الزبير واختلف في وادي النساء فمن قائل أنه المنخفض الذي يبدأ من الشعيبة وهو ينحدر الى الزبير ومن قائل أن وادي النساء الذي هو وادي العقيق هو الذي يبدأ بالقريطيات متمشياً حتى يصل الى الزبير. وهنا نخرج بنتيجة أن الشعبان والأودية التي تحيط ببلد الزبير قادمة من الشمال والقبلة هي كلها خصبة في أرضها طيبة في هوائها عذبة مياهها ينبثق الماء فيها ببعد قريب وتربتها تنبت الخضر والفواكه وشبهوا هذه الأودية بأودية الحجاز ونجد المخصبة الممرعة ذات الشجر والثمر.

الشعبـــــان

١ - شعيـــب سديـره[1]:

هو الشعيب الـذي يلقي بمياهـه في ديم خزام وفي أعـاليه يمـر بالـرتقا الشمالية والجنوبية، وهذا الشعيب يتكون من شعبان كثيرة وهو إذا عب عبابه يحمل في طريقه الأشجار والحيات والطيور وهو إذا يجري يمر (بالحفر) وتنحدر اليه مسارب الرقعي في حدود الزبير، وفي مسيره الطويل تمتلىء الخباري التي تستقي منها الأعراب والقوافل وهو إذ يقبل يقطع الطريق على المار.

٢ ـ شعيب الدريهمية:

مر الحديث عن الدريهمية وكونها مصدراً من مصادر الماء الذى يستقي منه الأهلون. ويغذي الدريهمية شعيبان: المكري والقبلي.

فالمكري هو الذى سبق أن كراه الحاج سعد الخليوى والد الشيخ ابراهيم الخليوى. وهو شعيب قديم كان يغذي الدريهمية منذ قرون. والثاني الشعيب القبلي وهو الذى يتصل بشعوب وذيول وادي الباطن.

٣ ـ شعيب القصير:

وهو يجمع أمواهه من مرتفعات الشعيبة الواقعة شمال الزبير وأم شداد الواقعة الى الشمال الغربي منه ويمر بأثل القصير ولذلك سمي شعيب القصير وهذا الشعيب يجعل الزبير على يمينه ويتجه الى جهة الخربة ويستمر في وجهته الى السبخ ويشق طريقة الى الخوير جنوب شرقي الزبير[2]. وبعد أن أنشىء الطريق بين الزبير والبصرة أنسدت عليه المنافذ فأصبحت المياه تملأ الحُفَر في طريقة وتسبب المياه الآسنة فأضطرت البلدية أن تجعل له منافذ في هذا السد ينفذ منها الى الخوير.

---

(١) برواية ابن سدران.

(٢) الخوير: خليج منخلج من خور عبد الله الذي هو جهة من الخليج العربي الى الشمال منه.

٤ ـ شعبان الذروية :

وهذه موقعية تتجمع مياهها في دائرة هذا البقعة وتكون شعيباً ينزل على المنتشرة . فيملأ الحفر المنتشرة هناك .

٥ ـ شعيب المدور :

وهو طرف وادي السباع من قبلي البرجسية . ويصب في شعيب سديره الذي أخذ من فضول وادي الباطن ثم يفضي أخيراً الى ديم خزام . فالحصى ثم شارع الباطن .

خــور الزبيــر

من معالم هذه المنطقة الظاهرة والذي يبعد عن الزبير مسافة ١٥ كم وهو جنوب شرقي البلدة وهو على شكل كف اليد أعلاه الى الزبير وأسفله بتفرعاته الى الجنوب ليتصل بخور شيطانة ثم يحتضنه بعد خور عبد الله على الخليج العربي وطول هذا الخور من شماله الى جنوبه ٣٧ كم .

إن هذا الخور يعتبر امتداداً لخور عبد الله ، ومن نقاطه المعروفة (المجدم) التى كان وما يزال البعض من صيادي السمك يزاولون عملية الصيد بالشباك[١] وأنواع الوسائل الأخرى .

كما أن فيهـا مخفراً لشرطة الحدود العراقية ولا يبعد (المدفار) عن نقطة المجدم الا قليلاً[٢] وأمـام هذا الشاطىء تلوح شواطىء الكويت والذي يمعن النظر والبحر في الجزر يرى أنهاراً قد، أنحسر الماء عنها كأنهار البصرة تماماً صدورها الى البحر وذنائبها الى البر ومن هذه الأنهار نهر أبو صخر وسمى بهذا لوجود صخور من أثر بناء ما يزال

---

(١) من السمك المعروف في هذا الخور الطبيجي واللخمة والوحر والجرجور (الكوسج) والغربال وجبة البحر. وأبو منظار وأبو منشار (من أنواع الكواسج) وكلب الماء والدغص أو الدغس والدرفيل والهامور والروبيان .

(٢) وسمى المدفار بهذا لأن الرجل يستطيع أن يمشي على ضحالة مائة بغير عسر فيقولون يدفر الماء .

ظاهراً للعيان[٣] ومن هذه النقطة باتجاه الشرق تقع (الصبية) وعلى امتدادها على البر تقع منطقة (هيله) و(أم خيال) وفي هيله بئر ماؤه عذب يقصده الناس الذين يقيمون بعض الوقت.

ومن المجدم الى الزبير ٢٨ كم ويقصدها الذين يخرجون أيام الربيع للتنزه فيتمتعون بنسيم البر والبحر.

وفي هذه المنطقة أيضاً مكان يدعي الخويسات وفيه نخل وهو أقرب الى البر منه الى الماء فإذا طغى البحر غمر أرضه.

وفيما بين المجدم وأم القصر تقع عيون ماء عذبة وهي مرتفعة شيئاً ما عن مستوى البحر يقصدها الشباب بقصد المتعة أيام الربيع والخريف
ويسكنون الخيام وأم قصر الميناء المعروف الذي يقوم حيال نقطة الصبية التابعة لدولة الكويت. وفيما بين الصبية وأم قصر جنوباً تقع نقطة (العزازي) وفيها قصر يتخذ لمن قصده مقيلاً ومراحاً.

هـــور الحّمـــار:

تطلق كلمة الهور على متجمع الماء الذي يكون مصدره النهر العذب فقد مر بنا أن الخور ماؤه ملح (مالح) لأنه يستمد ماءه من البحر والهور يستمد من النهر.

إن المسافة بين هور الحمار وخور الزبير تقرب من ٣٣ كم أن هذا الهور يطغى كلما زادت مياه الفرات أيام الفيضان. وقد يصل بعض الأحيان الى أن يكون مجرى مائياً

---

(٣) ويطلق أيضاً عليه اسم ابو صفا ولدى التحري ظهر لدى التحري ظهر لدى لجنة الآثار أن هذا الصفا يمتد طويلاً على الساحل قد غمره الماء ولعله السد الذي بناه أبو جعفر المنصور ليحمي البصرة من البحر وكانت الأرض مما دونه مزروعة بالنخيل ومن تحرى جيداً عثر على بروص النخيل (هذا الحديث زودنا به عبد الرحمن محمود القديس ـ مشكوراً ومن قبل قد حدث بمثل ذلك شيخ سليمان الإبراهيم الراشد وزاد بأنه هو الذي اكتشفه ودل عليه المسئولين في دوائر الآثار في بغداد).

دافقاً يخترق الأرض ما بين البصرة والزبير على طول المسافة حتى يصب في خور الزبير وهو ما يطلق عليه بهاء الموح. وقد كان كذلك قبل أن تنشأ سدة سكة حديد بصرة - بغداد[1].

(١) كان هذا الفائض من ماء الفرات يتجمع ويكون بحراً من الماء العذب قرابة أربعة أشهر خاصة اذا حصل تيار معاكس قادم من الجنوب حيث يجري ماء البحر بفعل الهواء الشرقي (الجنوبي). والأربعة أشهر هي: نيسان ومايس وحزيران وتموز.
وحين انشئت السدة انحصر الماء في منطقة (قرمة علي) والى حدود (الشعيبة - النخيلة) غرباً على أن الفيضان اذا بلغ رقماً قياسياً فإن مياه الفرات تملأ جيوب هور الحمار فيطغى على المنخفض الطبيعي له فيضايق سكة حديد القطار وقد فطنت الحكومة العراقية فبنت مسالك وعبارات من تحت سكة الحديد تحاشياً من أن تغرق البصرة فإنشأت منفذاً لهذا السد سنة ١٩٥٣م ما بين البصرة والزبير واحكمته وجعلت عليه جسراً تعبر عليه السيارات وفي فيضان سنة ١٩٥٤م الفيضان العارم طغت المياه وتدفقت عبر هذا الهور وملأت قرمه علي واندفعت لتعبر جسور سدة القطار الشمالية في طريقها الى منفذ سدة الزبير البصرة ليكون خور الزبير الواسع الذي ظل أكثر من خمسة شهور لم ينقطع حتى ملأت عامة أرض ما بين البصرة والزبير، وغطت آثار البصرة القديمة. وقد كان الناس يقطعون هذا البحر بالأبلام الشراعية ما بين البصرة والزبير، وشق البريطانيون في زمن الحرب ترعة لأسباب عسكرية اجتازتها البواخر غطس الأربعة أو الخمسة أقدام في أثناء الفيضان أما في موسم الإنخفاض فكانت تلاقي صعوبات ومشقات في أثناء اجتيازها لهذه الترعة في شط العرب الى سوق الشيوخ، أما الآن وبعد أن استغني عنها فطمرتها الأتربة فرفعت القاع وتعزز سير السفن ويطلق عليه أهل المنطقة بنهر الأنجليز وأنشئت سكة حديد بصرة / بغداد وأصبح الأنجليز ينقلون عليه معداتهم لمواصلة الحرب بعد كسبهم معركة الشعيبة: (جغرافية العراق لطه الهاشمي طـ٢ / ٣٥ - ١٩٣٦م) وأدلى الشيخ سليمان الأبراهيم بقسط من هذه المعلومات.

الغبيشـــــية

وهي تقابل الخميسية من حيث وقوعها على الهور (هور الحمّار) وأول من أتخذها سكناً هو عبد الله الغبيشي. ثم أنتعشت القرية بهجرة النازحين اليها من الزبير. وكان السبب الأول في هذا النزوح من الزبير لغرض تجاري لكونها مرفأ نهرياً علاوة على كونها ثغراً صحراوياً ليتم الأتصال بين نجد وأهل الزبير.

وأشـتركت الغبيشية مع الخميسية على هذا الأساس حيث تأتي القوافل من عنيزة وبريده لتكتال الشلب والتمر. وكانت الزبير قد سبقتها في هذا النهج وكذلك سوق الشيوخ.

وفي عام ١٣٠٦هـ أرتحل اليها جماعة ليسوا من التجار ولكن حينما اضطرب الأمن في الزبير وكانوا برئاسة الشيخ محمد العبد الجبار ومن شايعة وفيهم الحاج ابراهيم الربيعة (أبـو أحمد وعبد اللطيف وعبد الرزاق) وشيخ ابراهيم الدبيكل (أبو عبد الله ومحمد جاسم ويوسف وأحمـد) ومحمـد العماني وسالم الحميد وعمر محمد العلي[1] وكونوا لهم علاقات حسنة مع كّل من الشيخ سعدون وحسن الخيون، وبنوالهم منازل ودكاكين وبنى لهم الشيخ سعدون جامعاً للصلاة.

وكـان الشيخ حسن الخيون يسيطر على منـطقـة الهور وعقدت اتفاقية بين حسن الخيون وأهل الزبير على عدم الأعتداء بين هذا الطرف وذاك. والشيخ حسن الخيون هو رئيس بني أسد. حتى لقد حددت دية الزبيري وساكن الهور فيما لو وقع حادث قتل. فدية الأول ٢٠٠٠ شامي[2] ودية الثاني ٨٠٠ شامي. ثم تكررت الحوادث حتى خشي أهل الزبير أن يقع الأحتكاك بين حسن الخيون والشيخ سعدون بسببهم فأرتحل جماعة الزبير وعادوا الى بلدهم تاركين بيوتهم بعد أن كانوا قد مكثوا ست سنوات على أمل العودة. ولكنهم لم يعودوا.

---

(١) وعبد الرحمن البحر وصالح المغربي وعبد الرحمن الربيعة (أخو ابراهيم) وجاسم الكريديس.
(٢) الشامي: نقد من عملة تركية يقدر بثمانين فلساً.

سنـــة هيلـــــك

ليس لهذا الإصطلاح أصل في المعاجم العربية وإنما هو اسم اشتقاقي مكون من كلمتين ويسمى هذا في العربية (نحت)* مأخوذ من (هي لك أو هو لك). وذلك أن خلقاً من أهل فارس أصابتهم مجاعة فجاء عدد كبير منهم الى الكويت. فالرجل يحمل ولده أو ابنته فيقول لمن يملك الطعام (أطعمه وهو لك) أو (أطعمها وهي لك) شفقة ألا يموت جوعاً وقد حدث ذلك سنة ١٢٨٥هـ الى ١٢٨٨هـ. . . وقام أهل الكويت ببذل الطعام للمساكين وأنقاذهم من التهلكة حتى فرج الله لعباده. وقد بلغت الحالة لبعض أهل فارس أن باعوا بناتهم وشربوا الدم.

وممن لهم شهرة طيبة بالأطعام هم سالم بن سلطان وعبد اللطيف العتيقي ويوسف البدر ويوسف الصبيح وبيت الأبراهيم[١].

وأمتدت المجاعة الى الزبير وقد قصدها الجياع من البادية فبذل عبد العزيز أحمد الصانع لهم الطعام كما بذله محمد الفريح جد عبد اللطيف عثمان الفريح في الكويت.

وكان سبب المجاعة عدم سقوط الأمطار لسنوات متعاقبة.

---

* النحت طريقة في العربية وهو أن تمزج كلمتين أو أكثر في كلمة واحدة بأن تثبت بعض الحروف وتستغني عن بعض نحو:
«ما تعمعمقفت قط ولا تسر ولقعت قط» وتعني أني ما تعممت واقفاً قط ولا تسرولت. . قاعداً قط. . والقول منسوب للأمام على بن أبي طالب (رضي الله عنه) ومثلها. . حوقل الرجل أي قال لا حول ولا قوة إلا بالله. . ومثلها: هلل: أي قال: لا إله إلا الله وبسمل أي بسم الله الرحمن الرحيم. . وكبر أي الله أكبر.

(١) الشيخ يوسف عيسى القناعي: صفحات من تاريخ الكويت.

الشعيبـــــــة

الشعيبة هي موقع شمال الزبير بينه وبين الزبير ستة كيلومترات. هواؤها نقي لأرتفاع أرضها وماؤها عذب.. وأهل الزبير يقصدونها بعض الأحيان يأخذون منها الماء من آبار يحفرونها وقد ذكر أن الشيخ خالد المحمد الصباح وأخوانه أوكلوا أحد السقائين بهم لينقل لهم الماء خاصة على بعير يومياً.

وقد بنى بعض الموسرين من أهل الزبير قصوراً من الطين يخرجون اليها أيام الربيع تمتعاً بهوائها وفي الشعيبة وقعت المعركة المشهورة بين الترك والأنجليز ولما أنتصرت بريطانيا في هذه المعركة ١٩١٥م أقام الأنجليز في طرف منها مطاراً عسكرياً في مكان يسمى (أم شداد)[١] والى جانبه مقبرة سموها مقبرة شهداء حرب الشعيبة ١٩١٥م.

وفي الحرب الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥م بعد حرب العراق مع الأنجليز في ١٩٤١/٥/٢م وأنتصار الأنجليز.. أتخذوا من الشعيبة مستشفى لجرحاهم ومرضاهم كما جعلوا منها مخازن لمعدات الحرب سموها .B.O.D ,,, .S.P.D وقد عمل فيه كثير من العراقيين عامة بأجور وكسب في هذه المشاريع الكثيرون ولما أنتهت الحرب تركوا كل شيء[٢] بعد أن حملوا ميزانية الحكومة العراقية أثمان ما أنفقوا.

---

(١) سمى الموقع أم شداد لأن فيه تلين متقاربين يشبهان شداد البعير.

(٢) باعت القيادة العسكرية ما يمكن بيعه على التجار. ومما يلاحظ أن القيادة أكثرت من أعمالها في الحفر والبناء وقد تحفر ثم تردم وتبنى ثم تهدم وقد سكت نقوداً ورقية من غير غطاء والناس لآهون لا هّم لهم إلا العمل في الشعيبة والكسب من الدنانير الى أن أنتهت الحرب الثانية ١٩٤٥م.

سنـــــة هدامــــــة

وقع مطر غزير في بر نجد (من أرض الزبير) وأمتلأت الشعبان . . شعيب ديم خزام وشعيب أم شداد (الشعيبة) ثم أخذ الشعيبان يقذفان بالسيول على الزبير فأمتلأ ديم خزام وعبر على الباطن ومحلة (جُديدة) داخل السور وطغى الماء فأنهدم بيت العريج المقابل لبيت الزيد في المضيق الذي يؤدي الى الحصى فأنسد طريق السيل وطغى الماء فرجع الى الرشيدية وأحتل أفنيتها وصارت البيوت تنهد واحد بعد الآخر وشمل هذا الماء بيوت محلة الدرويش وأنهدم عراص العشرين . . ولذلك سميت سنة هدامة أو غرقة الرشيدية وقعت سنة ١٣١٤هـ وفي شيخة علي بن قاسم باشا الزهير.

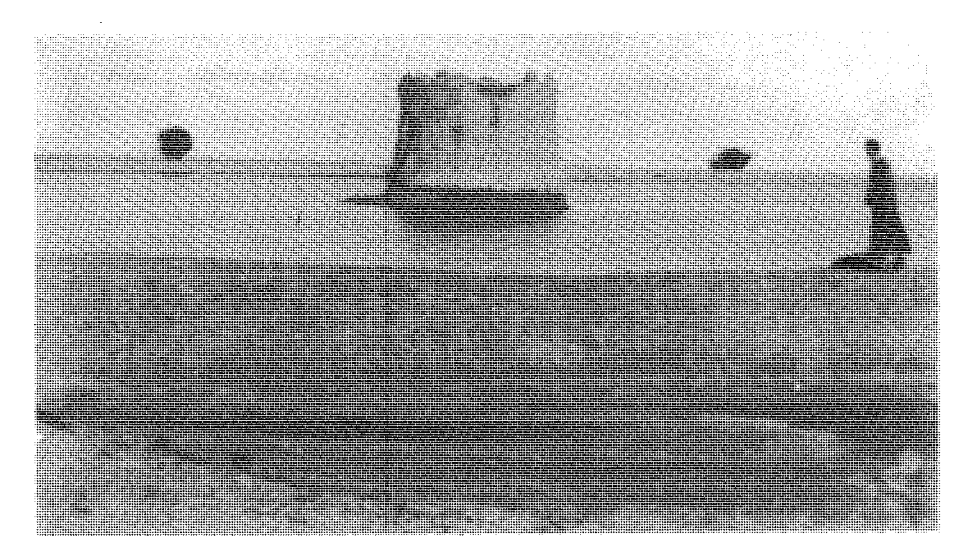
المـــاء الأســـود

وقع الماء الأسود سنة ١٣١٣هـ ويعني الماء الأسود ذلك الذي حدث عند طغيان مياه الأهوار أيام الفيضان حيث قذف بمياهه من الكرمة الى الأرض المجاورة باتجاه الجنوب الغربي للبصرة فغمرها حتى كان ما بين البصرة والزبير ويصب في خور الزبير من جانب أبي الخصيب غرباً .

وقد يقف جريان هذا الماء عندما يطغى ماء البحر (خور عبد الله) ويطلق عليه أهل البصرة والزبير (ماء البحيره) فيلتقي البحران هذا ماء عذب من الشمال وذاك ماء ملح من الجنوب ممتداً من الفرات الى خور عبد الله .

وقد استمر هذا الماء واقفاً لبضعة شهور. حدثنا الأشياخ أن طال هذا الوقوف الى عام كامل حتى تغير لونه ورائحته فأخضر وأسود فسماه الناس الماء الأسود وقد يبعث أوبئة جراء أنتشار البعوض والملاريا .

الــدريــهــمــيــــة



الدريهمية وقد أحاطت بها مياه الا مطار وذلك سنة ١٩٥٤
وأخذ الصورة محمد الحميدان

هي عيون ماء تقع في منخفض واسع لحد ما يمدها شعيب هو فرع من شعيب الباطن الكبير يقع جنوب الزبير على بعد أربعة كيلومترات يستقي منه أهل الزبير وهو ماء قليل العـذوبـة أشبه ما تكون آباره بالحسيان ضحلة وهو ماء لا يخلو من بعض الديدان المائية وكلما نضب ماء هذا الحسى ترك يوماً ليتجدد من الغد. ويتجدد الماء طبيعياً في هذه الآبار كلما جادت السماء بغيثها. . ويتفق إذا كانت السنة ممحلة فأن ماء هذه الآبـار ينضب تقـريباً وتتكاثر هذه الديدان فإذا جلبه السقاة الى البيت فيضطر صاحب البيت قبل أن يصبه في الحِبّ وضع منخلٍ أو قطعة قماش ليحجب السوافي والديدان. . ولكم جلبت هذه الديدان من أمراض. . . وحينما جلب الماء من شط العرب ١٩٣٦م أستغنى الناس عن ماء الدريهمية وأشرقت الوجوه بالصحة.

وللدريهمية تاريخ حافل في القديم والحديث فقد كان أهل الزبير يرون في الدريهمية منفذاً لهم حين عزت مصادر المياه في الزبير فلا عيون ولا أنهار ولا أمطار مدرارة ولذلك أحتلت الدريهمية مكانتها في النفوس . . فإذا سألت وأمتلأت رقعتها بماء المطر رأيت الناس يتباشرون فرحاً ويهنىء بعضهم بعضاً وإذا سقطت في برية الزبير يسأل أحدهم الآخر هل أصاب الدريهمية من هذا الخير؟ وهل سألت؟ فإذا كان كما تمنى حمد الله وذهب النـاس زرافـات ووحـداناً ينظرون هذا الماء الغامر وهو يملأ بقعة الدريهمية المحاطة بسور لحفظ ماء المطر[1] وما أروعه منظراً حين تحل تلك المناسبة . . ويبلغ أهمية هذا السيل أن أحدهم يعقد صفقة للبيع مع صاحبه فيتفقان على سداد الدين بينهما يوم تسيل الدريهمية .

وفي تاريخ الدريهمية القديم أن الرحالة الهولندي (تكسيرا) مر على هذه المنطقة في القرن السابع عشر الميلادي فوصفها أنها حفرة واسعة مستوية يقوم عندها سوق تجارية مؤقتة . . ينصب في يوم الثلاثاء تعرض فيه السلع والبضائع . . كما وصفه ابن بطوطه في رحلته أن الدريهمية منخفض تقوم حوله سوق كل يوم تمتد جنوباً الى أن تلتقي بالنهر المنحدر المسمى نهر الفيض الذي يمر بالجامع التاريخي والذي يصب في خور الزبير يقول ابن بطوطة : أننا مررنا ونحن نركب الصنبوق[2] بأتجاه الجنوب ونرى على حافتيه النـاس يبيعـون التمر واللبن والخبز والسمك المشوي وعهد ابن بطوطة سابق لعهد السائح (تكسيرا) وليس يبعد هذا النهر عن الدريهمية كثيراً .

وتنتصب أهمية الدريهمية بتواجد القبائل والسابلة حوله يتزودون منه بالماء كلما أزمعوا المسير من منطقة الزبير الى الجهات الآخرى من بلاد العرب .

---

(١) وفي وسطها قلعة منشأة من الطين اسطوانية الشكل يتراوح محيط قاعدتها بين (٢٠-٢٥) متراً تقريباً وأرتفاعها ثمانية أمتار أتخذت مرمى لحراسة هذا المورد وصد عادية الغزاة ومن دونها أخرى بينها وبين الزبير تقوم بنفس الغرض وثالثة بين هذه وسور الزبير قرب دروازة الدريهمية جنوب الزبير، ولكم شهدت هذه القلاع ملاحم بطولية لصد هذه العاديات .

(٢) مركب نهري يشبه البوم الخليجي غير أنه أصغر حجماً.

ولـو أرتفعنـا تاريخياً الى القرون الأسلامية الأولى لوجدنا الشيخ محمد النبهاني في تاريخه[١] يذكر أن السلطان معز الدولة في سنة ٣٣٦هـ سار الى البصرة لأنقاذها من يد أبي القـاسم عبد الله (البريدي) وسلكوا البرية من بغداد اليها فأرسل القرامطة من (هجر)[٢] الى معز الدولة منكرين عليه مسيرته هذه الى البصرة بغير أذنهم لأنها تحت أحتلالهم فأجابهم معز الدولة قصدي من أحتلال البصرة غيركم وستعلمون ما أقول ولما وصل جيش معز الدولة الى الدريهمية عسكر فيها وسلمت له البصرة وفر منها أبو القاسم البريدي الى القرامطة في الأحساء ومن هنا نعلم أن الدريهمية كانت مورد ماء تحرص عليه قيادة الجيش لتأمين الماء منه.

ونرتقي مع التاريخ الى أوائل العصر العباسي حين تولى خالد بن عبد الله القسري أمير العراق لأبي جعفر المنصور فسمع أن أحد الزنادقة وهو الجعد بن درهم طمع أن يعبث في أمن البصرة سار اليه وكان يوم عيد (عيد الأضحى) وقد قبض على الجعد وقدم الى المحـاكمـة فحكم عليه بالقتل وصعد القائد نشزاً من الأرض وقال: أيها الناس ضحوا ضحاياكم أما أنا فإني مضح بالجعد بن درهم[٣] وقيل إنما سمي الموقع بالدريهمية نسبة الى الجعد بن درهم في هذه الحادثة[٤].

ولا بد من عودة الى تاريخها قبل ان تهجر حصلت كسرة في سور الدريهمية مرتين[٥] فهب أهالي الزبير للنجدة وضربت الطبول ونادي المنادي في الأسواق (هلموا يا ناس لأمكم.. سور الدريهمية أنكسر..) كان ذاك النداء كافياً أن يسمع الناس جميعاً وهم يقولون: أمنا.. أمنا.. يجمعون الأكياس والكواني وكل ما يمكن أن يضعوا فيه الرمل

---

(١) التحفة النبهانية: ج١٠ ص ٢١٤.

(٢) فـي الأحســـاء.

(٣) سرح العيون شرح نونية ابن زيدون (مكتبة المرحوم خلف الشيخ خزعل في البصرة) وأنظر كذلك تاج العروس.. ج٧ ص٥٠٦ والجعد بن درهم مولى سويد من الغفلة صاحب رأي أخذ به جماعة بالجزيرة.

(٤) قال بعض الأشياخ من أهل الزبير وأنها سميت الدريهمية بهذا نسبة الى ابن دريهم أحد الزبيرين المزارعين فإنهم كانوا يستقلون من آبار في وسط بيوتهم أو قريباً منها وكانت هذه الآبار لا تدوم طويلاً فإما أن يغيض ماؤها أو يتغير نحو الملوحة حتى خرج أحدهم الى هذا الموقع من هذا الوادي فلما ظهر الماء وجده عذباً ودعا أصحابه فحفروا فكان ذاك. وكان صاحب الحظ فيه فنسبوه اليه وسميت الأرض دريهمية.

(٥) المرة الأولى سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م والمرة الثانية سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م.

يلقونه في طريق الماء من الكسرة . . وكان الماء قوي الإنحدار وشعيب الدريهمية يقدم من الجنوب فأحدث ثلمة في شمال السد فأتسعت فصار يعبر على الشرق بإتجاه جامع البصرة التاريخي وينحدر الى خور الزبير وكان يوماً عصيباً على أهل الزبير حيث كانوا يأملون أن تحتفظ الدريهمية بماء غامر[1] .

ويطلق أهل الزبير على الشعيب الذي يمد الدريهمية بالمكري وهو قديم وهو الذي سعى في كريه الحاج سعد الخليوي[2] والد ابراهيم الخليوي[3] .

وهو يأتي من الجنوب متصلاً بشعبان الذروية . . والذروية منطقة واسعة مرتفعة نسبياً .

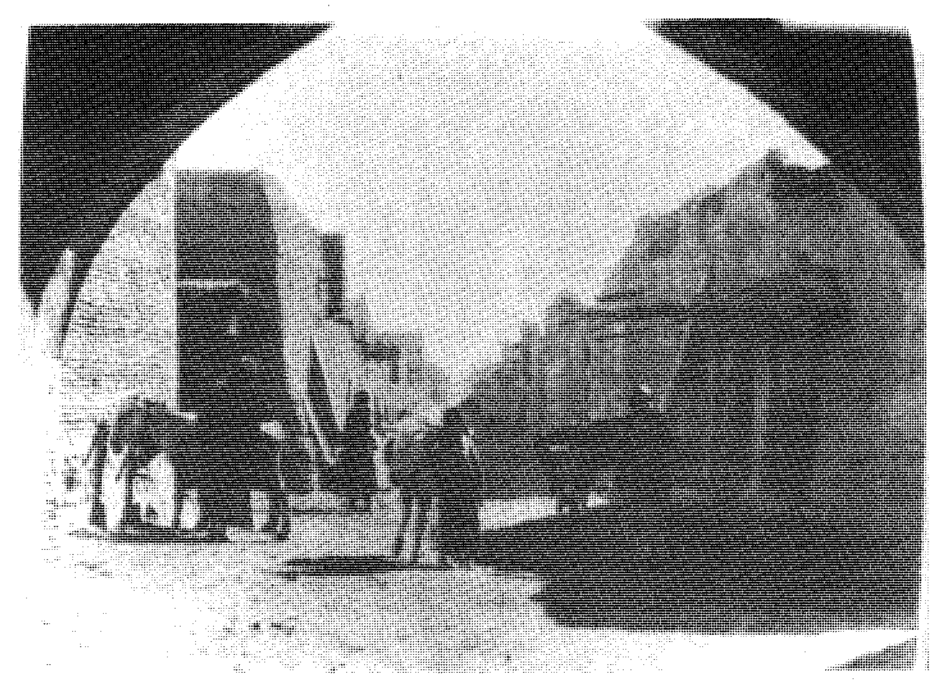
وهناك شعيب آخر ينهدّ من القبلة آخذاً من كري سعده المعروف عند أهل الزبير بالكري .

---

(١) وقد حضرنا هذه الحادثة ونحن صغار وشاركنا في العمـــل .

(٢) كان هذا الرجل محباً لعمل الخير العام فقد ذكر أنه باع قطعة من النخيل في الجنوب وصرف ثمنها على كريان هذا النهر (كنا يوماً نقوم برحلة ميدانية في هذه المنطقة أربعة من هواة البحث الآثاري : المؤلفان وسليمان الفيحان وخالد عبد العزيز بن المؤلف وقاسم رؤوف السيد أحمد الذي وضع سيارته في خدمة العلم والبحث مشكوراً فقد رأينا الشعيب المذكور ووقفنا على السور المتهدم إلا من بقية معالم وكان ذلك سنة ١٩٦٨م ورأينا الشعيب المسمى بالمكري وهو يشق أرضاً منخفضة قبل أن يتصل بالدريهمية . . وإذا سرحت النظر بعيداً الى جهة الغرب أتضح لك ذلك حيث يأخذ هذا الإنخفاض شكل وادٍ واضح المعالم بين نشزين وهو المسمى تاريخياً وادي السباع الذي ذكره ياقوت في معجمه وأنه يبعد عن البصرة بستة أميال وما سمى بوادي السباع إلا لكثرة السباع . . في أرضه والقريب منه الى الزبير يسمى وادي النساء حيث يخرجن اليه من البصرة يلتقطن الكمأة وفي طرف هذا الوادي كان مقتل الزبير بن العوام (رضي الله عنه).
ويوم إجتزنا الدريهمية جنوباً . . وقعنا على موضع يسمى العقيلة أتخذها أهل الزبير مزارع لهم وفي مرتفع . . من الأرض تقوم المرسلات الإذاعية وغير بعيد عن المنطقة نصل الى الذروية حيث الأشجار الكثيفة من الأثل وبعدها الى الرافضية التي صّحفت في الخرائط فسميت الرافدية حيث قصر النقيب الضخم الذي بناه السيد محمد سعيد النقيب جد هاشم النقيب . المؤلفان .

(٣) ومن صنائع هذا الرجل وخيراته أن عمل (سبيل) في منتصف سوق الحزم المجاور لدكان الحاج أحمد القناص وهي صخرة جبلية منحوته تملأ ثلاث قرب أو تزيد قليلاً وهي مسقوفة بالطابوق وعلق فيها كأساً (طاسة) مربوطة فيه ليشرب منه الصادر والوارد .



لبيع ماء الشرب وقد أخذت قبيل سنة ١٩٤٠

وأخذ الصورة محمد الحميدان

إن هذين الشعيبين يتصلان من الأعلى بشعبان سلمى والراحة وهذه مع تلك آخذين من وادي الباطن الضخم الذي أن فاض أكتسح كل ما أمامه وأقتلع الأشجار وقطع الأوتاد وقد تكلمنا عنه بإسهاب في مكان غير هذا.

وعلى ذكر الدريهمية والسقاة (السقاقي) تعود بنا الذكرى لأثبات بعض المسميات والمصطلحات التي كان يسمعها الزبير الصغير من الكبير.

فالأمطار اذا هطلت مدرارة تجري السيول ومنها شعيباً الدريهمية فيجري المكري الذي يأتي من الجنوب ويعب الشعيب الجبلي الذي يجري من الغرب فإذا اتفق أن اقبل الأثنان فإنما هو السيل الغامر الذي يملأ الدريهمية حتى الحافة وتتغطى الطوبة على ارتفاعها. فإذا سلم سدها وأحتفظت بسيلها فإن أهل الزبير بخير. يشربون الماء العذب طوال شهور السنة تقريباً.

ومن الجـدير بالذكر أن لكل سقاء قليباً (بئراً) أو بئرين وحقوقه فيها محترمة ولهذا فبعض السقاة من يمتلك أكثر من حمار. وهناك ما يشبه التحامي والتكافل المعروف بين السقائين، فلا يستحوذ أحد على حقوق الآخر ولو أن بئر أحدهم نضب من الماء وقربه لم تمتلىء بعد، دعاه صاحبه الى بئره. فإذا امتلأت القرب من هذا وذاك عادوا الى البلدة تهتـز قربهم على حميرهم وهي تلمـع نظافـة وتسمع للحمار نشوة حين ترن الأجراس (براشيم) في رقبته حتى تصل المحط (قرب سوق السمك حالياً) وتسمى هذه العودة الورود وما يقابلها الصدور فهي صادرة اذا أقبلت على الدريهمية وواردة اذا أمتلأت وهي عائدة.

وليس ملزماً أن يسوق كل سقاء حماره بنفسه حين الصدور بل قد ينيب أحدهم صاحبه على طريقة التناوب فيقوم بالواجب ويبقى صاحبه ينتظر. فإذا وردت الحمير ما هي الا لحظات حتى يستلم كل سقاء حماره يستاقه الى عملائه حيث أعتاد أصحاب البيوت تلك الطريقة ليضمنوا وصول درب الماي في وقته ويحترم كل سقاء أصحابه فلا يخلف وعده معهم ولو دفع له الثمن الغالي (وثمن الدرب الواحد أربع آنات)[1] وتسمى الزفة. . ويتفق صاحب الدار مع عميله بأجور شهرية. . ويحمل الحمار الواحد ثلاث قرب (عديلتان والوسطى). ويفرغها في الفنطاس وتكفي ليوم واحد وفيه كشكوله[2]

وآل الجيعان هم السقاؤن الذين بارك الله بعددهم الأب والأولاد والأحفاد وفيهم جيعان الجيعان ومزيد الجيعان وعبد العزيز الجيعان وسليمان وداود وعبد الرحمن وكلهم آل جيعـان. ومن السقـائـين عبـد الـرحمن المانع وأبو حمود العياضي وهو سقاء بيت الصباح. ويوسف السمحان وأبو أحمد الرمان وغيرهم.

وإذا كان الماء نبعاً جديداً يسمى بكراً ويكون على الغالب عذباً فإذا عتق يصبح ممتراً. وبعض السقائين لا يرتبط بعميل ويفضل أن ينادي بزفته في المحلات وهذا قد

---

(١) أربع آنات = ١٦ فلساً في سنة ١٩٣٢م.

(٢) الفنطاس أناء فخاري متين البناء يفرغ السقاء فيه الماء. . والحِبّ أصغر منه قليلاً وأرق وهناك البرنيه وهي أناء مفخر ومدور الشكل ثم الشرابي أو القراشي حجمها صغير جميلة الشكل رقيقة البنية لتبريد الماء ولكّلٍ محمل خشبي. . وهناك الكشكول وهو إناء مرجاني أسود اللون طولاني يغرف به الماء للأستعمال.

يفرض ثمناً أعلى نسبياً من غيره ويقول المشتري هنا: خل أذوقه فيفتح له القربة قليلاً ويشرب وهذه عادة جارية فإذا كان الماء حلواً أشترى وقد يكون العكس فيعرض عنه.

وتسع القربة ما بين ١٥-٢٠ لتراً تقريباً وإذا رأيت القربة مملوءة فيقال أنها ممزورة. وقد يمتدح السقاء الماء فيقول شرط.. شط (أي عذب كماء الشط).

أما الذين يصنعون القرب فهم عيسى وموسى الخراز وراشد الرجيب ويقوم عصر كل يوم سوق لعرض الحمير للبيع من أصحابها فيعرض أحدهم حماره فربما باعه وأشترى غيره في هذا السوق وهكذا تجد الجالب وتجد المشترى وتجد المتطلع. وهذا دلال ينادي بالشهري (الحمار الضخم) ومكان السوق في الحزم قبالة مخبز سعد حالياً. أي عند فتحة شارع السويلم الشرقية.

ومن الطريف بالذكر أنه بعد أن تحولت الناس عن الدريهمية ١٩٣٦م بقدوم الماء الجديد من شط العرب الى الزبير وأنتقال (المحط) الى (البراحة) للرّي من الخزان المبارك الذي يستوعب الكميات الوافرة من الماء العذب من شط العرب صرفت الحكومة السقائين الى هذا الماء وجعلت للخزان عدة صنانير تحيطة للري منها وجعلت للخزان حفظة من حراس وكتاب وفنين وجعل الماء يباع بالبطاقات (الكوبون) حفظاً للماء وسلامة التصريف.

والذي فاجأ الناس أن دائرة الصحة في الزبير منعت أصحاب القرب من أستعمال قربهم في نقل الماء وكان ممثل الصحة في الزبير (صوفي)[١].

---

(١) (صوفي) وأسمه عبد الحسن هندي جاء مع الحملة البريطانية في الحرب الأولى مضمداً من الهند في الجيش البريطاني.. ويوم طالب أهل الزبير الحكومة بتعيين طبيب لهم، لم تجد دائرة الصحة في ذلك الأوان إلا هذا المضمد فعينته موظفاً صحياً بصورة مؤقته الى أن يتهيأ لها الطبيب. وظل هذا (الصوفي) يتصرف وكأنه الطبيب الرسمي فراح بعض الناس يضفي عليه لقب دكتور ورأي نفسه أكبر من اسمه.

خرج يوماً على السقائين يقول: أن الصحة تمنع السقائين أصحاب القرب أن ينقلوا الماء بقربهم لأن القرب تحمل الجراثيم وسخر شرطة البلد لتنفيذ الأمر وقال: الماء لا يحمل إلا بالتوانكي ونفذ الأمر فعلياً وضج الناس لأن الماء منع عنهم وضج السقاة لأن رزقهم قطعة (صوفي) وأصحاب التوانكي قليلون وارتفع سعر الماء.. فما هي الا أن قامت مظاهرة صاخبة يقودها السقاؤون وكل واحد يحمل (محيانة)[1] ويمتطق حزامه العريض في وسطه وصاروا يهوسون ويلوحون بمحايينهم ويقولون: (يا صوفي زل عن دعواك» ويرفعون أصواتهم وحاصروه في البيت يريدون البطش به. فأتصل بالشرطة فحضر عدد من البوليس فلم يتفرقوا ووصل الخبر الى المتصرف ولما أستطلع الأمر أهتم كثيراً خاصة وأن أهل الزبير رفعوا البرقيات الى بغداد والبصرة وضج الناس كيف والماء عنصر الحياة. وكان وجهاء الزبير قد واجهوا المتصرف وحذروه مغبة الأمر اذا استمرت الحال فأسرع وخرج الى الزبير مع عدد منهم وقابلوا المتظاهرين وطمأنوهم وقالوا ليذهب السقاؤون من الآن ويستقون وأما أمر (صوفي) فأضربوا به عرض الحائط. فأنقلب الهياج الى الإبتهاج وشكروا المتصرف وأنطلقوا يستقون الماء من الخزان كما كانوا.

والذي ظهر بعدئذ أن (صوفي) مجتهد في رأيه ولم يكن هو أمر الصحة أساساً وإنما أراد به التقرب للصحة وأستجلاب رضاها.[2].

---

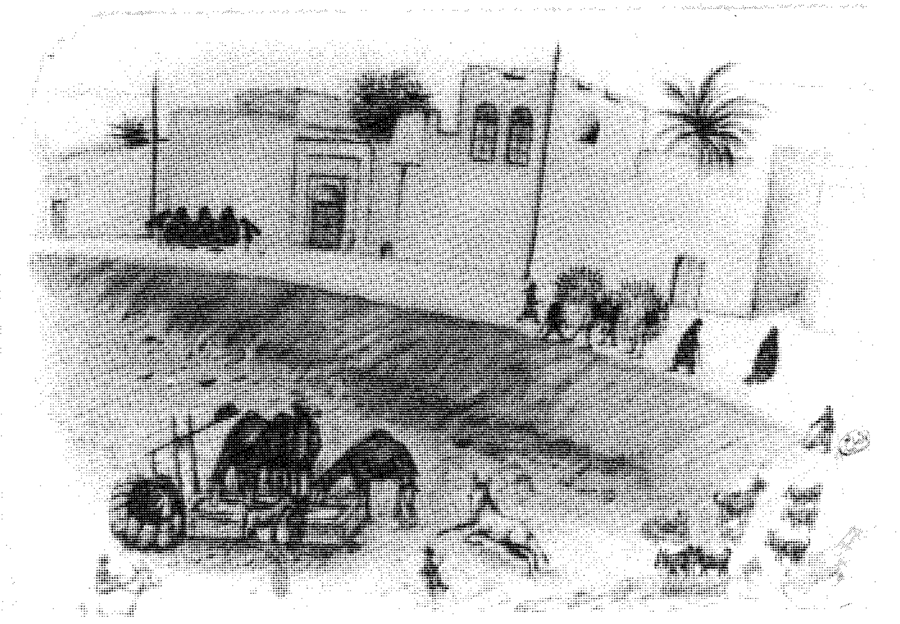
(١) المحيان عصا غليظة طولها (٦٠ سنتيمتراً) تقريباً محنى رأسها فسميت (محيان) وتؤخذ من شجرة السدر أو شجر الباسورق لقوته يساق به الحمار.

(٢) وظهرت في هذا المجال شخصية أحد الكتاب الأدباء الذي أشعل حركة الأضطراب والتلويح بها والكتابة في الصحف.. هو محمد عبد الرحمن الدخيل.

الحُسِيّ

يطلق اسم الحسى (وهو تصغير الحسو من الأحساء) على البئر الذي يظهر ماؤه من قريب والموضع بالزبير مشهور بهذا. والحسى منخفض من الأرض يقع في وسط البلدة تجري اليه سيول الأمطار وتحتجز فيه حتى اذا امتلأ خرجت الى الباطن الذي يفضي الى خارج البلدة من بوابات تقع الى جنب دروازة البصرة، مثلما دخلت من بوابة جنب السور من جهته الغربية، وقد تتخلف بعض هذه المياه في الحسى وتختزنها أرضه، عندما رأى بعض المحسنين[1] أن يحفر بئراً ويبني الى جانبه حوضاً لشرب الحيوانات.

وفعلاً حفر البئر ونصبت عليه (نازوحة)[2] وظل يعمل الى فترة طويلة من الزمن فإذا سال الحسى تغطت النازوحة. وفي العهد الأخير (في الخمسينات من هذا القرن) رأت دوائر الصحة العامة أن تردم هذا المنخفض (الحسى) وتحوله الى حديقة عامة.



الحصي وفيه النازوحة بئر لسقى الحيوانات ويرى بيت سالم الحميد فوق الحبس

---

(١) هو الحاج محمد بن فوزان الدليجان.

(٢) طوي البئر بحجر الصفا وهو واسع الفوهة. والنازوحة هيكل خشبي تعمل فيه (رمح من الجنا) ركبت الى طرفه دلو من الجلد وحجرة ثقيلة ما في الطرف الثاني ووظف لهذا رجل يمتح ويسقى الحيوانات الأهلية.

ديـــم خـــزام

هو منخفض من الأرض يقع غربي البلدة[١] تتجمع فيه سيول الأمطار التي يحملها شعيب سديره كما هو معـروف عند أهل الزبير وحينما يمتلىء ويعب عبابه يفضي الى مزرعة غرست بالنخيل والزروع فيغمرها فيخرج الى الباطن الأدنى من خلال بوابات ليصل الى منخفض الحسى كما قدمنا. ويخرج الناس ليتمتعوا بهذا المنظر الجميل وهم مغمورون بالفرحة والبهجة جراء الأمطار التى ملأت الأودية والنجود حتى سال ديم خزام وهو يعني أيضاً أن (بر الجبلة)[٢] ممطور فإذا أتفق أن هذا المطر جاء أيام الوسم الأول وهو من ١١ تشرين الأول الى ٢٠ تشرين الثاني كانت الفرحة في مكانها حيث يؤمل أن يكون ربيع العام غنياً بالبركة وأن البر سيكتسي بخضرة جميلة غنية تبشر بخير عميم خاصة اذا تتابعت الأمطار وأستغرقت أيام الوسم الصغير الذي يمتد الى عشرة من كانون الأول وما بعده.

ورأى بعض المحسنين أن يحفر بئراً ليرجع اليه بعض الفقراء ممن يثقله ثمن درب الماي الذي ينادي به السقاقي[٣] فحفر الحاج محمد بن فوزان الدليجان بئرين وطواهما بالصخر والجص[٤] كما قام عبد العزيز سعود الحميدان بحفر بئر ثالثة الى الشرق منهما.

وبنى في المحلة نفسها مسجداً[٥] ومشرباً للحيوانات (الأبل والأغنام) يصل اليه الماء من بئـر في المـزرعـة التى أنشأها وأوقفها وجعل ريعها لمن يرعى هذا المشرب الذي

---

(١) يظن البعض أن التسمية مأخوذة من قولنا (دم خزام) وأن هذا الموضع هو موقع معركة الجمل التاريخية وهذا خطأ شائع بحثناه في حديث معركة الجمل وتم تصحيح التسمية فليرجع اليه.

(٢) بر الجبلة أي الأرض الممتدة قبلة الزبير وما حوت من أماكن كثيرة أعتاد الناس غرسها بالأثل وأن يزرعوها بالقمح والشعير وفي ضمن هذا مواقع الركايا الزراعية التي تنتج البطيخ والطماطا والبصل والثوم كالبرجسية والقريطيات والنجمي وكويبدة ومسلى والراحة.

(٣) وهم السقاة حيث يحمل السقا الماء في ثلاث قرب على حماره وثمن الدرب كما أصطلح على تسميته محلياً بأربع آنات بالعملة الهندية قبل إستعمال الدينار.

(٤) وأحسن الحاج عبد الرحمن وشقيقه أحمد الصالح الذكير أن حفرا بئراً ثالثة الى جنبهما والماء عذب في الآبار الثلاثة، وقيل أن أحد هذه الآبار إنما هو لآل الحميدان.

(٥) مرت الإشارة الى المسجد والبئرين في حديث عائلة الدليجان (تراجم العوائل).

أصطلح على تسميته بالمدي[1]

ومما يتعلق بهذا الحديث أن هناك أرضاً في ديم خزام موقوفة على مسجد الدروازة لم يتهيأ لنا الوقوف على مُوقفها فقد أدعت وزارة المالية ملكيتها وأعترضت وزارة الأوقاف بأن هذه الأرض هي وقف على مسجد الدروازة حسبما تذكر سجلاتها الرسمية فأقامت دعوة امام محكمة البداءة في البصرة لتحديد وقفيتها أو ملكيتها[2] وتقدم شهود ثبوت من بعض أهل الزبير موسومة شخصياتهم بالصلاح وتبلغوا رسمياً يوم الخميس ٢٨ مارس ١٩٦٨م في الحضور للمحكمة التي ستعقد في مركز جمعية الأصلاح الإجتماعي بالزبير الساعة الرابعة الزوالية من يوم ١٠/١١/١٩٦٨م لأجل أداء الشهادة الدعوتية المتكونة بين مديرية أوقاف البصرة ووزارة المالية (الحاكم/ خليل الخطيب).

والشهود هم كما يلي:

١ - الشيخ ابراهيم المبيض.
٢ - الأستاذ عمران عبد الله العمران.
٣ - الحاج عبد الله سليمان المطلق.
٤ - عبد الله الجار الله.
٥ - أحمد عبد اللطيف البقمي.
٦ - عبد الله محمد المفوز.
٧ - عبد الرزاق عبد الله الوهيب.
٨ - جاسم محمد الجدعان.
٩ - سعد ناصر الحبيب.
١٠ - عبد الله عبد العزيز الدريويش.
١١ - سليمان ابراهيم المحطب.
١٢ - محمد عبد العزيز الدريويش.
١٣ - الحاج راشد محمد البلالي.

---

(١) المدي ساقية بنيت بالطابوق ترتفع قليلاً عن سطح الأرض بعرض متر واحد وبطول عشرة أمتار تقريباً وقد رأينا هذا المشروع تزدحم عليه الأبل العائدة لبعض رجال البادية وللشياه التي يسرح فيها رعاتها لأهل الزبير بعد عودتها من الرعي خارج البلدة.

(٢) أجمع الشهود على وقفيتها على مسجد الدروازة.

١٤ - الحاج صفران الراهـــــي .
١٥ - ريـــس الريــــــس .
١٦ - الحاج عبد الله الحمد التركي .
١٧ - الحاج داود الجعيلــــــي .
١٨ - ابراهيم الحاج حمود المحيسن .
١٩ - الحاج علــي المقيــــط .
٢٠ - الأستاذ عبد اللطيف ابراهيم السويدان .
٢١ - عبد الله بن حمد الهويمل .

امـــارة كويبـــدة

منزل صحراوي بناه آل الطوال وسكنوه منذ أربعة قرون فكان موقعاً محصناً عرف بأسمهم يقع شمال غربي الزبير ويبعد حوالي خمسة كيلومترات.

وكان أمراء الطوال وهم أجداد آل سعدون[١] يوم أحتلال البصرة من قبل الدولة العثمانية سنة ٩٥٣هـ هم شيوخ المنتفك[٢]. وكانوا يحكمون البصرة ويتنازعون حكمها هم وآل فراسياب. فللطوال حكم البادية ولآل فراسياب حكم شواطىء الأنهار (دجلة والفرات وشط العرب) الأولون من العرب والآخرون من مماليك الأتراك. كل هذا من قبل أن تختط مدينة الزبير.

ومن أشهر أمراء آل الطوال آل مانع ورئيسهم الأعلى الشريف مانع بن شبيب بن مانع[٣] وهو الذي أنجد علياً بن فراسياب عندما هاجم ملك العجم البصرة وردهم على أعقابهم فكان هناك حلف وتعاون بين آل فراسياب وآل مانع.

وفي هذه العائلة الحاكمة الشيخ مغامس بن مانع وفي عهده تقدم الأتراك العثمانيون الى العـراق بقيادة سنان باشا، واحتلوا بغداد وما دونها من بلاد الشمال، ثم واصلوا أحتـلالهم نحو الجنوب حتى اذا ما وصلوا القرنة سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٧م طلب من الشيخ مغامس بن مانع[٤] أن يسلم له مفاتيح البصرة ويكف عن حربهم. فبعث الشيخ مغامس برضائه وأختياره مفاتيح البصرة مع أبنه راشد الى السلطان العثماني فأبقاه على حكمه.

وبعد سنة واحدة ظهرت من الشيخ مغامس بوادر المخالفة وذلك أنه آوى اليه جناة وأشراراً بطريقـة الدخيل حسب العادة العربية[٥] فطلبتهم حكومة بغداد فأمتنع من

---

(١) وسموا بهذا قيل لأن حكم الشيخ فيهم يطول حتى ليبلغ الجيل أو يزيد (الجيل أربعون عاماً).
(٢) ومنهم الأجود وبنو مالك وبنو سعيد.
(٣) الشيخ محمد النبهاني: التحفة النبهانية: ج١٠ ص٤٥.
(٤) كان الشيخ مغامس يدير حكم البصرة والبادية.
(٥) هؤلاء الجناة هم من أتباع حاكم الجزيرة (فرج الله بن مطلب خان) والجزيرة هي الأرض المحصورة بين مدينة (واسط) التاريخية وهور سنية والغراف.

تسليمهم فصدرت الأوامر للجيوش بالتوجه الى البصرة بقيادة أياس باشا ٩٥٣هـ/ ١٥٤٥م وألتقى الفريقان عند الجزائر[١] وأسفرت المعركة عن انكسار الشيخ مغامس وفراره الى نجد.

ثم طلب العفو والطاعة من الدولة العثمانية فعفت عنه وعاد الى شيخته وطرد الجناة من بلده.

ولما أرادت الدولة تقليص حكم الشيخ مغامس وجدت لذلك أسباباً كان الشيخ يقوم بها ثم تركها وهي الأمتناع عن الدعاء للخليفة على المنابر أيام الجمع.. ولدى تحذير الدولة أصر على أمتناعه فكان هذا باعثاً الى تقليص حكمه، فساقت اليه الجيوش وأحتلت البصرة وفر الشيخ مغامس الى البادية وتحصن في كويبدة حتى ١١٢٠هـ[٢].

وكانت الزبير في هذه الفترة بلدة قائمة سمحت الدولة العثمانية لأهل الزبير أن يكونوا لهم إمارة تحمي البصرة من تعديات البادية وتحمي نفسها بوصف الزبير ثغراً صحراوياً.

وفي إنتهاء حكم آل شبيب على البصرة تكون هذه الأمارة (آل الطوال) قد حكمت البصرة والبادية ما يقارب قرنين من الزمان ونيفاً عاصمتهم كويبده خلفهم بعد هذه الفترة آل سعدون الذين كانت أمارتهم من قبل بلاد المنتفك وكلتا الأمارتين آل مانع وآل سعدون تنحدران من الشريف شبيب الذي يتصل بالنسب النبوي.

وظلت قبيلة آل سعدون تتمتع بالبادية الجنوبية للزبير بعد ما آل الحكم لهم. وذلك قبل أن تؤسس إمارة الزبير.

---

(١) هي الجزائر المتكونة من سواعد شط العرب وكانت كثيرة منها قرية بني منصور وقرية بني حميد ونهر عنتر ونهر صالح وديار بني أسد وديار بني محمد والفتحة والقلاع ونهر السبع ونهر صالح والباطنة والمنصورية والأسكندرية ومواضع أخرى وكانت الجزائر تشتمل على قرى عديدة معمورة وطوائف كثيرة وهي كثيرة المياه وعرة المسالك. النبهاني: التحفة النبهانية: ج١٠: ٥٣، ٥٤.

(٢) تمائم الدرر المخطوط: مكتبة باش أعيان العباسية في البصرة ومكتبة المرحوم ضاعن السمدان في الكويت.

آثاريـــات في كويبــدة

كويبــدة رقـم : ١

هناك ثلاثة أمكنة تتسلسل الواحدة بعد الأخرى بين كل واحدة وأختها مسافة ما. تقع الأولى بين الفهاد والبرجسية الى الشمال منها طريق البصرة/ الناصرية وتكون تلاً هرمياً تمتد أضلاعه الى (٢٠٠ متر) مبنى بالطابوق والجص ويرتفع عن مستوى الأرض من (٢-٣ متر) ويلاحظ من تخطيط الشكل أن هناك غرفاً وممرات وقاعات. أما الملتقطات الأثرية فنادره منها فخاريات ومنها مزججات ويجد الباحثون حين تسقط الأمطار بعض قطع من النقود نحاسية مطموسة المعالم لعلها ترجع الى عهود أسلامية قديمة ونحن نميل الى هذا الرأي لكون أن ترتيب المرافق والقاعات والغرف تشكل تخطيطاً عربياً بذوقه وتصميمه. ولو أن مديرية الآثار صرفت أهتمامها للكشف عن مثل هذا الأثر لاغنت الباحث وأغنت المتحف.

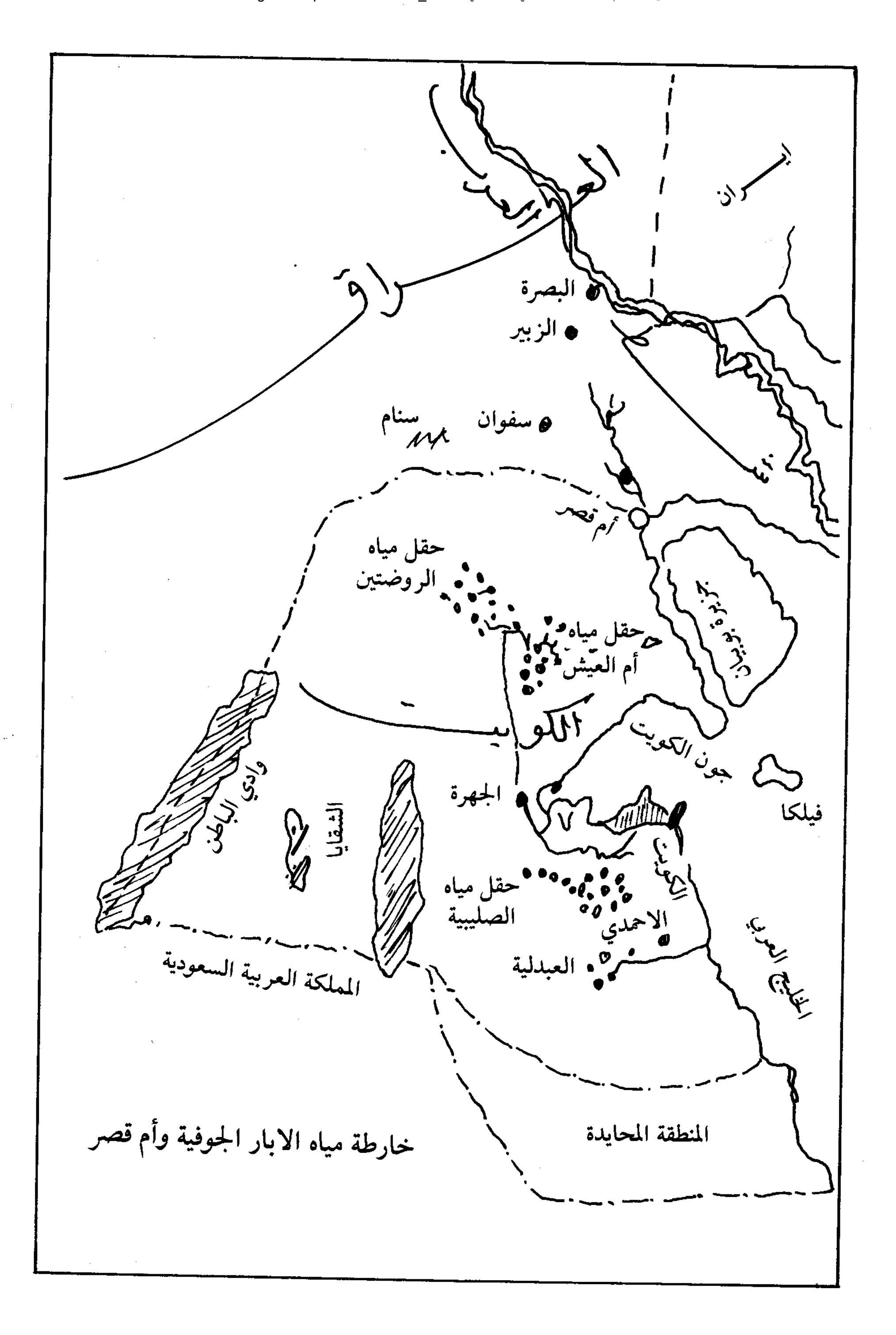
كويبــدة رقم : ٢

وهذه تقع شمال الأولى بمسافة (٥٠ متر) الى الطريق الموصل بين الزبير والناصرية، ويلاحظ في هذه ضخامة الحدود وأتساع المداخل والغرف والساحة التي تتوسط.. يلاحظ أن اللّبن والجبس هو المستعمل في هذا البناء وأهل الزبير يقدرون قيمة هذا الطابوق غير المحروق لأنه يعكس الحرارة فهم يفضلونه على الطابوق المحروق ولأهل الزبير تجاربهم الخاصة، ويلاحظ أن جدران هذا القصر قد طليت بالجبس من الداخل والخارج وقد ينسب البناء الى عصر اسلامي يتأخر عن سابقه.

كويبــدة رقم: ٣

وهي التلال البسيطة التي تتوسط الأثنين وليس فيها من جديد بأكثر مما في السابقتين ويطلق البعض على هذه باسم ضليعات والذين يخرجون للتنزه وقضاء بعض الوقت في فصل الربيع يعرفون مواقع هذه الآثار.

على أن هناك مواقع أثرية كثيرة تنتشر في هذه المنطقة منها النخيلة والرميلة والتلعة ولوذان والبرجسية ويجد المتتبع آثاراً حية في كل ما ظهر بعضها وخفي بعض..


العراق
إيران
البصرة
الزبير
سفوان
سنام
أم قصر
حقل مياه الروضتين
حقل مياه أم العيش
جزيرة بوبيان
الكويت
جون الكويت
فيلكا
الجهرة
وادي الباطن
الشقايا
حقل مياه الصليبية
الكويت
الاحمدي
العبدلية
الخليج العربي
المملكة العربية السعودية
المنطقة المحايدة
خارطة مياه الابار الجوفية وأم قصر

ام قصــــــــر

لعل أول من كتب عن تاريخ ام قصر هو السيد هاشم الرفاعي أحد أبناء الزبير في اعداد من جريدة العراق[١].

وتقـع ام قصر على خور عبد الله على خط طول ٧٥٧ـ٤° شرقاً وعلى خط عرض ٠١ـ٣° شمالاً ، وكانت المنطقة تسمي (الصابرية)، ومضي لام قصر تاريخ زاهر، كانت عمارتها في عهد أحمد بن رزق التاجر المشهور في القرن الثالث عشر الهجري[٢] وبني فيها قصراً طارت شهرته في الآفاق وبه سميت ام قصر.

ثم جاء الشيخ يوسف الابراهيم الكويتي[٣] في أوائل القرن الـ ٢٠ م فأبتني له فيها قصرين في منطقة لا تبعد كثيراً عنها تسمي «الحجيجية» كان القصر الأول في شمالها والثاني في جنوبها. وام قصر لاتبعد عن بلدة الزبير بأكثر من ٧٥ كيلومتر. وكان الشيخ يوسف تاجراً هو الآخر ايضا وكانت التجارة آنئذ تأتي في السفن من موانىء الخليج العـربي ومن الهند ومن خليج بنغالاً كما تأتي من موانىء أفريقيا فتفرغ حمولتها في أم قصر[٤] . حيث لم تكن الفاو على خليج البصرة مهيأة للتفريغ.

وكانت هذه القصور قد أتُخذت مسكناً تنتظر فيها التجارة ومربعاً ومشتي أيام الربيع والشتاء نظراً لأكتسابها جواً طيباً من نسيم البر والبحر. وأرض أم قصر عالية تعلو عن مد البحـر ومنبسـطة مع مستوى الأرض وهي تصلح للزراعة إضافة الى صلاحيتها وصمودها لمد طرق السكك الحديدية عليها فقد جلب لها الحجر الجبلي من جبل سنام الذي سويت به سواحلها فيما بعد لتقوم عليها الأساكل (الروافع).

---

(١) جريدة العراق صاحبها رزوق غنام كانت تصدر في بغداد في الثلاثينات من القرن العشرين الميلادي.

(٢) أحمد بن رزق هبط من القصيم وسكن «الزبارة» التابعة للبحرين توفى ١٢٢٤هـ.

(٣) يوسف آل ابراهيم آل ريهان من ثرمده.

(٤) كانت تجارة الشرق تنطلق من هذا الميناء البحري الى كافة بلاد الشرق عن طريق القوافل من الأبل.

ثم كان ميناء أم قصر مقصوداً من قبل الألمان والترك لأنشاء خط حديدي عليه أطلق عليه خط «برلين/ بغداد» ولم تتحقق هذه الرغبة لوقوع الحرب العظمى الأولى سنة ١٩١٤م وأم قصر تكون مع ميناء الصبية وكاظمه خطاً ساحلياً متقارباً.

ثم أخنى الدهر على القصور والميناء حتى عادت أم قصر موقعاً رمزياً كتب أحد الضباط في العهد التركي الأخير هو السيد محمد رؤوف في كتابة مراحل الحياة في الفترة المظلمة(١) يصف أم قصر وسفوان وكيف أوكل اليه أمر المحافظة عليهما وعلى المنطقة وذكر أن في أم قصر وسفوان دورية من الجنود وكانت الزبير آنذاك في مشيخة خالد باشا العون وذكر أن هناك قلعة في سفوان فيها سرية من الجنود مع ضابط واحد اسمه جميل أفندي بن نجيب باشا(٢) وقد وصف لنا المنطقة وصفاً دقيقاً وذكر أن هناك قلعة في أم قصر وأخرى في سنام وقلعة في الدريهمية قرب الزبير هذا كله يدل على أن المنطقة مهيأة لخطط حربية تنتظرها وهذا الظرف يقع في حدود ما قبل الحرب العالمية الأولى بسنوات، ولم تستغل المنطقة لعمليات ما.

ثم رأينا أم قصر ما قبل الحرب العالمية الثانية تتخذ مصائد للأسماك ومرابع للنزهات يخرج اليها أيام الربيع وظلت كذلك حتى وقوع الحرب العالمية الثانية فإذا الأستعدادات من قبل الحكومة العراقية تنشط بإيعاز من الحكومة البريطانية بحجة الدفاع عن العراق وتنفق عليها الأموال الطائلة لترصيفها وتحصين موقعها ولكن الأمر لم يقع كما أريد لها فمضت الحرب العالمية الثانية دون الحاجة الى إستعمال ميناء أم قصر وعادت الى الإهمال ووقعت نهباً بيد القرصان من البر والبحر. . وفي العهد الأخير أي في الخمسينات من هذا القرن تعود اليها الحياة مرة أخرى لتصبح موقعاً بحرياً له أهميته المستقبلية.

---

(١) سيد محمد رؤوف: مراحل الحياة في الفترة المظلمة ص٢٥١

(٢) في وصفه هذا يكون الجنود في هذا البر المقفر لا هم الا طبخ الطعام وأكله والنوم والكسل المستمر ووظيفته الخفر في باب القلعة وفوق السطح يتناوبونها وبكثرة لا يضجرون فبتنا هناك في ضيافة الضابط وعند الصباح أرسلوا معنا جندياً يدلنا على أم قصر.

النقر والحوط في الزبير:

كان للبعض من أهل الزبير أراضي خاصة يزرعونها خارج البلدة يزرعونها الحنطة أو الشعير فلا يزرع فيها غيرهم، ولبعضهم حوط «جمع حوطة» مسورة فكانت هذه الحوط تزرع الأشجار والنخيل والأثل كذلك. ويحفرون بها بئراً يسقي الزرع وتمدهم السماء بغيثها كذلك.

ومن هذه النقر نقرة المهيدب[١] وتقع في شرق البلدة خارج السور يوم كان الزبير محاطاً بسور[٢] ونقرة الشيخ الواقعة شمال البلدة خارج السور يملكها الشيخ محمد العبد الجبار، ونقرة حويكم[٣] وأدركناها خربة تلقي بها القمائم.

ومن النقر المشهورة نقرة الدريهمية التي أصبحت مجموعة آبار لأهل الزبير يستقون منها.

وهناك «بحيثات» وهي حفر يتجمع فيها ماء السيل ثم تبتلعه الأرض فيحفرون فيه فيقعون على ماء وماؤه عذب كبحيث الفارس في الشمال من البلدة وبحيث برزان ويقع في شمال البلدة كذلك.

ومن الحفر حفرة وبحيث المتياهة وهي بالقرب من بيت الشيخ حمود الصباح وحولها بقشة فيها بعض الأشجار.

ومن البقش بقشة الشماس بمحلة الحصى وبقشة الفداغ بمحلة الزهيرية وبقشة التركي.

---

(١) النقرة أرض واسعة محددة تستعمل لزراعة الحنطة أو الشعير وتكون أوطأ من المستوى.
(٢) أزيل السور أيام الحرب العالمية الأولى وأمتد الأنهدام وتكامل في حدود عشر سنوات.
(٣) وحويكم هو مجرد شخص عادي.

ومن الحـوط حوطة البسام وهو الحاج عبد العزيز وحوطة الصالح لمحلة الرشيدية وحوطة الرشيد وتسمى مجمع الرشيد .

وهنـاك جواخـير محاطة بحائط دائر لها باب كانت لحفظ الحيوانات للأبل والغنم كجاخور الغملاس في ديم خزام وجاخور الفارس في الرشيدية .

أما أساس هذه الحفر والنقر فإنه لما نزل أهل الزبير هذه الأرض وخططوا منازلهم كانت مادة البناء ثلاثة عناصر الأول التراب لبناء البيت والثاني الطابوق يأخذونه من الحفريات الخربة والثالث الجص يصنعونة صناعة يدوية يعقدون به مع الطابوق منازلهم سقوفا ، وقد تكون السقوف احيانا بالخشب فكانوا يحفرون الحفرة للحصول على التراب وتكبـــر الحفرة بقدر ما يأخذون ترابها[1] .

والحفر التى أحصيناها تكونت عن هذا الطريق ثم كانوا يجلبون التراب من خارج البلدة بكميات كبيرة ومن هذا التراب بنوا سور الزبير وبنوا البيوت .

ولكل من هذه العناصر الثلاثة حديث مستقل سنأتي عليها بشيء من التفصيل في الصفحات التالية .

---

(١) ان أصحاب البيوت الأولين لما حفروا تلك الحفر بقصد الحاجة لترابها كما أشرنا أعلاه ظلت هذه الحفر عثرة بين البيوت . فرأى أحد المحسنين أن يحفربها بئراً يسبلها للمارة فكانت هذه البحيثات وربما زرع حولها الأشجار فكانت بعض الحوط والبقش وربما سجلها أحدهم باسمه فلم يعارضه أحدفذهبت كذلك .

تخطيـــط الزبيــــر

يطلق على تعبير التخطيط هندسة المدن، وموقعها من حيث اتجاهها من الشمال أو الجنوب أو الشرق أو الغرب نسبة الى موقعها من جبل أو بحر أو علماً من أعلام المكان بتلك المنطقة.

وعادة حينما تختار المدينة أو البلدة إنما تختار لغرض مقصود ومكان استراتيجي فيه لأكثر من فائدة لترتبط ارتباطاً حيوياً من حيث الأرتزاق أو الدفاع أو المناخ أو التربة.

وبلدة الـزبير اختارها النفر الأوائل الذين مصروها لحاجات هي ألصق ما تكون بأسلوب المعيشة التى ارتبطوا بها.

أساساً اختاروها لتوفر مميزات معينة:

١ - ارتفاع المكان بالنسة الى وخامة المستنقعات والهواء الذي يأتي من شرق الزبير.
٢ - اتصال الزبير بالصحراء لسهولة الأتصال بالقوافل التى تربطهم بنجد والكويت. هذا جغرافياً موقعياً.

أما من ناحية العادات والتقاليد والأعراف فقد رأوا أن يحتفظوا بها ورثوا من عادات أهل نجد وتقاليدهم اعتزازاً بسلوكياتهم وشخصياتهم لأن من يجاورهم يختلفون عنهم، في هذه الناحية اختلافاً بيناً فلا يرغبون أن تذوب شخصيتهم في خضم مجتمع غريب.

اختاروا أرض الزبير اليوم بحدودها المعروفة لما تقدم آنفاً ولقرب بعض الآبار ذات الماء العذب ليتخذوا منها مورداً لهم ولحيواناتهم ولزراعتهم. كذلك لوجود مورد كبير من الأحجار وهي بقية آثار البصرة القديمة يبنون منها بيوتهم.

أختـطوا أول محلة للبلدة فكـانت . . «محلة الكـوت»[1] الواقعة قريباً من ضريح الصحابي الزبير بن العوام رضي الله عنه . . ثم بدأ الناس ينزلون حولهم ثم تكاثر الناس الذين أحبوا مجاورتهم فأختطوا منازلهم الى الشرق منهم وتركزوا هنا فكانت «محلة الديرة» وقد بنوا لهم مسجداً جامعاً كما أنشأت حكومة الأتراك العثمانيون مسجداً على ضريح الـزبـير بن العـوام سمى هذا بمسجد الزبير وسمى الآخر بمسجد النجادة وسبب التسمية هو أن أهل الزبير عندما صلوا فيه الجمعة الأولى كانوا قد دعوا اليها الرياحي من الرياحيين من أهل الجبيلة في شمال العشار ولما خرج الرياحي وهو رئيس قبيلته من صلاة الجمعة قال «النجادة بنوا لهم مسجداً» فراح اسماً للمسجد من يومئذ وكان ذلك سنة ١٠١١هـ ولما هدم سنة ١٣٧٣هـ لأول مرة وجد البناؤون أن داخل الجدران لم تتغير.

ثم اتصلت الديرة امتداداً بما قبلها وبما بعدها حتى سميت «الدرواز» وأساس هذه التسمية أنها اتصلت بدروازة البصرة التي هي إحدى أبواب السور من جهة الشرق المقابلة للبصرة، ثم أمتدت البلدة نحو الجنوب واتسعت للساكنين فكانت محلة «دروازة الدريهمية» وسميت بهذا لأنها تلاصق بوابة السور المقابل لآبار الدريهمية.

ثم امتدت البلدة وتكاثر السكان فامتدت نحو الشمال فسميت محلة «الشمال» . . ثم ملىء الفراغ ما بين الشمال والوسط فكانت محلة «البراحة».

تلك هي المحلات الرئيسية ببلدة الزبير ثم أن الكوت تنامت أيضاً وأمتدت نحو الجنوب الشرقي وأمتلأ فراغ كان بينها وبين «دروازة» الدريهيمة فسميت «عتية» وبنيت الأسـواق وتـوسعت فكـانت هناك ساحات داخلية فسمى المكان الذي وسط البلدة «بـالحزم» وكانت تجتمع فيه بعض القوافل والآباعر المعّدة للذبح ثم امتد هذا الحزم فكان الحزم الأوسط منه والحزم الصغير وكان يجلس فيه بعض العربان وربما ناموا فيه ليلهم وكـان من حولهم التجـار أصحـاب الـدكاكين الذين يتعاملون معهم يبيعون

---

(١) من المحلات الفرعية محلة المجصة التي تقع داخل السور ما بين البراحة والزهيرية جنوباً شرقياً وهناك. القجة وهي فرع من محلة الزهيرية باتجاه الجنوب.

ويشترون وكان لبلدة الزبير سور يحيط بها وله أبواب وقد مر ذكره فلما ضاقت البلدة وتداعى السور لم يجدوا حاجة الى تجديده فهدم وبنوا بترابه بعض الدور فكانت محلة «الرشيدية» في شمال البلدة وكانت محلة «الزهيرية» جنوب شرقي البلدة. ثم كانت محلة «ديم خزام» قبلي البلدة.

أمّا شكل البناء وتصميمه فيشترط فيه وجود مبنيين أساسيين هما الحرم والديوان[1] فالأول لسكنى العائلة والثاني لأستقبال الضيوف وبعضهم يصمم أيضاً لبناء الجاخور وهو حظيرة للحيوانات وكان البيت في مجموعة من الخارج يرى وكأنه قلعة متانة وأحكاماً. والحائط المبنى من الطين فقط ويسمى «عرق والجمع عروق» وكان عرض العرق متر وارتفاعه نصف متر وترص هذه العروق يبنى الثاني بعدما يجف الأول فترتفع ما بين خمسة أمتار الى ثمانية وهذا الإرتفاع مع عرض العرق يعطي جو الدار «الحجرة» برودة في الصيف ودفء في الشتاء الى حد ما.

علماً بأن هذا البناء في دور البيت تخلو من الشبابيك جلباً للحشمة والستر. ويجعلون في أعلى هذا الحائط وقريب من سقف الدار فتحة أو عدة فتحات تسمى «كوة جمع كوى» جعلت ليخرج النفس والدخان وفي وسط الحجرة التي خصصت لجلوس العائلة أو الأخرى التي هي للمطبخ «كانوناً» يحفر على شكل هندسي يطبخ فيه وتعمل فيه القهوة والشاي وكان الطبخ يومئذ بالحطب وقد يشعلون «الجلة» وهي بعر الإبل يلقطها الذين يحتطبون خارج البلدة فإذا يبست أشعلت مع بعض الحطب وتكون ناراً قوية وربما تصعد الدخان فملأ جو الغرفة وربما دمعت العيون خاصة أيام البرد والشتاء ويصر بعضهم فلا يفتح الباب ولا الشباك ويقول «دخانها ولا هبوب شمالها» حتى تصفوا النار ويتنفس الصعداء.

في بعض الغرف رفوفاً في وسط الحائط ليست في متناول الأطفال يضعون عليها بعض الحاجات وأدوات الزينة، أما مساحة الدار فتتراوح ما بين ثلاثة الى أربعة أمتار

---

(١) يفصل ما بين الحرم والديوان المدربان وهو المنفذ بينهما لإحضار الحاجات مما هو في خدمة الضيوف ولكل منهما باب خاص. فالضيف يطرق باب الديوان ويدخل منه ولا يجوز غيره كذلك المرأة لا تدخل إلا من باب الحرم. ويعتني بصنع باب الديوان بخصوص كبر حجمه.

ووجدنا بعض البيوت القديمة لا تزيد عن مترين × ثلاثة أمتار وأرتفاعها لا يزيد عن مترين كما أن بعض الدور في بيوت أخرى في أوائل هذا القرن ما بين خمسة الى ثمانية أمتار وترتفع الى تسعة أمتار.

أمّا التسقيف في البيوت القديمة فهو بالخشب «الجندل» الذي يجلبونه من الهند ومن دونه «البواري والقصب» الذي يكثر بالأهوار وبعضهم يسقف بخشب الأثل للبيوت المتواضعة ويعمر البيت من هذا النوع عشرات السنين فإذا بليت أخشاب السقوف كشفوها وجددوها وبعض البيوت تسقف بالطابوق والجص بطريقة فنية تسمى العقادة ويفصل ما بين «خن» وآخر بنموذج من البناء على شكل قوس يصنع على الأرض أولاً يسمى الكمر[1] تعقد على جانبيه عقادتان بالجص والطابوق ويتفنن (الأسطوات) البناءون في صنع هذه العقادة على الشكل الجميل والبناء على طريق هذا النوع طويل العمر يمتد الى أجيال.

ويعتني أهل الزبير في الحجرة بطلائها بالجص الناعم باستخدام المساحة «مالج» لتبدو صفحة الحائط صقيلة بيضاء ثم يجعل لبعض الدور منفذاً أو أكثر ينفذ الى خارج لصيقاً بالحائط ماراً بالسقف يسمى «باكدير» ووظيفته أن يدخل الهواء ويعمل له من الأعلى موانع عن المطر وهو لا يؤثر على دخول الهواء حين ينزل الى الحجرة ليلطف من جوها. . كان يصنع ذلك قبل أن تدخل الكهرباء الى الدور.

ويعتني أصحاب الدور بصنع الأبواب والشبابيك عناية فائقة من حيث اختيار نوعية الخشب والنقشات الخشبية وتصنع بلونين متجانسين كما تعطي القضبان الحديدية التى تخترق خشبات الشبابيك جمالاً آخر. . وقد يضع صاحب البيت منخلاً من المعدن يمنع

---

(١) هو تركيب من البناء يصب على مفرش من الرمل على شكل نصف قوس دائري من الجص بسمك ٤سم وعرض ٨سم أو بنحو منها ثم يصب فوقه مثله هو أخ له بعد وضع طحين من الأجر الأصفر يفصل بينهما مسبوقاً ذلك باستعمال عيدان طويلة من البواري أثناء بناء هذا التركيب والجص حار قبل أن يجف ليشد بعضه الى بعض ثم يعمل مثله تماماً في مكان آخر ويتركان حتى يجفا والجص قوي التركيب سريع اليبس حتى اذا اشتدا يفصل ما بين التركيبين من خط التماس بالسكين مع التأني ليتكون لدينا أربعة أقسام ثم ترفع بحذر لتأخذ مكانها من موضع العقادة في منتصف الحجرة فيتناظر كل قسمين من جهة تقابلهما القسمان الآخران من الجانب الثاني فيتكون لدينا «كمر» نصف دائري يتوسط الحجرة. وهو مأخوذ من تصاميم البناء العباسي.

دخول الذباب وما سواه من غشيان الحجرة. . أمّا ما فوق التسقيف أي على سطح الدار[1] فيحكم صنعه بحيث يمنع تسرب مياه الأمطار.

وتوضع المرازيم ويحكم صنعها لتمر منها مياه الأمطار الى الخارج. وتزين الشبابيك المصبوغة مع قضبانها كلاً بلون. وتدخل الحجرة فإذا هي مجملة بالبردات على الشبابيك وتكون عادة من الكتان المشجر أو الحرير المخطط أو المطرز الخفيف أو الثقيل تبعاً لجو الصيف أو الشتاء وتفرش بالمقاعد والمساند والشراشف. وتزين جدرانها بالمرايا كبيرة الحجم المؤطرة بالأطر المصبوغة بماء الذهب معلقة على الجدران. هذه صورة شكلية مجسمة للبيت حسبما يظهر للرائي حين يراه من الخارج وربما تقحمه العيون ولكنه من الداخل يبهج النفس ويفتح العيون.

ويجعل البعض في ساحة البيت حديقة يزرعها أشجاراً ووروداً الأمر الذي يضفي على منظر البيت رونقاً وجمالاً.

ونظراً لطبيعة جو الزبير الحار الجاف فإن الشجر يتعثر ويتلوى فما تنجح الحدائق في البيوت بالمستوى الذي تكون فيه الحدائق في البصرة ذات الجو الرطب.

إلحاقاً بحديث البناء وهندسته في بيوت الزبير. ألتقينا بالبناء المخضرم الحاج خلف النصيب البالغ من العمر ١١٠ سنة والذي سبق أن تولى بناء بيوت كثيرة لأهل الزبير.

دعاه الأستاذ عبد العزيز سعود البابطين لنأخذ منه حديثاً لتاريخنا في هذا الصدد. وكان الأستاذ البابطين جزاه الله خيرا يدعو بعض الزبيرين المخضرمين ممن يجمع بين قوة الذاكرة وضبط الحديث ليجرى معه تسجيلا بالفيديو. فكان هذا السؤال: على أية

---

(١) تغطي العقادة من فوق بطبقة خفيفة من الجص تسمى «شربت» ثم يملأ ما بين ثنايا السطح بطبقة من حول العقادة ثم من بعده التراب يسوى به السطح عموماً ثم يمسح بعدئذ بالطين الممزوج بالتبن وهذا الطين له تركيب خاص يردد بعضه على بعض لثلاثة أيام حتى يكون كالعجينة اللازجة وهذا من طبعه اذا جفّ لا يسمح بنفوذ المطر ويسمونه «الغيلة».

طريقـة كنتم تبنـون البيوت وهـذه (العقـادة والكمـرات المقـوسة) وعن من أخذتم هندستها؟ فقال: رأينا أساتذتنا أمثال الحاج يوسف العومى وعبدالله العريج.
فقال عبدالعزيز البابطين: وهؤلاء ممن أخذوها؟ فقال الحاج خلف: كان هناك أساتذة بناء هم الذين أخذ عنهم العومى والعريج يسمونهم (الطرمان) وقد سألت أنا العومى عنهم فقـال لى: هم شيوخ أساتذتنا لم ندركهم وكانت تلك طريقة صار عليها أهل البصرة القديمة.

ويجعل البعض في ساحة البيت حديقة يزرعها أشجاراً ووروداً الأمر الذي يضفي على منظر البيت رونقاً وجمالاً.

ونظراً لطبيعة جو الزبير الحار الجاف فإن الشجر يتعثر ويتلوى فما تنجح الحدائق في البيوت بالمستوى الذي تكون فيه الحدائق في البصرة ذات الجو الرطب.

إلحاقاً بحديث البناء وهندسته في بيوت الزبير. ألتقينا بالبناء المخضرم الحاج حلف النصيب البالغ من العمر ١١٠ سنة والذي سبق أن تولى بناء بيوت كثيرة لأهل الزبير.

دعاه الأستاذ عبد العزيز سعود الباطن لنأخذ منه حديثات لتاريخنا في هذا الصدد. وكان الأستاذ البابطين جزاه الله خيرا يدعو بعض الزبيرين المخضرمين ممن يجمع بين قوة الذاكرة وضبط الحديث ليجرى معه تسجيلا بالفيديو. فكان هذا السؤال: على أية طريقـة كنتم تلبـون البيوت وهـذه (العقـادة والكمـرات المقـوسة) وعن من أخذتم هندستها؟ فقال: رأينا أساتذتنا أمثال الحاج يوسف العومى وعبدالله العريج.
فقال عبدالعزيز البابطين: وهؤلاء ممن أخذوها؟ فقال الحاج خلف: كان هناك أساتذة بناءهم الذين أخذ عنهم العومى والعريج يسمونهم (الطرمان) وقد سألت أنا العومى عنهم فقـال لى: هم شيوخ أساتذتنا لم ندركهم وكانت تلك طريقة صار عليها أهل البصرة القديمة.

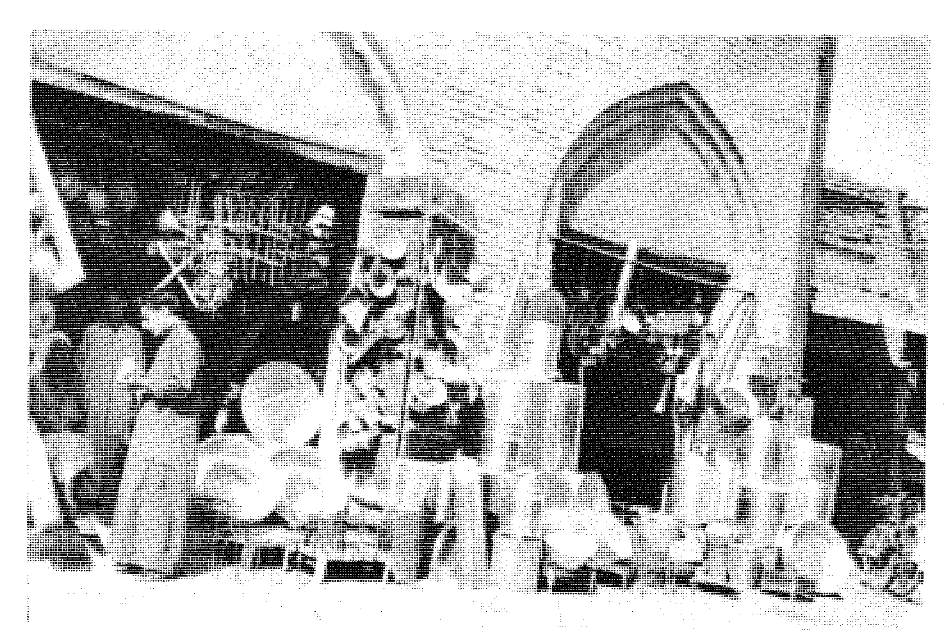
هؤلاء الطرمان لعلهم من بقايا سكان البصرة القديمة المنقرضة سنة ٨٠٠هـ ورثت تراث بغداد في طراز البناء والتي منها ما رأيناه في سوق الغزل التابع لجامعة المستنصرية القديمة في بغداد ومنها طراز قصر الأخيضر التاريخي[١] وندر من أحتفظ بذلك الطراز في البناء ومن حسن الحظ أن ورثت الزبير في هذا البناء البصرة وبغداد.

(١) كانت هذه الملاحظة وعاها عبد العزيز البابطين حين زيارته لقصر الأخيضر فرأى وجه الشبه بين التسقيف بواسطة العقادة والكمرات التي إحتفظ بها إسطوات الزبير لهذا اليوم. (أنظر صحيفة ٦٤ من الجزء الأول من كتابنا هذا)

سوق الزبير والحزم



سوق الحزم مقابل قيصرية الفداغ



سوق الصفافير في الزبير

بلدة الزبير مع كونها لها حدودها السكنية ونفوسها لا يتجاوزن ما بين ٥٠,٠٠٠ و ١٠٠,٠٠٠ (خمسون الف ومائة الف نسمة) ما بين العقد الثالث والسابع من هذا القرن الميلادى[1] إلا إنها جلبت إنتباه المدن المجاورة بها فيها البصرة فكان سوقها بمن يشغله من أهلها وأصحاب المصالح من المقيمين جلب إنتباه المجاورين على النطاق الداخلي والخارجي فالقبائل البدوية تجلب عليها كل ما تنتجه البادية من سمن وأصواف وكمأة وأغنام وأبل وألبان وأحطاب مما هو في حاجة الأهلين وكان يزيد عن حاجة السكان والمستهلكين فيسوقونه إلى خارج الزبير وغالبا ما يتواجد التجار من كل مكان في العراق قدموا إلى الزبير ليشتروا من التجار المحليين (المزبيرين) بكميات تجارية ينقلونه بالسيارات أو بالقطار إلى المحافظات الأخرى كالبطيخ والطماطا والبصل والثوم والسمن والكمأة مما يزيد عن الحاجة.

ولذلك فنجد سوق الزبير الداخلي والخارجي المسمى بالحزم والدروازة له منظر عجيب يضطرب فيه الناس من مختلف الطبقات يشترون ويبيعون والحركة التجارية رائجة والحصيلة التي يخرج بها هذا وذاك تثير الدهشة.

أسماء لمصطلحات جغرافية ومواقع في بادية الزبير:

١ - **البنيّة**: أرض صخرية مرتفعة نسبياً عن مستوى المنطقة كبنية ابن شقيح وتسمى أيضاً بنية الزنيدي وكذلك هناك بنية المشري وبنية المنديل.

٢ - **الخبرة**: أرض منخفضة نسبياً عن مستوى المنطقة تتجمع فيها مياه السيول في مواسم الأمطار ثم تجف بعد نهاية الفصل ومنها ما يظل مستديماً الى أيام الصيف كخبرة الرجي.. وخبرة الحاج لشعيب الباطن.

٣ - **الشعيب**: مجرى مائي ينحدر بين أرض أوطأ نسبياً تجمعت مياهه من بعض المرتفعات كشعيب العذبي.

---

(١) ما بين العقدين الثالث والسابع المقصود به ١٩٢١ الى ١٩٦٩.

٤ - **الروضـــــه** : أرض منبسطة تميل الى الإنخفاض بين حدين مرتفعين كالروضة التي تقع بين الكويت والزبير اذ نلحظ أن هذا الإنبساط من الأرض والذي تقدر سعته حوالي «١٤ كيلومتراً» ممتدة من مرتفع الأباطح غرباً الى حسو الظبي والى مرتفع خضرة أم العيش جنوباً الى الصابرية شمالاً . . وتتسرب مياه هذه السيول في القيعان الجوفية في هذه الروضه كما يتسرب قسم منها الى خور الصبية .

٥ - **الضلــــع** : هو مرتفع صخري من الأرض كما هو في ضلع جريشان الذي هو على جانب وادي الباطن ويرتفع ٣٧٧ قدماً .

٦ - **الصمــــان** : أرض صخرية ترتفع بنسبة ما عن مستوى ما يجاورها .
٧ - **الحســـى** : عيون ماء ضحلة قليلة العمق من الأرض .
٨ - **الضهــرة**: هضبة قليلة الإرتفاع بالنسبة لما يجاورها من الأرض ترتفع أربعمائة قدم عن سطح البحر كالأحمدي في الكويت .
٩ - **الـدشــــة** : رقعـة سبخـة تغطيها قشرة ترابية ناعمة وقال آخرون هي المكان المنبسط تكون أعلى قليلاً من الروض .
١٠ - **الروض** : كما قال غيرهم مكان منبسط فيه ماء وربما كان فيه شجر ونباتات برية فإذا كان فيه ماء كثير فهو غدير .
١١ - **العكــاش** : أرض وعرة يصعب فيها المسير بالسيارة .
١٢ - **القــارة** : أرض صلبة نسبياً تحيط بها أرض رملية أدنى منها ارتفاعاً .
١٣ - **الخراريج** : أرض تنتشر فيها أشجار برية كالحمض والغضا والسدر وهي أشبه بالواحة وسط الصحراء .
١٤ - **البحــرة** : أرض رملية يتحاشاها البدوي في مسيره في الصحراء نظراً لأنها مظنة الضياع وسميت بهذا تشبيهاً بالمنطقة البحرية .

مواقـع ومسافـات

كاظمـــه: تقع كاظمه الى الشرق من المطلاع ومستواها مع مستوى البحر تقريباً. ويرتفع المطلاع الذي هو أبرز نقطة في هذه المنطقة حيث يبلغ ارتفاعه ٤٦٢ قدماً وفي أوائل هذا القرن كان الكويتيون يطلقون على من حضر من الجهراء شرقاً وحتى طرف جون الكويت الغربي بدوحات كاظمة، أي أنها كانت من الخصب والمياه العذبة ما أنبتت أرضها الشجر الذى شبّه بالدوح في غزارته ثم بتو الى السنين عميت مجاري المياه والعيون وغطتها السوافي فأصبحت أرضاً تعلو عن سطح البحر بعشرات الأقدام فأصبحت تختزن الماء تحت أطباقها ولو قدر أن تقوم فيها مشاريع آبار جوفيه لتفجر الماء بغزارة.

والجهرة منخفض بين مرتفعين بارزين.. الخويسات التي ترتفع ٤٥٠ قدماً شمالها والأطراف.. التي ترتفع ٤٩٠ غرباً وتنحدر اليها سيول هذه المرتفعات وفي أرضها من الآبار ما يتراوح بين ٢٠٠ ـ ٣٠٠ بئر وترتفع هي عن سطح البحر ما بين ٣٠ قدماً الى ١٧٣ قدماً وتنحدر اليها شعبان المطليع والمطلاع ومما يلاحظ في منطقة الجهراء أنها أرض خصبة صالحة للزراعة.

ويتداخل الحديث حين يتعرض الباحث الى الجهراء وكاظمه نظراً لقرب ما بينهما وحتى قيل أن الجهراء هي كاظمه بالأصل وفي حديث للأستاذ أحمد البشر في إذاعة الكويت بعنوان اعرف وطنك يقول:
كل الدلائل تشير الى أن كاظمه هي الجهراء[١].

وكان لكاظمه دور في عهد مناذرة الحيرة ثم في بداية الفتوحات الإسلامية في العراق وفارس ففيها كانت موقعة ذات السلاسل بين هرمز قائد الفرس وخالد بن الوليد قائد جيش المسلمين[٢] انتصر فيها خالد بن الوليد غير أنه يجدر بنا أن نشير الى أن القبائل

---

(١) حديث من راديو الكويت ٢٩/٢/١٩٧٩م.
(٢) الدكتور أحمد أبو حاكمه تاريخ الكويت ص٩٣.

العربية لم تزل تتردد على الركن الشمالي الغربي من الخليج طوال تلك الفترة الراكدة من تاريخه ويبدو أن منطقة كاظمه كان لها ذكر تكرر في أخبار الشعراء فقد أكثر ياقوت من ذكرها في معجم البلدان.

وهو في ذكره هذا قد بين أهمية موضعها وأنها كانت معروفة في عهده (القرن السابع الهجري / القرن الثالث عشر الميلادي) وكذلك في العهود السابقة لعهده مما رواه من ذكرها عند غيره ممن سبقه من المؤلفين وما أوردوه فيها من اشارات الشعراء وكذلك وردت الإشارة في ياقوت الى الروضه[1].

والروضة يصح أن نطلق عليها أنها الكويت وهو ماء بقرب كاظمه ثم المغر غير بعيد عن الجهرة وهو جبل كاظمه أو موضع بكاظمه[2].

والنص الذي ظهر لنا من معجم البلدان عن كاظمه قوله:
كاظمه جو على سيف البحر في الطريق من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان وفيها ركايا كثيرة وماؤها شروب واستسقاؤها ظاهر وقد أكثر الشعراء من ذكرها فقال أحدهم:

يا حبذا البرق من أكنا فـ كاظمه ... يسعى على قطرات المرخ والعشر
لله در بيوت كان يعشقها ... قلبي ويألفها أن طِيّب بصرى
فقدتها فقد ظمآن إداوته ... والقيظ يحذف وجه الأرض بالشرر
أمنية النفس أن تزداد ثانية ... وحالنا والأماني حلوة الثمر

(١) معجم البلدان ج٤ ص٤٨١ من تعقيب للدكتور أبو حاكمه (تاريخ الكويت).
(٢) معجم البلدان ج٤ ص٦٠٥.

وفي كاظمه قال البوصيري في مطلع نهج البردة :

أمـن تذكـر جيران بذي سلم ... مزجـت دمعـاً جرى من مقـلة بدم
أم هبت الـريح من تلقـاء كاظمـه ... وأومض الـبرق في الـظلماء من أضم

وذو سلم واد ينحدر عن الذنائب في أرض بني البكّاء على طريق البصرة الى مكة كما ذكر ياقوت .

وفي دراسة للأستاذ يعقوب يوسف الغنيم عن كاظمة :

بعـد أن أورد أقوالاً لياقوت الحموي في معجم البلدان من أن كاظمه بينها وبين البصرة مرحلتان (حوالي ٦٦ ميلاً) وقول القلقشندي في صبح الأعشى من أن كاظمه جون على ساحل البحرين مما يلي البصرة على مسيرة يومين كما أورد قول أبي عبيد البكري ، في معجم ما استعجم ج٤ ص١١٠ قوله كاظمه موقع وأورد قول يعقوب بن السّكيت (من علماء القرن الثالث) من قوله :

وماء كاظمه ملح يصلح عليه الحديد ... وأورد هذا البيت للبعيث
فأرسـل مهـواً كاظـمياً كأنـه ... ذنـوب عِراك قحّـمتـه الـتراتـر

وأحسن الأستاذ الغنيم إذ استعان لتصحيح البيت بالأستاذ الكبير محمود محمد شاكر والخطأ المطبعي الذي ورد سهواً في معجم ما استعجم حتى ظهر مصوباً كما هو أعلاه .[1]

وهو الذي استقر عليه الإستقراء والإستنتاج .

---

(١) ومن أراد أن يقف على التعليل والشرح الصحيح فليرجع الى كتاب الدكتور سالف الذكر.

مواقع قبلي مدينة الزبير

(كويبدة ـ درنة ـ الضليعات ـ مسلي ـ المدّور ـ النجمي)

من خرج من الزبير باتجاه الشمال الغربي فهو بعد عشرة كيلومترات تقريباً في كويبده. وكـويبده منطقة واسعة سهلية تحتوي على مزارع لأهالي الزبير وفيها مزرعة نموذجية قامت عليهـا منظمة اليونسكو لتجربة زراعة الطماطه المغطى بالنايلون الذي يسمح بنفوذ أشعة الشمس ويمنع برودة الجو الشديدة التي تتعرض لها المزروعات أوقات نزول الصقيع. والمأمول أن يؤخذ بهذه الطريقة وقد صحت التجربة. وعن قبلي جويبده تقع [درنة] وهي أصغر مساحة من (جويبده) وفيها بعض المزارع.

وعن يسار جويبده الى الجنوب تقع [الضليعات] وفيها قصر المربد وهو قصر بناه جماعة من الزبيريين أعد لأستقبال ضيوف الزبير وهو بمثابة دار للضيافة وقد دخلناه فكان نعم القصر نظراً لما حوى من غرفات وفرش ومجالس صيفية وشتوية وقد سقف بالحديد وأنير بالكهرباء وهو يتوسط حديقة تقوم فيها بعض أشجار النخيل، والأثل وكان هذا القصر قد أستقبل وفود العرب في مؤتمر الشعراء في ذكرى المربد سنة ١٩٧٠م.

وفي الضليعات آثار قصور أسلامية لأمراء البصرة دلت عليها الحفائر التى كشفت عنها الأمطار والسيول حيث الخزف الملون والأبيض العادي الرقيق الحاشية أنه من عهد العصر العباسي يحمل طابع الفن الإسلامي[١].

وفي الضليعات رأينا آثار نهر مندرس يطلق عليه بالمفهوم الدارج اسم (شَعِيْب) يتجه نحو البرجسية التي تقع شرقي الضليعات وهذا الشعيب يتصل بوادي الباطن ويتوجه اذا سال جانباه نحو سديره التي تقع شرقي البرجسية وشعيب سديره هذا يصب في منخفض ديم خزام.

---

(١) وكان عدد هذه المرتفعات بين (٧ـ٨) تبلغ ارتفاعاتها ما بين مترين الى ثلاثة أمتار وأن محيط دائرة بعضها ليتجاوز المائتي متر.

وفي خبر من شاهد عيان أنه جرى مرة من دون سابق انذار حيث لا سحب ولا رعود فإذا هو يغطي بطاح البرجسية.

مسلـــــي:

أما مسلي فقد أنحدرنا اليها من الضليعات ثم منها توجهنا الى البرجسية وتقع مسلي غربي البرجسية ونحن بهذا الإتجاه نقطع (الخبرة) وفي الخبرة بقش كبيرة وفي مسلي أيضاً «بقش لعبد الله المحمد البسام» وسميت الخبرة لأنخفاض أرضها وتجمع مياه السيل فيها. أن هذه المنتزهات تخترقها السيارات وتتعرج في ثناياها، وأرضها خضراء (محمية) لقربها من شركة النفط وفيها بقش أثل جميلة وفي البرجسية موضع تجمع النفط وفي الخبرة «بحيث» (أبو صخر) حفره عبد الله الخالد البدر بمعرفة عبد العزيز الدريهم ووقفنا على بحيث الخبرة فإذا فوهته بسعة فوهة بئر جويبده [١,٥ متر) ورأينا على فوهته اسم بانية وكان حفره في سنة ١٣٦٦هـ.

المُــدوّر:

وهو موضع يبعد عن الزبير كيلومترين تقريباً نحو الغرب وسمي المُدوّر لوجود آثار تكون شكلاً دائرياً مرتفعاً دلت الظواهر على أنه موضع قامت عليه قصور امراء البصرة ومظاهر الحضارة دالة، فقد وجد في بعض الحفريات طابوق وقطع من الخزف الملون تماماً كالذي في حفريات الضليعات وفي هذه المنطقة شعيب صغير منسوب اليها.

هذه المـواضـع التي ذكرناها تكون قسماً آثارياً فيما حول الزبير من جانبي الشمال والشمال الغربي أما القسم الآخر فهو الذي يبدأ بالقريطيات وعلى بعد عشرة كيلومترات غرب الزبير وفي القريطيات عدة قصور قائمة وفيها بئر غامر يستقي منه الناس والعشائر التي تسابل الزبير وقد حفره وطواه الحاج محمد سليمان العقيل. وفي كل وقت تأتيه تجد ماءاً غامراً.

والى الغرب الجنوبي من القريطيات تقع «النجمي».

النجمـــــي :
وهي بقعة تعلو قليلاً عن القريطيات وفيها بقش من الأثيل التى خلفها أصحابها بعـد نزوحهم عنها وهكذا جرت العادة أن تدق أعواد الأثل حول المزرعة في محيطها الخـارجي ثم تظل تنمـو مع سير حياة المزرعة فإذا تركت المزرعة بعد أربع أو خمس سنوات . أي بعد إستنفاذ دورتها الزراعية تركوا الأثل ملكاً لهم . فإذا مضت مدة ما بين سبع سنوات الى ثمان من بدء زراعته إذا هي أشجار عالية تقص وتباع لتعود الحياة ثانية لهذه الأصول وهكذا تقص ثلاث مرات في مدد ثلاث .

مواقع وحدود جغرافية في الزبير[١]

يحد الزبير من الشمال الغبيشية ومن الغرب العذيبة والرحيل ومن الشرق مجدم الأبلام .

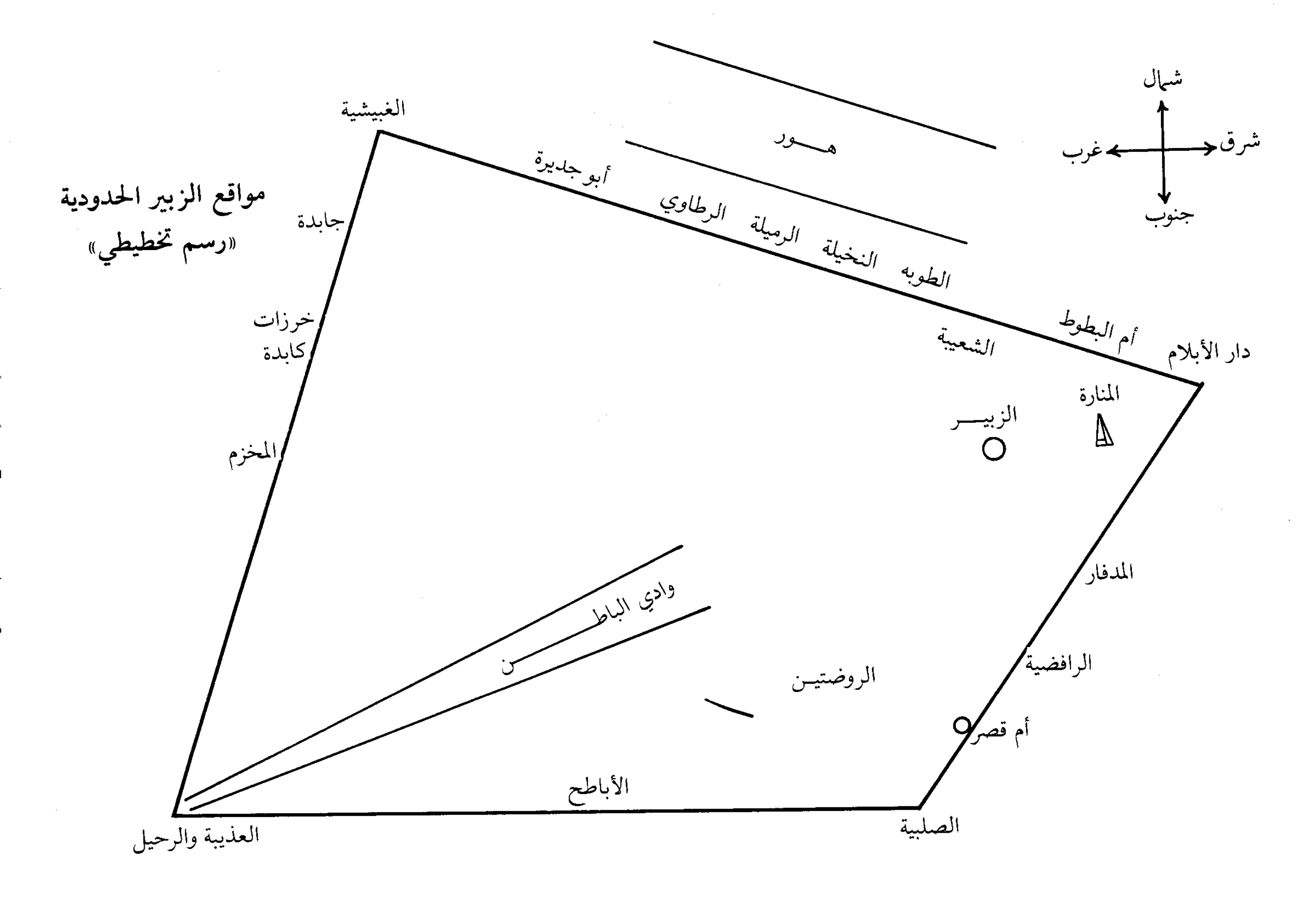
المواقع : في الزبير عدة مواقع تنتشر على رقعة أرض الزبير الواسعة ففي القبلة (الغرب) أو الجبيلات فالسديرة بقرب نقرة اللائح فالبرجسية فضليعات الصلبة فالواحة فالرتكة فالهلبية فخبر الحاج فالرحيل وتنتهي بالعذيبة في الحدود السعودية .

وفي الشـال باتجاه الناصرية[٢] الفهاد فجويبده فالطوبة فالنخيلة فعلوى فالرميلة فالأرطاوي فأبو حدرية فالغبيشية .

---

(١) مستقاه من الشيخ سليمان الأحمد الإبراهيم الراشد .

(٢) هناك مواقع تاريخية في هذه المنطقة هي : التلعة وهي أرض مرتفعة نسبياً تقع على ضفاف الكري (كرى سعدة) وتنبسط الى نحو جبل سنام . وكان على ضفاف النهر المذكور (الكرى) نخل عيط ممتد .
وتقع التلعة شمال لوذان . وفي لوذان مزرعة الى جد عبد الهادي الدوسري (سعودن آل عبد الهادي) حسبما تنطق به شجرتهم . وفيها بحيث عذب .
ويقع «برابر» وهي بحيثات بين تلعة ولوذان . وكانت مورداً للشيخ ابراهيم العبد الله الراشد وبين لوذان وبرابر (درنة) وبعد لوذان بمرحلة تأتي الضليعات القبلية ، والضليعات قبلي البرجسية وبعد الضليعات «مسلّي» بمرحلة وبعد مسلّي الصعيرية .


مواقع الزبير الحدودية
«رسم تخطيطي»
الغبيشية
جابدة
خرزات
كابدة
المخزم
العذيبة والرحيل
أبو جديرة
الرطاوي
الرميلة
النخيلة
الطوبه
الشعيبة
أم البطوط
دار الأبلام
هــور
الزبيــر
المنارة
المدفار
الرافضية
أم قصر
الصلبية
الأباطح
الروضتيـن
وادي الباطــن
شمال
جنوب
شرق
غرب

وفي الجنوب على خط الكويت الشمّرية فالجبيلات فالدريهمية فدار المسبب فقصر الهلالي فوادي النسا فالرافضية فالعلنده فسفوان.

وقال خبير آخر أمضى حياة عريضة في هذه المناطق[1]: حدود الزبير يجب أن تكون على نوعين أصلية وفرعية فإذا قلنا يحد الزبير من الجنوب فهناك تداخل بين الجنوب الشرقي والجنوب الغربي دون الإكتفاء في الجنوب فقط. وهكذا في الجهات الأصلية إذ لا بد أن يتداخل الشمال بالشمال الشرقي والشمال الغربي وعلى هذا نقول:

الجنوب الشرقي للزبير يبدأ بالشمرية فأثل العماني فالدريهمية فالذروية فعزيز الماء فالمدفار فهيلة فالمجدم. وعزيز الماء هو أحد الموارد البرية ماؤه عذب.

ثم نقول يحد الزبير من الجنوب الغربي الشمرية فالدريهمية فالرافضية فالعرقلي فبحيث أبو تنكه فأم سديره فبريج فسبخة سفوان فسفوان فأم قصر.

وإذا قلنا أن حدود الزبير من الغرب فهي المربد فالمدّور فمنظر المريبحانية[2] فالصعيرية فالقريطية فالراحة.

وهناك الشمال الغربي يبدأ بالشعيبة فشعيب الشيوخ فالفهاد فلوذان فالجري (الكري) فالخويسات فكابدة.

وهناك الشمال الشرقي يبدأ بالسليمانية فالخربة فقصر التركي فأنس فشعيبة أنس فالجليبة.

وهناك الجنوب الغربي يبدأ بالنجمي ثم جفين الذيب ثم سنام وهو يسير الى يسار الغرب بميلان قليل.

---

(١) هو علي بن يعقوب الجريد.

(٢) فمنظر المريبحانية هو الذي يتواجد فيه المريبحانية ينتظرون إقبال القوافل.

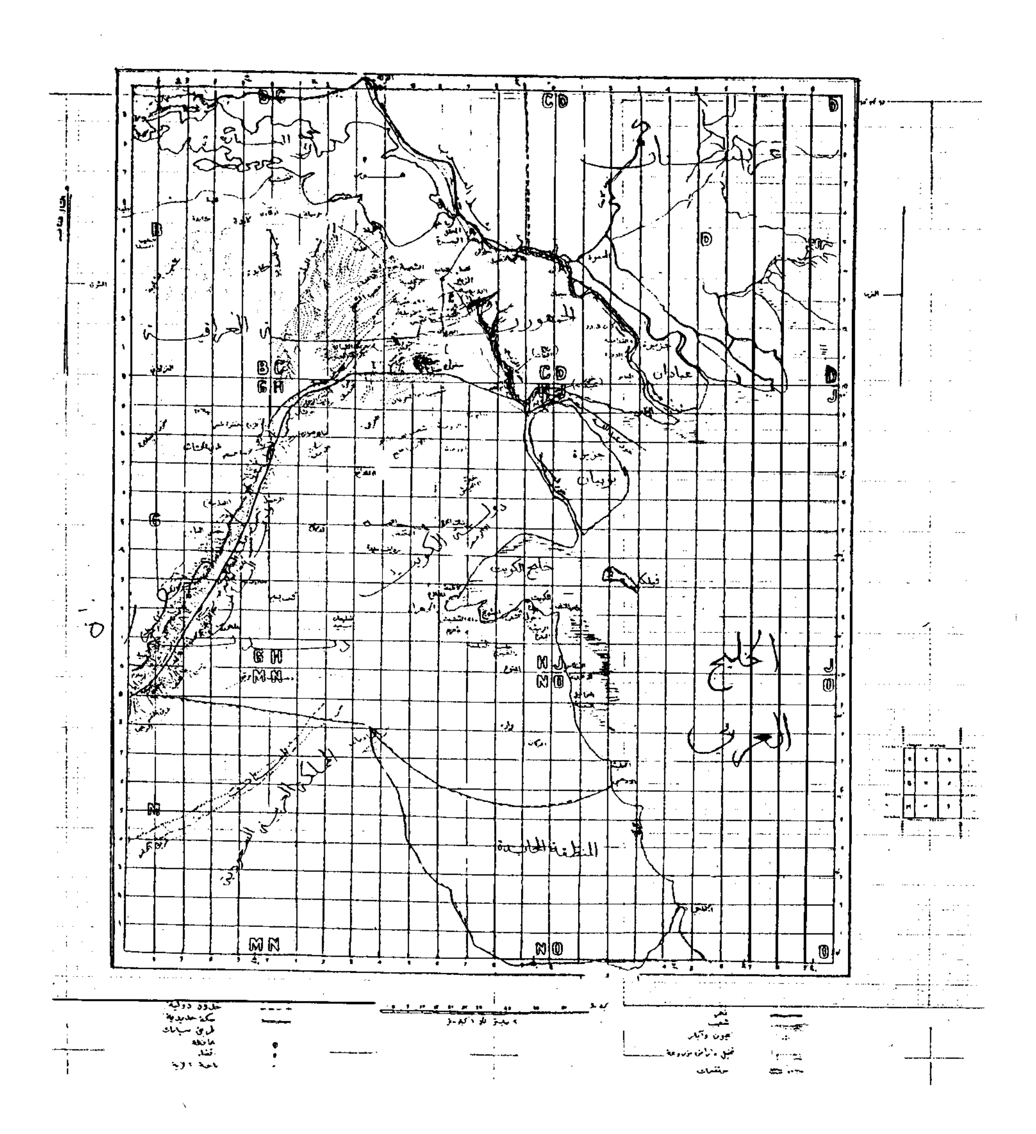
أما الشرق فيبدأ من قصر علي باشا الى الخربة فآثار الجامع المسمى جامع علي فالتل الذي عُرف لدى المساحين بتل مجهول[1] فضريح طلحة فالحصوه[2] ثم ننزل الى السدة وهي سبخـة حتى نصل بعد تسعة كيلومترات الى البصرة. فكانت السدة إسماً على مسمى اذ تجري السيارات ومن قبلها العرباين والناس على طريق موحل أيام الأمطار ومرمل مغبر أيام الصيف وبعد أن تبلط طريقها أصبح الأمر ميسوراً للوصول الى البصرة.

---

(١) هذا التل سبق أن وقف عليه الأمام سعود الكبير يوم غزا البصرة وكان الطريق مجرى مائياً أيام الفيضان.

(٢) سميت الحصوة بهذا لأنها في إرتفاع نسبي عن السبخة وتتغير أرضيتها الى الصلابة.

الزبير والبصرة والكويت



تضاريس سطح الزبير

	دقيقة	درجة	
تقع الزبير بين خط العرض	٣٠	٢٧	
كما تقع الزبير حسب خطوط الطول	٤٧	٤٢	(شرق جرينتش)
بينما تقع البصرة على خط الطول	٤٧	٤٥	
كما تقع البصرة على خط العرض	٣٠	٣٢	

وقد مسحت منطقة الزبير سنة ١٩٣٤م من قبل الميجر بابورت K.M أما البصرة فقد مسحت من قبل لجنة M.G.F سنة ١٩١٧م.

ويتجه شعيب البطين من الجنوب من خبرة الرجي نحو الشمال الشرقي وتصده الرملية، وإرتفاع خبرة الرجي ٢٤٥ قدماً وتزيد الرميلة ارتفاعاً بـ ٤٥ قدماً، وأما شعيب العذبي فيبدأ من غويرة العذبي حيث الأرتفاع ١٥٢ قدماً وينحرف قليلاً الى الشمال الغربي وينتهي الى كابدة حيث الإرتفاع ٥٧ قدماً.

خريطة مسح جيولوجي للمنطقة العربية أخذت عام ١٩٣٥م.

يرتفع الزبير عن سطح البحر	٢٢ قدماً
يرتفع جبل سنـــام	٤٩٨ قدماً
مفرق الشعيبـــة	٢٠ قدماً
سفـــــوان	٣٥ قدماً
هيلـــــــه	٢٢٤ قدماً
الرجــــــي	٢٦٤ قدماً

وفي منطقة الرجي يرتفع جانباً وادي الباطن الى ٢٦٤-٣١٦ قدماً الهويملية على الجانب الشرقي للباطن بين أم المدافع ومخزومة الصفا ترتفع ٣٦٤ قدماً بينما ترتفع أم المدافع ٤٠٨ قدماً وترتفع مخزومة الصفا ٤٠٩ قدماً. وعوجة الباطن ٧١٠ قدماً.

والرحيل ٤٥٣ قدماً. والعذيبة ٥٧٨ قدماً. والشعيبة ١٩ قدماً وكويبده (جويبده) ٤١ قدماً والشجية ٨٨٣ قدماً شرق عوجه الباطن.

وعلى هذا يظهر أن دائرة الزبير (المدينة) تقع في منخفض ميداني من جميع الجهات ما عدا الجانب الشرقي إذ أن ارتفاعها نسبة الى ارتفاع البصرة شيىء طفيف نسبة الى الغرب والشمال والجنوب.

وفي الخريطة التى أمامنا جعل ارتفاع الزبير ما بين ٢٢ـ٣٠ قدماً.

حفريــات وآثاريــات:

ذكرنا فيما قبل على أن أهل الزبير بنوا بيوتهم بما كانوا يعثرون عليه من صخر وطابوق من حفريات البصرة القديمة فضلاً عن أنهم يعملونه من الطين «اللبن» على شكل مستطيل الحجم.

والبصرة القديمة كما هو معروف هي الزبير وما حولها فكثيراً ما يجد أحدهم الصخر «الطابوق» في أساس بيته فيستخلصه من باطن الأرض التي خطّ فيها بيته على بعد متفاوت بعمق مترين أو ثلاثة أو نحواً من ذلك. ويذهب آخرون اعتمدوا هذا العمل قريبــاً من جامــع البصرة المنــدرس شرقي البلدة ومن حولــه فيقــع على كمية وافــرة فيستخرجها من حائط قائم أو بيت متكامل مطمور تحت أطباق التراب كأنما ينحت في جبل فيخرج هذا الطابوق منه الصحيح ومنه المهشم فيبيعه ويصنف هذا وذاك ولكل موضعه في الاستعمال وهو صخر قوي مّرت عليه عصور طوال تجاوز مئات السنين وهو يحكي تاريخ البصرة منذ اختطاطها في القرن الأول الهجري والى انقراضها في القرن الثامن الهجري امتداداً الى التاسع[١].

---

(١) أرخ لأنقراض البصرة بحروف الجمل بـ«خامدون» وكان يعثر في هذه الحفريات على قطع أثارية نادرة وعلى بعض النقود الإسلامية من القرن الثاني والثالث الهجريين وقد عثر على قطع أثرية ارتقى عهدها الى العهد السومري.

ثم لما ظهرت معامل الطابوق، ومنعت الحكومة التنقيب في هذه الآثار كفت الأيدي والتفتت الى انتاج المعامل من الطابوق الجيري والطابوق من الأسمنت ذي الحجم الكبير المسمى بلوك أو الصبابة المسلحة التي تتكون من الأسمنت والحصى وأشياش الحديد.. وأصبحت الزبير في أبنيتها الحديثة تقتفي أثر المدن من الدرجة الثانية.

كان المؤرخون القدامى يؤرخون للحوادث المهمة بحروف الأبجد كما أرخوا لأنقراض البصرة بـ«خامدون» وحروف الأبجد هي:

أ١ ب٢ ج٣ د٤ * هـ٥ و٦ ز٧ * ح٨ ط٩ ي١٠ *
ك٢٠ ل٣٠ م٤٠ ن٥٠ * س٦٠ ع٧٠ ف٨٠ ص٩٠ *
ق١٠٠ ر٢٠٠ ش٣٠٠ ت٤٠٠ * ث٥٠٠ خ٦٠٠ ذ٧٠٠ * ض٨٠٠ ظ٩٠٠ غ١٠٠٠

طريـــق الســـدة

هذا الطريق وتاريخه الطويل ينفسح فيه الحديث الى ما يعادل بنصف تاريخ الزبير والبصرة معاً حيث أنه متنفس المدينتين فهو الثغر الصحراوي الوحيد لكلا المدينتين وهو الذي يربط البصرة بالخليج العربي فهو على ذلك طريق عالمي .

سبـــب التسميـــة :

السدة هي في الأساس تعلية ترابية توصل من مرتفع الى آخر وتحجز ما دونهما من ماء جار. والسدة هنا عرفت بهذا لأنها وصلت بين الزبير والبصرة بطريق وحجزت ماءاً غامراً يجري بين المدينتين وهذا التعريف واقع فعلياً . ثم بعد ذلك بلط السد فأصبحت السيارات غادية ورائحة وأمتدادها من الشرق الى الغرب بطول ١٦كم .

مواقع أثارية في طريق السدة :

في هذا الطريق عدة مواقع منها الحديث ومنها القديم .

١ - الحصـــــوة :

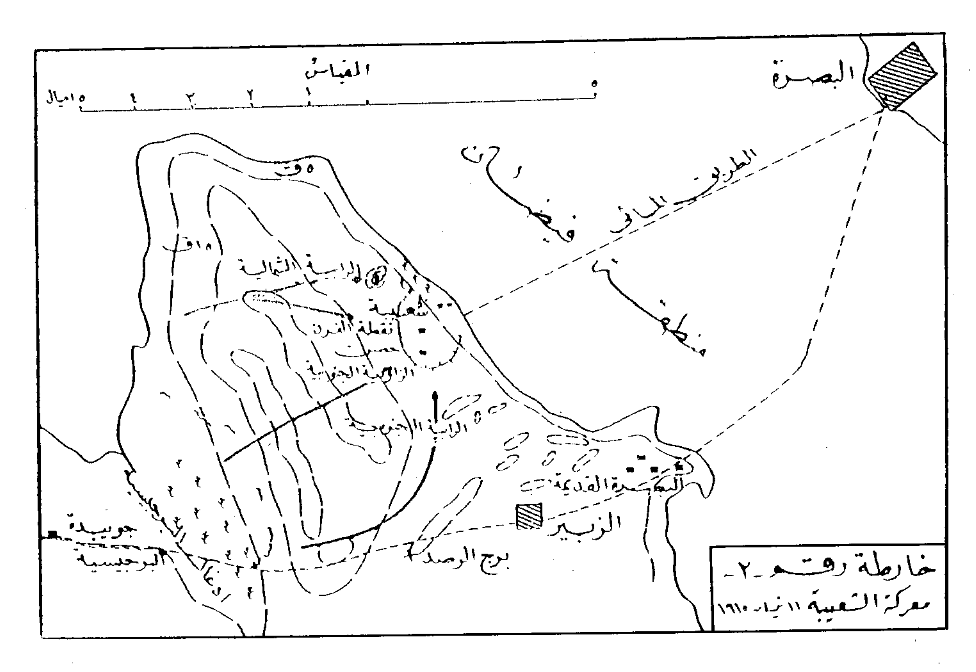
وهي الثلث المصاقب للزبير ويقع على بعد ٦كم وأرضه رملية صخرية مرتفعة نسبياً وفي هذا الموضع مجدم للأبلام من ساحل هذا الخضم . الأبلام التي تحمل الركاب أو تحمل البضائع المختلفة ومواد العيش قادمة من البصرة ومن الجنوبات (قرى البصرة الجنوبية) أو قادمة من القرمة والهارثة من شمال البصرة ، والحصوة تمتد الى الزبير فالبادية وشمالاً حتى تتصل بالشعيبة .

وعند الحصوة ينتهي (القبو) والقبو هو طريق سرى معقود بالطابوق اكتشفناه منذ أكثر من نصف قرن عندما ظهر لأول مرة قبالة بلدية الزبير القديمة في منتصف سوق الحزم أمام دكاكين القضيب حيث أنخفس بطريق الصدفة فإذا هو كالسرداب قدرنا قطر دائرته بقامة الإنسان المتوسط ثم ردمته البلدية ولم تعلم هويته . ثم ظهر أخرى قرب ضريح الزبير بن العوام عندما أجرت مديرية الأوقاف بعض التصليحات والترميمات من حول القبر قبل عشر سنوات . وكان قد ظهر من قبل ثلاثين سنة من الآن في الحصوة إذ رآه السيد/ عبد الوهاب سعود البابطين وهو جمال يضرب الطريق بين البصرة والزبير

خارطة رقم -١-
ساحة الحركات الجنوبية

المقياس
عقدة = ٨ اميال

عشائر بني كعب
نهر مراد
البصرة
الزبير
كردلان
تنومة
كوت الشيخ
سليمانية
ابو الخصيب
المحمرة
شط العرب
عبادان
السيبة
رافدية
جبل سنام
صفوان
هور شنانه
جزيرة بوبيان
الفاو



خارطة رقم -٢-
معركة الشعيبة ١١ نيسان ١٩١٥

بأبا عره ولغاية هذا التاريخ لم تكتشف الآثار عن ما هيته ولا عن تاريخه، والذي يظهر من وخامة الجو في داخله ومن لون الطابوق الذي عقد به أنه ضارب في القدم.

وعند الحصوة يلتقي فرعان لسكة حديد أنشأتها الحكومة البريطانية لتسيير قواتها الحربية وعدة الحرب في نزالها مع القوات التركية سنة ١٩١٤م أبان الحرب العالمية الأولى. فإن الترك بعد أندحارهم في معركة الفاو وسيحان أنسحبوا الى الشعيبة إنتظاراً لمعركة أخرى تكون حاسمة بينهم وبين الإنجليز.

محطة سكة حديد الزبير:

سميت بهذا لأنها تقع في دائرة حدود البلدية لمدينة الزبير بنيت عند هذه المحطة قلعة صغيرة وحولها صهريج صغير من الماء للشرب يتجه منها فرع الى الشعيبة بالإتجاه الشمال الغربي وفرع آخر بإتجاه الغرب الى جبل سنام وميناء أم قصر. فخط جبل سنام لغرض جلب الأحجار المهشمة بالديناميت لحملها الى البصرة ورصفها في الطريق الرئيسي بين البصرة والعشار أو لإستعمالات أخرى في رصف طرق وتدوير ماكنة الحرب والمواصلات في البصرة.

وأما فرع ميناء أم قصر فلنقل البضائع والمعدات الحربية الأخرى التي تصل من أوروبا عن طريق الخليج العربي وتوجيهها في خدمة إدارة الحرب في العراق.

إن هذا الخط كان ابتداؤه أساسياً من ميناء (الدكيار) الواقع على شط العرب من مدينة العشار ومنه يتجه الى (المعقل) فالى بغداد العاصمة لأجل قطع خط الرجعة على الجيوش التركية وإخضاعها الى التسليم.

هذه بجملتها هي خطة القيادة البريطانية كسباً للوقت وضمان السيطرة على العراق.

أرض السبخة:

أرض السبخة هي التي تبدأ مباشرة من الحصوة ممتدة شرقاً الى البصرة. وسميت السبخة بهذا لأن أرضها ملحة جراء مرور مياه الهور القادمة من هور الحمار أيام الفيضان

وما يتخلف منها على هذه الأرض أيام الصيهود[1] لتجف ويصبح ملحاً وغالب ما يكون هذا الإنحدار أيام الربيع يساعد على ذلك هبوب رياح الشمال فإذا هبت رياح الجنوب علا ماء الخور المتصل بخور عبدالله غطى أرض السدة وهذا غالب ما يندفع أيام الخريف من أجل ذلك إكتسبت أرض السدة هذه الملوحة.

وأرض السدة تنخفض قرابة بضعة أقدام من مستوى أرض الحصوة التي يبدو عندها تغير الجو بعد الجفاف وتفوح منها رائحة ووخامة خاصة إذا كان مهب الهواء من الشمال حيث هور الحمار وأهوار الجزائر.

وأرض السدة مستوية ليس فيها ارتفاع ولا انخفاض. وكانت قبل التبليط يجد راكب السيارة والعربة وراكب الدابة العناء والعنت خاصة اذا كان الطقس ممطراً.

ومن الطريف بالذكر أن الجهات المسؤولة دعت أحد الخبراء الهنود لدراسة يجريها على طبيعة هذه الأرض. . وخرج الخبير بتقرير يقول فيه أن الأرض صالحة لزراعة وأنتاج الجوت (الخيش) بعد البزل وإزالة الملوحة.

أرض السدة من الناحية التاريخية:

هذه الأرض تمتد الى ١٠كم الى البصرة وترقد فوق أرض تاريخية وزراعية تنتشر فيها النخيل والأشجار المثمرة كما تقوم عليها قصور البصرة القديمة التي تتخللها الأنهار منبثقة من شط العرب كما كانت تزخر بأخبارها كتب المصادر في التاريخ كمعجم البلدان وابن بطوطه وهذه الحقيقة تظهر للعيان كلما أجرت الحكومة الحفريات خلالها حيث يعثر على الطابوق المنظوم وعلى جذوع النخل وعلى مسارب الأنهار المندرسة كنهر الأبلة ونهر معقل ونهر الزاوية ونهر الوالي ونهر ذراع.

---

(١) الصيهود: موسم الجفاف بعد موسم الفيضان.

وروى لنا الأشياخ من رجال هذا العصر (أوائل القرن الرابع عشر الهجري) أنهم كانوا يقطفون الأعناب والأرطاب من أرض السدة المتاخمة لأرض البصرة في حدود ثلاثة كيلومترات عمقاً وعلى طول الخط الحدودي من القرمة شمالاً والى الخوير جنوباً.

وكان للأهمال الذي أصاب الملاك المزارعين سبب هذا الخراب فهم لم يحصنوا السدود أيام الفيضانات ولم يهتموا بأمرها حين تفيض الأخوار (خور عبدالله ـ خور الزبير) فأصابها التلف من جهة وملحت الأرض من جهة أخرى وماتت الزروع وزحف الجفاف حتى استحوذ على تلك الأرض.

ونحن نروي الحديث عن ثقاة أدركناهم من أمثال عبد المحسن عبد الله المهيدب، وأحمد عبد الله العنيزي، وابراهيم الربيعة، وعمر محمد العلي، وناصر سعد الخرجي، وعبد الله سليمان المطلق، وناصر العلي الصانع، والشيخ محمود المجموعي وموسى محمد الفارس رحمهم الله وغيرهم ممن عاشوا في بحبوحة ذلك الخير وهم أصحاب أراضي وبساتين فيها ومن هذه البساتين المشهورة قاع العبد وقاع الشدى وأم التمن.

وسميت بأم التمن لما كان يزرع فيها من الرز ويملكها الشيخ عبد الجبار علي الدوسري والقريّة والبقشة.

جسر الزبير الأول:

في سنة ١٩٤٩م حدث في العراق فيضان عارم غمر العراق وخاصة جنوبه وغرقت أراضي كثيرة وأمتلاء شط العرب حتى كاد أن يطغى على مدينة البصرة كما كاد أن يطغى دجلة على بغداد فتحاشت الجهات المسئولة في البصرة بإنشاء جسر مروري لينساب الماء تحته قادماً من القرمة ليقذف عبابه في خور الزبير، كما ضحت مديرية السدود وأمانة العاصمة ببغداد الجديدة لتسلم بغداد العاصمة في سنة ١٩٥٣م.. وهكذا سلمت وأمن العباد.. وهكذا يكون الماء نعمة كما يكون نقمة.

جسر الزبير الثاني :

أما جسر الزبير الثاني لقد أنشيء سنة ١٩٧٣م يوم حفر نهر شط البصرة الآخذ من شط القرمـة شمال البصرة لينقـاد جنوباً عبر (السدة) الى خور الزبير جنوباً فكانت الضرورة تقضي أن يقوم جسر حديث على هذا النهر على مسافة أربعة كيلومترات من البصرة . . وهو الآن ينبض بالحركة والحياة من فوقه ومن تحته .

طلحة والزبير على رأس طريق البصرة والزبير:

عندما يرتفع المار بهذا الطريق فإنه يلحظ أرضاً مرتفعة في حدود مدينة الزبير قبل أن يصل الى الحصوة وهو ذاهب الى البصرة يشهد ضريحاً مقبباً على يمينه بقبتين قديمة والى جنبها أخرى جديدة تلك هي قبة الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله التيمي الذي إستشهد في معركة الجمل سنة ٣٦هـ ومن قبلها وعلى بضعة أمتار يشهد ركناً عالياً مؤزراً بالطابوق والأجر يرتفع الى خمسة وعشرين متراً . ذاك هو ركن جامع البصرة التاريخي الذي يمثل عصر الأمويين .

كما يشاهد أرضاً مرتفعة نسبياً على يسار الداخل الى الزبير يطلق عليه «جبل سعود» وهو الأمام سعود بن عبد العزيز الملقب «سعود الكبير» الذي غزا البصرة أبان الدعوة الأصلاحية التي قام بها الشيخ محمد عبد الوهاب فإنه عسكر على هذا المرتفع ينتظر نزول الماء وكان يوم فيضان حيث تغمر هذه الأرض «السدة» بمياه الفيضان أو تغمر بمياه مالحة تأتي من البحر . . ولما أمضي الفترة اللازمة وأنقشع الماء وجفت الأرض هبط بقومه الى البصرة .

هذه الأرض المـرتفعـة سماهـا الجغرافيون المحدثون بأنها «تل مجهول» . . وما هو بالمجهول؟ بل هو ركام قصور وآثار من قصور البصرة القديمة التي ترى أنها تقوم على نهر مندرس يجري تحت ركن المسجد والذي أحاط علماً بتاريخ البصرة القديمة المنقرضة يعلم هذه الحقائق .

ويزخر هذا الطريق بآثار أخرى أنقرضت مثل قرية ذراع التي قامت على نهر ذراع الذي يأخذ من نهر معقل . . ولقد حدثنا أولئك الأشياخ الذين مر ذكرهم رحمهم الله

أنهم وقفوا على أطلال قرية كانت تقوم بين أطلال الجامع الذي مر ذكره وبين الزبير هي قرية ذراع.[1] راجع الجزء الأول ص٣٤ من كتاب أمارة الزبير بيه هجرتين.
كما كانت تقوم (طوبة) بين الزبير وهذا الجامع لغرض المراقبة.

ومن حول ضريح طلحة كانت تقوم سوق يقيمها سكان قرية ذراع وتمتد هذه السوق الى الدريهمية جنوباً كما ذكره الرحالة (تكسارا) كما مر ذكره في الحديث عن الدريهمية.

وقبل أن نختم هذه الفقرة نود أن نشير الى أن البصرة القديمة كانت تملأ بآثارها هذه السبخة أو هذه السدة.. ويلاحظ أن الراكب من الزبير بسيارة المصلحة بإتجاه البصرة وهي على رغم ارتفاعها فإن الذي يطل من شباكها على جهة اليسار يشاهد أضواء المعقل على البعد الأول ما ينزل من الحصوة ثم يمضي قليلاً فإذا الأضواء تنحجب وما هي إلا مسافة أخرى حتى تبدو مرة أخرى فما معنى ذلك؟ ذلك يعني أن مرتفعاً واسعاً حال بين الراكب الرائي وبينها.. وبمعنى آخر أن ركاماً ممتداً من مخلفات القصور حجبت الأنوار فلما جازه ظهرت الأنوار. تلك الركائم هي وسط مدينة البصرة القديمة المسماة محلة (الزابوقة) التي تقع قربها (دار الرزق) أيام واقعة الجمل في آخر أيام الخلفاء الراشدين.

---

(١) راجع الجزء الأول ص٣٤ من كتاب إمارة الزبير بين هجرتين.

آثار داخل بلد الزبير

الـزبير وهي البلدة التاريخية التى قامت على أنقاض البصرة القديمة تموج بالآثار والمواقع التاريخية والأنهار المندرسة.

١ - المراغـــة:

وهي بقعـة في محلة الكوت تقع على يمين الطريق الذاهب الى مسجد الزبير بن العوام وهو قادم من السوق وكانت مناخاً للأبل التي تدخل البلدة وهذه الأبل هي من قوافل أعتادَ التجار (أهل عقيل) التجارة عليها بين البصرة وحلب مروراً بالزبير.

ومعنى المراغة في المفهوم البدوي الزبيري المكان الذي تستريح فيه الأبل أو تتمرغ أو تتقلب فيه كما يتمرغ الحمار وينقلب ظهراً لبطن على الرمل وكانت مراحاً واسعاً قبل أن تبنى البيوت حوله والى ما قبل نصف قرن قد أدركنا مبارك الأبل فيه.

٢ - في محلة البراحة:

وهو مكان خزان الماء اليوم كانت تقوم مدرسة الرشدية التي أسست في العهد التركي الأخير وفي قبالة هذا المكان كانت تقوم مدرسة الزبير الإبتدائية في العشرينات من هذا القرن وفي نفس المكان أخبرنا المرحوم الحاج عبد الله المطلق أن الحاج مطلق الليبفه كان يحفر أساساً لبيته فعثر على (عين طابوق) فطمع فيه وتتبع وجوده فإذا هو يعثر على حوض قائم لمنارة مسجد. عندها خشي من الحكومة أن هي علمت فتأخذ الأرض على أنها موقـع أثري. فقام فردم هذا المكان وطمره وغير مكان الحفر. هذا المسجد هو أحد مساجد البصرة القديمة.

٣ - وجود (القبو) الآثاري:

الذي مر ذكره في بحث (طريق السدة) ويظن أنه طريق سري كان يمر منه الحكام من أهل البلد الى خارج البلدة أو أنه طريق سري لأدخال المؤونة أو السلاح وهو لا يزال موجوداً حتى اليوم.

٤ - كان يقوم مرتفع من الأرض في وسط بيوت لمحلة الرشيدية وقد بنيت حوله الدور دون أن يتكلف أحد ليقف على سر هذا التل ولا أن تمتد اليه يد لتأخذ من ترابه حتى اذا كان قبل نصف قرن تقريباً تناوله أحد أصحاب هذه البيوت ليستفيد من ترابه فإذا هو يقع على قصر مركوم تداعى على نفسه فأستفاد هذا الرجل من أحجاره وأستبعد ترابه حتى كان . . على مستوى الأرض وهذا الأثر يقع قبالة بيت الحاج سعود العبد العزيز الصالح.

٥ - في محلة الكوت وقبالة المراغة المشار اليها آنفاً يقوم أحديداب على سطح الأرض يسير فوقه الناس غاديين ورائحين لا يدرون ما هو ومن كثرة هذا الترداد ظهرت أرض صخرية معقودة بالطابوق ولا بد أنه أثر لقصر من قصور الزبير قبل قرن أو أكثر وما زلنا نرى هذا الأثر في العقد الخامس من هذا القرن ولا ندري ماذا اتخذ حياله.

٦ - أخبرنا أحد الفضلاء يقول: «كنا نجلس في مكتبة الزبير الأهلية بعد بنائها في أواخر الثلاثينات[1] من هذا القرن فجاءنا رجل نعرفه ويعرفنا وهو من الذين يحفرون في أرض الخربة التي حول الزبير يبحث عن الطابوق فقال: «يا جماعة أحب أن أدعوكم وأوقفكم على بناء أثري يشبه مكتبتكم هذه. .» فقمنا معه ونزلنا في منحدر فإذا كيان هذا البناء قائم فعجبنا وهو مبني بالطابوق الأصفر[2] وكأنما المهندس الذي بنى مكتبتنا قد بناها على غرار تلك.

٧ - أخبرنا أحد المؤرخين أنه كان في عهد أحد شيوخ الزبير أن تقدم اليه أحد الذين يحفرون الصخر في محلة السلطانية في ظاهر مدينة الزبير قد عثر على صنم صغير الحجم طوله قدم واحد وعيناه من الحجر الكريم وقال: «يا طويل العمر وجدت هذا الصنم وأنا أحفر الصخر». . فأخذه منه ممتناً وظل هذا الصنم ينتظر من يتقبله حتى جاء القائد العام الإنجليزي لفتح العراق الى الزبير فقام الشيخ وأهداه اليه قائلاً نحن إسلام ولا

---

(١) بنيت مكتبة الزبير الأهلية الجديدة عام ١٩٣٨م.

(٢) كان أهل الزبير يلتقطون الأحجار من أرض الخربة وهي البصرة القديمة يستعملونه في بناء مساكنهم ولم يكن التنقيب في ذلك الحين محظوراً من قبل الآثار.

نقبل هذا في بيوتنا . . فتقبله القائد شاكراً وأهداه هذا بدوره الى المتحف التاريخي لدولته العظمى[١] .

٨ - كان بعض أهل الزبير يعثرون في بيوتهم على خزنات من الذهب فيقولون (فلان طاح على خزنة) وهي ليرات تعود الى قرون اسلامية قريبة أو بعيدة .

وكان الناس قبل قرنٍ من الزمان أو أكثر يخفون مانيتهم يضعونها بقرشة أو حب من الفخار بعيداً عن أعين أهل بيته حتى إذا مات . مات معه خبر الخزنة . . وتمر أجيال أو قرون فيعثر عليها بطريق الصدفة . . تعثر عليها ربة البيت وهي تدق ثبات سخلتها . وقد يرى الرؤيا في الأحلام هذا الكنز فلا يأبه له ثم يراه ثانية فيقول هذه (توقظه) أو يقال : فلان (مُوَقَظّ) أي مُشْعَر بهذا الرزق من رب العباد . وقد يقوم بعمل شيء ما من الخير قبل أن يكشف عنه . ثم يسمي ويحفر وغالباً أنه يجد الكنز . إما إذا فسد عمله فإنه يجد الحب مملوءاً رملاً ونملاً . والله أعلم . . بهذا تتداول أخبار الخزنات .

٩ - قصة الدينار العباسي :

كنا في الزبير والبناء يحفر بئراً لبناء أحد البيوت حتى إذا كان في الإعماق عثر على نقدين عليهما كتابة غير واضحة لما يعلوها من تراب مصخرج وسلمهما لصاحب البناء . . وكان يحضر تلك الأيام مفتش الآثار فعرضهما عليه وعرف ماهيتهما فقال أنا أشتريهما وأريدهما للمتحف . فما كان من صاحب البناء إلا أن قال : أنا أقدمهما هدية مني للمتحف . وذهب الى بغداد وعمل على إيضاحهما مما علق بهما فظهر أن أحدهما دينار عباسي ذهباً والآخر درهم عباسي فضة . ولأول مرة يظهر للآثاريين الدينار والدرهم العباسيان . وقد ألف النقشبندي[٢] فيهما كتابين معروفين .

---

(١) قيل أن حكومة هذا القائد قد أهدت الى الشيخ قطعة من نخيل البصرة معروفة .

(٢) هو السيد ناصر بن محمود النقشبندي كان مدير مدرسة الدبّة في العشار البصرة فرشح لمفتشية الآثار القديمة في بغداد . ثم ورث وظيفته أبنه أسامه من بعده . وصاحب الأرض هو خلف أحمد المانع .

١٠ - من غرائب الأحلام:

نروي قصة حلم عجيب رواه لنا الحاج عبد اللطيف عبد المحسن المهيدب عن أبيه رحمه الله وهي من الأحلام التي صدقت فعلاً.

قال الراوي: كان أحد العقيلين الذين يعملون في تجارة الأبل والذين يشدون الرحال بين الزبير وبغداد والشام وحلب. جلس هذا الرجل مستطرقاً في ديوان أحد التَجار الشاميين وكان يجلس اليه تاجر آخر ويعمل في هذه التجارة وهو غير معروف منهم. فتحدث صاحب المجلس في قصص الأحلام والعجيب فيها فقال التاجر: يا طويل العمر لو كانت الأحلام تصدق لشددت الرحال في رؤيا رأيتها يقول لي فيها المخبر في المنام أن لك كنزاً كبيراً في بغداد في محلة الجعيفر في بيت يملكه محمد الرواف فأذهب فلعل الله يرزقك منه خيراً كثيراً. تعال روح لبغداد واشتري البيت فلعل صاحب البيت يقبل البيع أو لا وهذه قصة طويلة وعقيمة!! ولم يكن التاجر صاحب المجلس ولا صاحبه يعرف هذا التاجر المستطرق - فما ذهبتُ.

قال هذه العبارة وصاحبنا المستطرق حاضراً الحديث فكأن هاجساً هزَّه فقال: والله صحيح هذا حلم عجيب. وسمي لك البيت وصاحبه!! فقال: نعم.. قال: أتعرفه؟ قال: لا والله لاأعرفه ولا يعرفني وحتى بغداد لم أرها بعد! فما كان من صاحبنا المستطرق إلاّ أن غادر المجلس مستأذنا، ومن ساعته شد الرحال الى بلده ووصل بغداد وصلى ركعتين يدعو الله لتحقيق الحلم وحفر في مكان الذي وصفه له التاجر فاذا هو يعثر على كنز ثمين وكان قد نذر أن هو حصل على هذاالخير أن يبني في كل بلد يمر به مسجداً. ووفيَ الرواف بنذره فبنى في بغداد مسجده الأول وجاء الى الزبير فبنى مسجده الثاني وذهب الى دمشق في مسيرة عمله فبنى مسجده الثالث. وكان يوقف بعض قطع الأرض على كل مسجد. وتوفي وكان في حسبانه أن يبني مساجد أخرى في بلدان أخرى ولكن المنية عاجلته رحمه الله[١].

---

(١) قبل طبع الكتاب الجزء الرابع الذي بين ايدينا جاءت رسالة من احد الاصحاب هو المؤرج يوسف محمد البسام يقول: ومما رويت من الشيخ عبد المحسن المهيدب (بصدد الحديث عن مسجد الرواف) انَّ قصةً رويت عن صاحب هذا المسجد في رؤيا رآها في المنام هي كذا وكذا انها محض أختلاق.. والعهدة على الراوي.. والله اعلم.

المثلـث الآثـاري

هي الأرض الواسعة الواقعة بين القرمة شمالاً وشط العرب والزبير وحتى الفاو.

فإذا جنبنا من هذا الحساب أرض مدينة البصرة الحالية فيمتد بنا البصر الى هذه الأرض القاحلة الخالية من كل معالم الحضارة لا يبين فيها الا هذا الطريق المبلط بين الزبير والبصرة وأخيراً قام على بعض أرضها الجسر الحديدي بين الزبير والبصرة المسمى جسر الزبير ويمر تحته شط البصرة. وقامت بعض بنايات لدوائر شبه رسمية.. كما قامت عليها محطة اذاعة البصرة، ومن خلفها من الجنوب كلية الادارة والأقتصاد فما بقى...؟

بقيت آثار مطمورة تحت أتربة الدهور.. بقيت حضارة العرب والإسلام بعلمها وأقتصادها وقلاعها وأنهارها وما جرت عليها من معارك.. بقيت البصرة القديمة بثقلها.

هذه الآثار الصامتة تنادي من يتقراها ويكشف عن أسرارها. لقد أشار اليها الدكتور طارق الكاتب في كتابه «شط العرب وشط البصرة والتاريخ» عن هذا المثلث قال: «أن أهميته لم تبن للباحث المتحري إلا من الجو. ولقد ظهر لي أهميته التاريخية والآثارية وما يخفي تحته من كنوز، حتى الأنهار المندرسة يستطيع المتطلع وهو في الجو أن يتلمس ويتحسس آثارها ومرائيها» هذا المثلث يكّون مساحات شاسعة من جنوب البصرة وشرق الزبير وشمال الخور (خور الزبير) والى غرب شط العرب وشط أبو الفلوس وحتى الفاو وخور عبد الله.

ملاحق الجزء الرابع



نهر الخندق المتفرع من شط العرب



مدخل نهر العشار من شط العرب

(الملحـــق الأول)
أنهار البصرة القديمة كانت تجري في الزبير

نهــــر الأبلــــة :

إن الأحنف بن قيس قدم على الخليفـــة عمـر بن الخـطاب (رضي الله عنـه) في أهلالبصرة فجعل يسألهم رجلاً رجلاً والأحنف في ناحية البيت في بت[١] لا يتكلم فقال له عمر أما لك حاجة قال بلى يا أمير المؤمنين. إن مفاتح الخير بيد الله وإن إخواننا من أهل الأمصار نزلوا منازل الأمم الخالية بين المياه العذبة والجنان الملتفة، وإنا نزلنا سبخة بشاشة لا يجف نداها ولا ينبت مرعاها. ناحيتها قبل المشرق[٢] لبحر الأجاج ومن قبل المغرب الفلاة ، فليس لنا زرع ولا ضرع تاتينا منا فعنا وميرتنا في مثل مرىء النعامة يخرج الرجل الضعيف فيستعذب الماء من فرسخين وتخرج المرأة لذلك فتربق ولدها كما يربق[٣] العنز تخاف بادرة العدو فإلّا ترفع حسيستنا[٤] وتجبر فاقتنا نكن كقوم هلكوا.

فالحق عمر ذراري أهل البصرة في العطاء وكتب الى أبي موسى يأمره أن يحفر لهم نهــــراً

وذكروا أن لدجلة العوراء (شط العرب) خور والخور طريق للماء لم يحفره أحد يجري فيه ماء الأمـطار اليها ويتراجع ماؤها اليه عند المد وينضب في الجزر وكان طوله قدر فرسخ (ثلاثة أميال) وكان لحد مما يلي البصرة غورة واسعة تسمى في الجاهلية الاجّانة وسميته العرب في الإسلام الجزارة[٥] وهو على مقدار ثلاثة فراسخ من البصرة بالذرع

---

(١) أي فــي تعــــب.

(٢) كانت العرب تذكر (المشرق) وتريد به جهتي الشرق والجنوب ولعله من قبيل التغليب كما تذكر (المغرب) وتريد به جهتي الشمال والغرب. ولعل التغليب هنا جاء بالمجاورة وفي ذلك قوله تعالى «ولله المشارق والمغارب» واستعرضنا آيات الكتاب فلم نعثر على جهتين للشمال والجنوب البتة.

(٣) تربطه بالربقة أي بالحبل.

(٤) حاجتنــــــا.

(٥) لعله مأخوذ من جزر الماء اذا انسحبت (المؤلف).

الذي يكون به نهر الأبلة كله أربعة فراسخ. ومنه يبتدي النهر الذي يعرف اليوم الاجّانة (في عهد البلاذري)[1].

فلما أمر عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أبا موسى الأشعري أن يحفر لأهل البصرة نهراً ابتدأ بالحفر من الأجّانة وقاده ثلاثة فراسخ حتى بلغ به البصرة فصار طول نهر الأبلة أربعة فراسخ.

نهـــر المعقــــل:

قال الوليد بن هشام القّحذمي وكلّم المنذر بن الجارود العبدي معاوية بن أبي سفيان في حفر نهر ثانٍ فكتب الى زياد فحفر (نهر معقل) فقال قوم جرى على.. معقل بن يسار فنسب اليه، وقال آخرون بل أجراه زياد على يد عبد الرحمن بن أبي بكره فلما فرغ منه وأرادوا فتحه بعث زياد معقل أبي يسار ففتحه تبركاً به لأنه من أصحاب رسول الله ﷺ فقال الناس نهر معقل.

ذكر القحذمي ان زياداً اعطى رجلاً الف درهم وقال له ابلغ دجلة (شط العرب) واسأل عن صاحب هذا النهر من هو؟ فإن قال لك رجلٌ إنه نهر زياد فاعطه ألف فبلغ دجلة ثم رجع فقال: ما لقيت أحداً إلا وهو يقول نهر معقل فقال زياد ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ذكره فتح الله بن علوان الكعبي من رجال القرن الحادي عشر الهجري في كتابه «زاد المسافر»[2] قال:

نهر معقل أحد أنهار البصرة ينسب الى معقل بن يسار المزني سكن البصرة وابتنى بها داراً واختط هذا النهر توفي في البصرة بعد خلافة معاوية ويروي عن عمر بن داود بن

---

(١) كانت وفاة البلاذري سنة ٢٧٩هـ

(٢) فتح الله بن علوان الكعبي: زاد المسافر ولهفة المقيم والحاضر ص٢٨.

أبي القاسم التنوخي في معقل أبياتاً من الشعر:

أجـْبـْبْ الى نهر معـقـلٍ الـذي ... فيه لقـلبـي من همومـي معـقـلُ
عذب اذا ما عب فيه ناهـل ... فكـأنـه في روض حُب منهـل
متـسـلسـل فكـأنـه لصفـائـه ... دمـع بخـديْ كاعـب يتـسلسـل
وإذا الـرياح جريْنَ فوق متـونـه ... فكـأنـه درع جلاه صيقـل
وكّـأن دجـلة اذ تغـطط موجـهـا ... ملك يعـظم ضيفـه ويبـجـل
وكـأنها ياقـوتـه أو اعـيـن ... زرق يلام بها الحـبـيب ويوصـل
عذب فما تدري أمـاء ماؤهـا ... عنـد المـذاقـة أو رحـيق سلسـل
ولـه بمـد بعـد جزر ذاهـب ... جيشـان يدُبْـر ذا وهـذا مقـبـل

وقد جعل الكعبي نهر معقل بين الرباط والهارثة وبه أخذ الدكتور طارق الكاتب[1] في تحقيقه عن النهر المذكور ونحن نتفق معه.

نهـــر عمـــرو:

نسب الى عمرو بن عتبة بن أبي سفيان وتناقل أهل الزبير اسم هذا النهر التاريخي المندرس الى أنه النهر الذي شمال (الجامع) ويسميه البعض (بالخِر). ويعرف بالرواية على أنه نهر عمر والصحيح أنه نهر ابن عمر (وهو عبد الله بن عمر بن عبد العزيز)[2].

نهـــر بـــلال[3]:

وجاء بلفظ بلالان وهو لبلال بن أبي برده كانت القطيعة لعباد بن زياد فإشتراها شبلان لشبل بن عميرة بن يتربي الضّبي.

والمتعارف به لدى أهل بلدة الزبير الى أنه النهر الذي يمر بـ(الجامع) أو بمسجد البصرة الكبير من جهة القبلة.

---

(١) في كتابة «شط العرب وشط البصرة والتاريخ».

(٢) مختصر التاريخ للكازوروني ص٩٧ تحقيق الدكتور المرحوم مصطفى جواد وابن عمر هذا ولي العراق يزيد بن الوليد واحتفر نهر ابن عمر بالبصرة القديمة.

(٣) البلادري فتوح البلـــدان.

نهـــر مكحـــول:

نسب الى مكحول بن عبيد الله الأحمسي وهو ابن عم شيبان صاحب مقبرة شيبان بن عبد الله الذي كان على شرطة ابن زياد، وكان مكحول يقول الشعر في الخيل فكانت قطيعة من عبد الملك بن مروان وقال القحذمي نهر مكحول نسب الى مكحول بن عبد الله السعدي[١].

وفي مقاطعة مهيجران اليوم نهر بهذا الاسم.

نهـــر أبي الخصيـب:

ونسب الى أبي الخصيب مرزوق مولى المنصور أمير المؤمنين[٢] وكان قد اقطعه قطيعة حفر فيها نهراً سمي باسمه، والنهر ما يزال يجري بهذا الاسم في قضاء ابي الخصيب اليوم.

نهـــر الأميـــر (أبو الفلوس):

وهو نهر حفره المنصور ثم وهبه لأبنه فكان يقال: نهد أمير المؤمنين ثم قيل نهر الأمير ثم ابتاعه الرشيد واقطع منه وباع.

والنهر ما زال يجري ويمد بهذا الاسم ويقع جنوب أبي الخصيب ويتصل في نهاية الى السبخ ويقطعه خور الزبير اذا فاض[٣].

نهـــر الفيـــض:

والفيض محلة بالبصرة قرب النهر المفضي الى البصرة. وهو المنحدر الذي يمتد من شرقي البصرة القديمة يبدأ من شمال الشعيبة من لدى هور الحمار وينتهي الى خور الزبير غربي أبي الخصيب. وأن جميع أنهار البصرة التي تتفرع من شط العرب نحو الغرب تلتقي نهاياتها فيه.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) واليوم بعد أن أقيم السد وجرى التبليط الى الفاو وانقطعت نهايات هذه الأنهار.

والفيض من الفيضان فهو نهر أنفتح على أرض البصرة يغزر ماؤه مع موسم الفيضان ويقل مع الجفاف أيام الصيهود أو ما يطلق عليه أهل البصرة (أيام البارح) وكان أقرب بالمفاضة منه الى النهر كما هو البازل الطبيعي لأنهار البصرة الغربية.

ورد ذكر الفيض في شعر عبد الرحمن بن الحكم أخي مروان بن الحكم في انتصارهم على القيسيين في مرج راهط[1].

أرى أحاديث أهل المرج قد بلغت   أقصى الفرات وأهل الفيض والنيل
أموالهم حرة في الأرض تلقطها   فرسان كلب على الجرد الهزاليل

والمعركة وقعت بين مروان بن الحكم وأنصاره من اليمانيين على أنصار عبد الله بن الزبير وهذه الواقعة أستبعدت آل الزبير وهو الأسديون عن الخلافة وأبقتها أموية.

نهر حرب:

هو النهر الذي يمر بقبر طلحة الخير (رضي الله عنه) وعليه قنطرة سميت بقنطرة حرب. وقيل أن هذا النهر إنما هو نهر مرة[2].

والملاحظ أن النهر وهو يجري من منبعه الى مصبه ومنتهاه يأخذ بعض التسميات المختلفة وهي تخضع لسكان المناطق التي يسبقها فكل تدعيه لنفسها فتعطيه اسماً يناسبها.

---

(١) التبنية والإشراف للمسعودي: ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩.
وطلب أخوالهم أمويين والذي أنتصر لهم فيها حسان بن مالك بن بجدل الكلبي من بني حارثه بن جنتب وأراد عقد الأمر لخالد بن يزيد بن معاوية وقد كان أمير طبرية في الأردن من عهد يزيد:

لما رأيت الناس مالو جنباً   والملك لا يؤخذ إلا غصباً
أعددت غسان لهم وكلباً   والسكسكين رجالاً غلباً
وطيئاً يابون الا ضرباً   والقين تمشي في الحديد يلباً
ومن تنوخ مشمخراً صعباً   بالأعوجيات يثبن وثباً
وأن دنت قيس فقل لا قرباً

وفيها قتل الضحاك بن قيس الفهري زعيم القيسيين من قبل ابن الزبير وسقط قتلى كثيرون وأنهزم القيسيون.

(٢) الهروي: الإشارات الى معرفة الزيارات ص٨١.

نهـــر الزاويـــة (أو نهر عدي) :

ذكره الطبري وهو النهر الذي يمر بالزاوية حيال قبر أنس بن مالك (رضي الله عنه) ويأخـذ ماءه من هور الحمار. إن هذا النهر هو ما يطلق عليه أهل الزبير (بالشعيب الشمالي) القادم من الشعيبية ويدخل الزبير من باب الرشيدية ويجري في محلة الباطن حتى ينتهي الى العراص ماراً بالحصى ، وفي سنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى قطع من الإتصال بالزبير ووجه جهة الشرق خارج البلدة ماراً بنقرة المهيدب فإلى طلحة* .

نهـــر ابـن عميـــر :

وهو المنسوب الى عبد الله بن عمير بن عمرو بن مالك الليثي ، أخو عبد الله بن عامر بن الكريز لأمه (دجاجة) بنت اسماء بن الصلت السلمية ولي البصرة سنة ٢٩ للهجرة بعد أبي موسى الأشعري أقطع أخاه ثمانية آلاف جريب فحفر لها النهر، قالوا وكان عبد الله بن عامـر يسير على النهر وغيلان بن خرشة الضبي وهو الذي تولى حفره يسايره ويقول : «لم أر أعظم بركة من هذا النهر يستقي منه الضعفاء من أبواب دورهم ويؤتيهم منافعه الى منازلهم وهو مفيض(١) لمياههم .

نهـــر ذراع :

نسب الى ذراع النمري من ربيعه وهو أبو هارون بن ذراع ، وقد كشفت لنا مخطوطة (تمائم) الدور في مناقب السادات الغرر لآل عبد السلام الكوازي أن النهر كان جارياً لعهد مؤلف التمائم في القرن العاشر الهجري ، والى عهد قريب يعرف الزبيريون مكان قبر حيال مقبرة الحسن البصري يعرف بقبر هارون. ونهر ذراع هذا قامت عليه بليدة صغيرة كانت همزة الوصل التاريخي بين انقراض البصرة القديمة ونشوء الزبير الحالية(٢) وسيأتي الحديث عن هذا في موضع ميلاد مدينة الزبير من هذا الكتاب .

---

(١) المفيض مجتمع الماء ومدخله في الأرض وأنظر البلاذري فتوح البلدان .

(٢) تمائم الدرر (مخطوط)

* مشروع هذا القطع قام به سيد أحمد بن سيد محمد سعيد النقيب متبرعاً على أثر غرقه محلة الرشيدية سنة ١٣١٣هـ التى أجتاحتها مياه السيول القادمة من شمال البلدة .

نهـــر الوالـــــي:

جاء في كتاب «زبد التواريخ» المخطوط ـ للمرحوم الشيخ عبد الواحد باش أعيان أنه جرى في سنة ١٣٠٦هـ فتح نهرٍ جارٍ يأخذ من نهر العشار الى الزبير على يد والي البصرة هداية باشا.

وتفصيل ذلك أن أهل بلدة الزبير تقدموا بوفد علمائها الى والي البصرة هداية باشا يطلبون حل مشكلة ماء الشرب الذي يعانون منه، وكذلك من عقبة الطريق بين الزبير والبصرة، وأقتنع الوالي بوجاهة الطلب فرفعه الى الخليفة العثماني في القسطنطينية فجاء الرد بالموافقة مع الإسراع بتنفيذ طلب المدينة المقدسة.

فباشر الوالي بالعمل ونسب النهر الى الوالي فكان يسمى بـ«نهر الوالي» وعندما أنتهى المشروع دفع برقية الى مقام السلطان العثماني يقول فيها: «وأسقيناهم ماءاً فراتاً» أهل قصبة سيدنا الزبير يشربون ماء شط العرب وقد جرى ذلك في عهد مشيخة الحاج ابراهيم الزهير علي الزبير[1].

وكان قد أختار نهر العشار بمد مجراه الى الزبير وحشد للعمل جموعاً من قرى أبي الخصيب ومن أهل الزبير. وحدث شاهد عيان أن الوالي كان يحضر بنفسه ليشرف على العمل ممتطياً جواده، فإذا كان وقت الغذاء نزل وجلس الى بعض الفرق وفتح صرة وأخرج غداءاً بسيطاً وأكل معهم وأستمر العمل سنة ونيفاً وجرى الماء حتى كان إمام ضريح طلحة الخير وصار طريقاً للمواصلات كذلك بالسفن الشراعية والأبلام، ولكن نظراً لأرتفاع مستوى أرض الزبير بالنسبة الى البصرة فإن الماء كان يقف دون الوصول الى البلدة اللهم إلا في أوقات المد الزائد وبعد سنوات معدودة أنطمّ النهر ويعود السبب الى أن تراب الحفر ترك على جانبي النهر فأعادته الرياح اليه وكذلك فعلت الفيضانات المتكررة وأصبح النهر في عداد الأنهر المندرسة.

---

(١) يقـول شاهد عيان: بعد أن قطع الناس مسافة في الحفر عجزوا وأصبحوا يفرون فقام الوجيه الثري عبد الله المشري مع أخيه حسين باشا بالتكلفة المالية كما مهد للأمر كذلك الحاج ابراهيم الزهير.

شط البصرة (نهر الحجاج): :

المشروع الذي تقوم به مديرية الموانىء اليوم بالتعاون مع مديرية الطرق والجسور العامة إنما هو مشروع اروائي وبازل في الوقت نفسه، وقد أسهب الدكتور محمد طارق الكاتب صاحب (شط العرب وشط البصرة والتاريخ)[1] في الحديث عنه وتقصاه من جميع جوانبه بدراسة موضوعية يعّول عليها.

ونحاول هنا أن نلم ببعض أطرافه مما وقفنا عليه من معلومات أخرى عن هذا المشروع.

قيل أن الحجاج بن يوسف الثقفي حفر نهراً بهذا المكان ولنفس الغرض فاطلق عليه (نهر الحجاج) وورد أن المهندس العالمي سر وليم ولكوكس الذي استدعته الحكومة العثمانية سنة ١٩١١م لدراسة ري العراق ووضع المقترحات الضرورية[2]. وكان على رأس قائمة هذه المشاريع أحياء هذا النهر. وقد جاء في كتاب البصرة العظمى للمرحوم سليمان فيضي[3] المامة في أهمية هذا النهر للبصرة. ومما قال: أن مؤلف البصرة العظمى كان قد تبنى هذا المشروع بحرارة وله فيه دراسات وكذلك ورد الحديث عن المشروع في كتاب (البصرة في الفترة المظلمة وما بعدها) للأستاذ حامد البازي.

وكان لأهتمام البصريين بهذا المشروع بالغ الأغتباط عندما أطلقوا على اعتزام الحكومة على أحيائه. كما كتب عن المشروع أيضاً المرحوم شيخ عبد القادر باش أعيان بما يدلل على إهتمام العاملين في حقل التاريخ بهذا الشط بالنسبة للبصرة.

والبصرة التي شهدت عزاً وثراءً حتى غدت بهما مضرب الأمثال في غابر من الزمان، لوجب أن يعود لأرضها ذلك الخير. والماء نعمة الله في أرضه ونقصانه نذير الجفاف ـ

---

(١) تاريخ صدور الكتاب سنة ١٩٧١م.

(٢) ألمح أمين الريحاني في كتابه «فيصل الأول» عن أهمية هذا المشروع عندما زار العراق عام ١٩٣٢م وإن المهندس البريطاني سر وليم ولكوكس قدر كلفة المشاريع المقترحة بـ(١٣ مليون) روبية ـ حوالي مليون دينار عراقي ـ ليعود العراق بسواده وأطرافه جنات تدر الخيرات.

(٣) الكتاب المشار اليه نشره ولده الدكتور عبد الحميد فيضي بعد وفاة والده.

على أن فيضانات ١٩٤١، ١٩٤٦، ١٩٥٤، ١٩٦٨م كانت الباعث الملح للحكومة على القيام بإخراج المشروع الى حيز الوجود.

سيكون عرض النهر (٥٠) وبعمق (٣,٥م ثلاثة أمتار ونصف المتر) ويبدأ من كرمة علي[1] ماراً بالأراضي الممتدة بين البصرة غرباً والزبير شرقاً ماراً بالشعيبة وبأراضي أخرى تابعة لأرض الزبير صالحة للزراعة وينفذ الى خور عبد الله وطوله ٤٢ كيلومتراً ويجتاز سكة حديد المعقل ـ الشعيبة ثم يقطع الطريق المبلط بين البصرة والزبير وفي هذه الأمكنة تقوم سدود وفتحات لتمنع مياه الخور المالحة عن النفوذ.

ويقدر المهندسون أن النهر سيتسع ويعمق بفعل التدفق وسيصرف بعض منه الى (ذنايب)[2] أنهر البصرة بواسطة مضخات الأمر الذي سيغنيها بكميات من الماء ـ وجميل بأن تنقل ما كتبه الدكتور محمد طارق الكاتب معاون مدير الموانىء العامة في البصرة والمهندس المشرف على هذا المشروع فإن فيه غنى لبحثنا التاريخي.

تصميم شط البصرة إحياء لنهر الحجاج:

لما كان العمل الرئيسي لشط البصرة هو تصريف مياه الفيضان وتخفيف اضرارها على الأراضي الواقعة على ضفتي شط العرب بتقليص التصريف فيه، لذا فقد كان من الضروري دراسة تصاريف نهري دجلة والفرات في هور الحمار ومنها الى شط العرب، وقد قامت الجهات الحكومية المختصة باعداد دراسات تفصيلية بهذا الشأن تقرر بعدها أن يصمم شط البصرة بتصريف ٥٠٠ متراً مكعباً في الثانية.

وفيما يلي جدول تفصيلي يوضح هذا التصريف.

---

(١) نسبة الى علي باشا الزهير حفرها مجرى صغيراً من جنوب الفرات تسقي أراضيه في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ثم عميت.

(٢) الذنايب هي أطراف الأنهار ونهاياتها بالمفهوم البصري كما تعرف أيضاً بالبزاير في الأنحاء الأخرى من العراق وحين تم انشاء طريق الفاو ـ البصرة حال دون اتصال ذنايب انهار البصرة بالصبخ (السبخة) التي هي موضع جريان مياه الفيضان الى خور الزبير وبالعكس موضع مد البحر أيام إستمرار الهواء الشرقي.

جــــدول تصريـــــف المـــــاء

م	التصريف: متر مكعب في الثانية لعام		فيضان ١٩٥٤	فيضان ١٩٥٧	حالات قصوى للفيضانات (التقدير للمستقبل)
١	مقدار التصريف الى هور الحمار متر مكعـــب في الثانيـــة	من الفــــرات	١٢٥٠	١٣٧٠	١٥٠٠
		من الغـــراف	١٥٠	١٥٠	
		من مصرف مصندق على دجلة	٢٧٠٠	١٤٠٠	٤٠٠٠
		من أهوار القرنة	٢٧٠	١٤٠٠	
		المجمـــوع	٤٣٧٠	٣١٩٠	٥٥٠٠
٢	مقدار التصريف من هور الحمار الى شط العرب متر في الثانية	من الفرات عند القرنة	٧٥٠	٦٥٠	١٥٠٠
		من الشافـــــي	١٠٠	٥٠	٢٥٠٠
		من الفرات عند كرمة علي	٢٩٠٠	١٩٠٠	
		المجمــــوع	٣٧٥٠	٢٧٠٠	٤٠٠٠
٣	مقدار التصريف من هور الحمـــار متر مكعب في الثانية بواسطـــة	التبخر والتخزين في الهور	٤٢٠	٤٢٠	١٠٠٠
		فتحة الطريق الى خور الزبير أو شط البصرة مستقبـــلاً	٢٠٠	٧٠	٥٠٠
		المجمـــوع	٦٢٠	٤٩٠	١٥٠٠
٤	التصريف من هـــور الحمـــار	المجمـوع الكلـي	٤٣٧٠	٣١٩٠	٥٥٠٠

وقد تمت دراسة المنطقة بين هور الحمار وخور الزبير وأجريت المسوحات التفصيلية لها فأصبح الطول المقرر لشط البصرة (٤٢ كم) يبدأ من نهر الفرات (فرع كرمة علي) من قرية حرير ممتـداً بإتجاه الجنوب الشرقي بحيث يتقاطع مع خط السكة الحديدية الممتدة بين المعقل والشعيبة على بعد قدره حوالي (٨,٥ كم) من المنبع عند كرمة علي ثم يتقاطع مع طريق البصرة بالزبير على بعد قدره (١٨,٢ كم) من المنبع عند كرمة علي

على أن ينشأ ناظم من مسافة (٢٢ كم) من المنبع وذلك في المنطقة الواقعة بين تقاطع شط البصرة مع طريق البصرة، الزبير وخور الزبير وسيزود الناظم (بهويس) ملائم لمرور الجنائب والسفن الصغيرة.

إن معدل الإنحدار لشط البصرة سيكون ٥,٤٥ سم لكل كيلومتر أما مقطع شط البصرة فيتكون من جزء ملاحي لأغراض الملاحة النهرية يسمح لحركة الجنائب والزوارق البخارية للعمل فيها بعرض للقعر قدرة حوالي (٥٩ م) وبعمق للماء قدره (٣,٥ م) في الصيهود وللتوصل لهذا يجري الحفر حالياً لعمق (٥ م) تحت مستوى الأرض الطبيعية ويتوسع هذا الجزء الملاحي الى عرض قدره (٩٨ م) عند تقاطع شط البصرة بجسر السكة، أما الميل الجانبي فهو بنسبة ١ : ٣ وعلى بعد قدره (٣٠ م) من الضفة الغربية للشط ينشأ سداد بارتفاع حوالي (٢,٥ م) فوق معدل سطح الأرض الطبيعية ومن طرف الضفة الشرقية يكون السداد الجانبي على بعد (٢٢٧ م) من ضفة النهر فيصبح عرض النهر للمنطقة الواقعة بين كرمة علي وخور الزبير الحالي (٣٧٧ م) يمكن تصريف (٥٠٠ م^{٣}) في الثانية إذا ما وصل ارتفاع الماء الى حوالي (١,٣٠ م) اعلى من الأرض الطبيعية الحالية وقد قدرت الكمية الكلية للحفر المطلوب بحوالي (١٢ مليون م^{٣}) ولضخامة العمل فقد استوردت مصلحة الموانىء العراقية خمس حفارات من النوع القاطع الماص Cutter Suction احداهن من النوع العملاق Ciant وبإمكان هذا النوع القيام بحفر حوالي (٥٠٠ م^{٣}) في الساعة الواحدة وبالفعل فإن هذه الحفارة والتي سميت صلاح الدين أن تقوم بحفر حوالي (١٢ ألف م^{٣}) يومياً بعمل ثلاث وجبات في منطقة خور الزبير متقدماً بإتجاه الشمال نحو طريق البصرة ـ الزبير.

أما الحفارات الأربع الأخرى والتي هي من نوع (كنك) وهي المسماة (سنحاريب ودهوك وقرنة وفلوجة) فبإمكانها حفر (٣٧٠ م^{٣}) في الساعة الواحدة وفعلاً يصل الإنتاج اليومي حالياً للحفارتين سنحاريب ودهوك اللتين تعملان في المنطقة الواقعة بين هور الحمار وخط سكة الحديد الى حوالي (١٢ ألف م^{٣}) بعمل ثلاث وجبات.

وإن الحفارة الثالثة (قرنة) نصبت في المنطقة الواقعة بين طريق معقل الشعيبة وخط السكة الحديدية في الصحراء وسيكون بإمكان الحفارة حفر (٦٠٠٠ م^{٣}) يومياً عندما

يتم فتح ترعة الى منطقة عمل الحفارة وتقوم الحفارة الرابعة المسماة (فلوجة) بالعمل مع الحفارة (صلاح الدين) في منطقة خور الزبير.

خور الزبير:

إن العمل الفعلي في مشروع شط البصرة بدأ منذ أول آذار سنة ١٩٧٠م وقد تم تشغيل الحفارات الواحدة تلو الأخرى ومنذ بدء العمل وحتى نهاية عام ١٩٧٠ تم حفر أكثر من (٤) ملايين متراً مكعباً ويستمر العمل ليل نهار لأنجاز المشروع.

وفيما يلي أهم النقاط التي تضمنها التقرير الفني المرفوع من قبل مديرية السدود والخزانات العامة:

١ - تخفيض الضغط على شط العرب لتصريف مياه نهري دجلة والفرات الى الخليج العربي مباشرة.
٢ - المحافظة على مناسيب فيضان ثابتة في هور الحمار والسيطرة عليها مما يمكن أهالي المنطقة من استعمال الأراضي المتوفرة لديهم دون تهديدها بالغرق معظم مواسم الزراعة.
٣ - تسهيل إمكانية استصلاح أراضي زراعية واسعة في هور الحمار لأستعمالها لغرض الزراعة.
٤ - تسهيل عملية تجفيف بعض مناطق هور الحمار للأغراض الزراعية والصناعية.
٥ - المحافظة على مدينة البصرة من الفيضان وجعل امكانية المدينة لأغراض السكن الصناعية غرباً ـ ممكناً.
٦ - تسهيل النقل النهري من ميناء (أم قصر) الى القرنة ومنها الى نهر دجلة والفرات.

إن مشروع شط البصرة يتطلب إضافة أنشاء ناظم كما بينا سابقاً لمنع مياه خور الزبير، وقد بدأت مديرية الطرق والجسور العامة ومصلحة سكك حديد الجمهورية العراقية بإعداد تصاميمها وحال الإنتهاء من ذلك سيباشر بإنشاء الجسر والنفق عن طريق المقاولة وأما الناظم فقد اتمت مديرية السدود والخزانات العامة تصاميمها له ومن المؤمل المباشرة بالعمل خلال عام ١٩٧١م وأن هناك مشاريع أخرى لا بد أن يقام بها بعد انجاز هذا المشروع ويمكن تحديد هذه الأعمال والمشاريع بما يلي:

١ - انشاء اقنية الري اللازمة على طرفي شط البصرة للإستفادة في سقي الأراضي التي تحاذي شط البصرة على جانبيها وتطويرها زراعياً.
٢ - انشاء مشروع بزل كامل في الأراضي الزراعية الجديدة التى ستستفيد بالسقي من شط البصرة.
٣ - ايصال قناة من شط البصرة الى منطقة الزبير وضواحيها للأغراض الزراعية[١].
٤ - مد قناة شط البصرة بمحاذاة شط العرب للمنطقة الواقعة بين البصرة والفاو وذلك لتزويد الأراضي الزراعية الواقعة على الجهة ت الغربية لشط العرب بالمياه العذبة.
٥ - غلق كافة الأنهر الفرعية على الجهة الغربية من شط العرب ونصب المضخات عليها واستعمالها كمنازل واعتبار شط العرب منزل رئيسي للمنطقة.

إن المشاريع التي بيناها أعلاه تتطلب تشكيل هيئة متفرغة ذات تكوين خاص لتطور الزراعة والري في المنطقة وتكون مسؤولة عن تنفيذ هذا المشروع الحيوي الضخم في فترة تحدد مسبقاً بحيث يمكن إعادة هذه الأراضي الى سابق إزدهارها.

نهـــر التـــرك:

يوم أن دخلت القوات البريطانية البصرة سنة ١٩١٤ في حربها ضد الدولة العثمانية كان عليها أن تجابه قوات العدو المتحشدة في الشعيبة شمالي الزبير وكانت قوات الجيش العثماني تسيطر على موقع الشعيبة الإستراتيجي وهي رقبة الطريق الى بغداد لصد تقدم الجيوش البريطانية الزاحفة وكان على كلا الجانبين أن يتوقع معركة ضارية مدافعة ومهاجمة. وكان هدف الإحتلال البريطاني بغداد آخر الأمر.

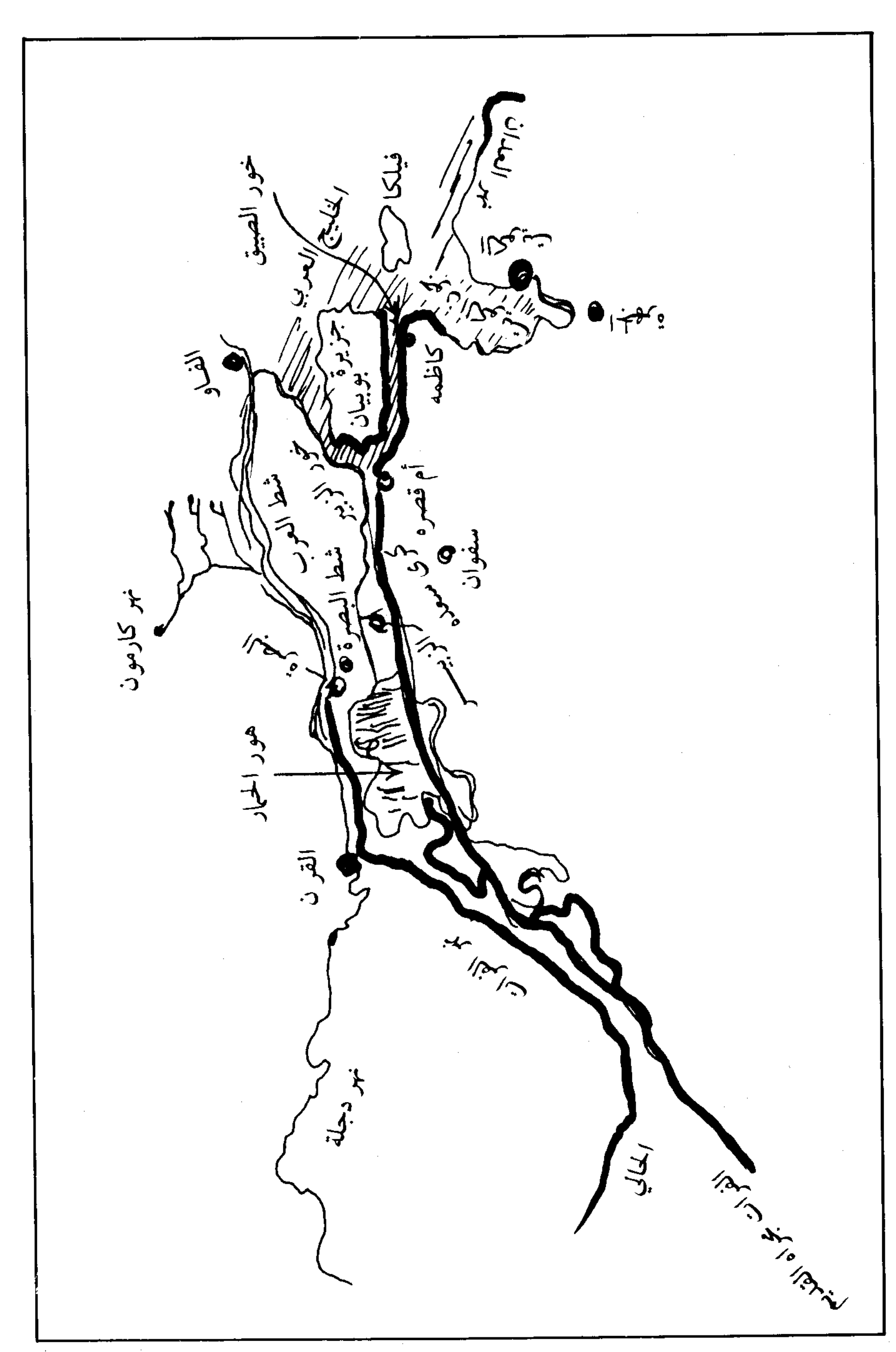
وحل عام ١٩١٥ وكان عام فيضان دجلة والفرات فكان على بريطانيا أن تنقل قواتها الى حيث ترابط الجيوش التركية فعمدت أولاً الى شق ترعة من شط العرب حيال الكرمة ذاهبة شمالاً غربياً الى سوق الشيوخ التى تقع حيال هور الحمار الغرض منها نقل قواتها

(١) متى تم ذلك فإن غالبية مناطق الآبار الزراعية سيعول عليه في سقي المزروعات كالبطيخ والطماطمه وليعدل المزارعون بماء الشط العرب عن مياه الأبار قليلة العذوبة ويتخلصوا من باهض التكاليف.

في الزوارق ذات الغطس (٤-٥) أقدام أثناء الفيضان أما في موسم الإنخفاض فإنها تلاقي صعوبات أثناء إجتيازها.

هذا المشروع هو ما دعي بالترعة البريطانية أو (نهر الترك) وكانت بريطانيا قد حفرته بأيدي الأسرى الأتراك وقد أفادت منه أغراضه، والآن وبعد أن أنتفت الحاجة أهمل ودفنته الأتربة[١].

(١) العميد طه الهاشمي جغرافية العراق: ٤٥.



كرى سعده ومجرى نهر الفرات القديم والحالي

كـــــرى سعـــــده

الكرى هو المجرى المائي الذي ينشأ من كراء الإنسان بآلات الحفر المعروفة وليس هو بالمجرى الطبيعي كالأودية الصحراوية هذا ما يتبادر الى الذهن حينما تطلق الكلمة. ولقد ورثناها سابقاً عن سابق بهذا اللفظ وأن التاريخ أهمل ذكره إلا من نتف يعثر عليها في متفرق الكتب.

والذي نعلمه أن موقع البرجسية اليوم وجويبده والكريطيات والصعيرية في شمال غربي وغرب الزبير هي المعالم الواضحة لمجرى «كرى سعده».

ولقد تتبعنا ماهية هذا الكرى لدى دوائر التسوية في البصرة أو في ما كتب عنه مؤلف «هيت في اطارها القديم والحديث» للأستاذ الشيخ رشاد الخطيب يقول: «لا تزال آثار نهر مندرس يعرف باسم جرى سعده بالقرب من الرمادي فوق ضفافة قبور من العهد الساساني» كما أنا لاحظنا بالقرب من الكوفة وفي مناطق من الجنوب آثاراً لهذا النهر يعرف بهذا الإسم أيضاً. وبه يعرف أنهر مندرسة في منطقة (الغبيشية) وقد وجدنا في (المرشد الى مواطن الحضارة والآثار) ما يؤيد صحة ذلك فقد ورد فيه ما اسلفناه ويتساءل مؤلفاه[1] عن حقيقة هذا النهر وتاريخه وهل هو مشروع كبير للري من الفرات؟ أم هو خندق سابور الوارد ذكره في الأخبار العربية؟ أو أنه عدة أنهار من أزمان مختلفة؟ وهذا ما يرجحه المؤلفان.

ولكن موسيل في كتابه The Middle Euphuetes الفرات الأوسط يدعي أنه فحص الأرض من جنوب غربي هيت الى مسافة تقرب من (٢٥٠كم) دون أن يقع على معالم أي خندق رغم أنه أجهد نفسه للحصول على أثر واحد له، ويشك أن القصة قد تكون مستندة الى التكوين الطبيعي للأرض.

---

(١) الكتاب أصدرته مديرية الآثار العامة ـ بغداد.

بينما نجد أن الكثير من المراجع العربية قد ذكرت ما يثبت صحة وجود هذا الخندق ولذا نرجح أن تكون الآثار المتشابهة قرب الرمادي والكوفه ومنطقة الغبيشية ومدن أخرى في جنوب العراق نهراً مندرساً هو جزء من ذلك الخندق الذي يعرف بخندق سابور في برية الكوفة حفره سابور بينه وبين العرب يشق طف البادية الى كاظمه مما يلي البصرة وينفذ الى البحر وبنى عليه المناظر والجواسق ونظمه بالمسالح ليكون مانعاً لأهل البادية من السواد.[1].

روى ياقوت: أن سابور ذا الأكتاف اختار موضعاً جعله حصناً وباباً لبلاد السواد مما يلي الروم[2] وسماه (فيروز سابور) وكان هذا الموضع مساكن العرب فنقلهم الى (بقة)[3] والصقير وكورة حدها من هيت عانات الى قطر بل وفيها مدينة الأنبار وما اتصل بها الى قرى بغداد، واستعمل على مرازبتها شيلي بن فروخ زادان وضم اليه مرزبة سقى الفرات، واسكنها الفين من قواده. ويقال ان سابور حفر خندقاً في برية الكوفة بينه وبين العرب خوفاً من شرهم وسمي خندق سابور.

ولما ساد كسرى أنوشروان (٥٣١ ـ ٥٧٨م) بلغة أن طوائف من الأعراب يغيرون على ما قرب من السواد الى البادية فأمر بتجديد سور مدينة تعرف بالنسر، كان سابور ذو الأكتاف[4] بناها وجعلها مسلحة تحفظ ما قرب من البادية وأمر بحفر خندق من هيت يشق طف البادية الى كاظمه مما يلي البصرة وينفذ الى البحر وبنى عليه المناظر والجواسق ونظمه بالمسالح ليكون مانعاً لأهل البادية من السواد فخرجت هيت وعانات بسبب ذلك الخندق من طسوج شاه فيروز لأن عانات كانت قرى مضمومة الى هيت.

ومن الأخبار المتواترة والقصص الشائعة عن هذا النهر أو الخندق «أنه كان في قرية العطاعط التي تقع على الضفة اليسرى من الفرات والتي تبعد عن هيت حوالي ستة أميال فتاة بارعة الجمال اغرت بجمالها الساحر الشباب تدعى» «سعدى الأحمد» وكان

---

(١) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية محمد الخضري ج٢.
(٢) الحموي ياقوت: معجم البلدان (مادة خندق).
(٣) بقة بلدة قرب هيت والانبار.
(٤) بلغ من ظلمه وغطرسته ان كان ينزع أكتاف العرب لأنهم يفيئون الى ريف العراق أيام الصيف: المصدر السابق.

قد بنى لها أبوها قصراً شيده على شاطىء النهر ـ لا زالت آثاره ماثلة للعيان ـ وقد طلب يدها الكثيرون فلم يفز بها أحد وذاع صيتها حتى وصل الى أمير من أمراء البصرة فقصد هيت[1] مصمماً أن يدفع الثمن مهما كان غالياً ولكن الثمن أصعب مما يتصور، فقد طلبت سعده أن يشق لها نهراً من هيت الى البصرة تزف فيه ويسمى باسمها على أن يتم جريان الماء خلال ثلاث سنوات فتم الإتفاق على ذلك وما أن أتت المدة المقررة حتى كان العمل منجزاً فزفت سعدى مخترقاً زورقها النهر الذي سمي باسمها وشق من أجلها وعاشت في البصرة زمناً في محله تدعى المشراق[2] مع زوجها الأمير البصري.

ويتابع صاحب كتاب هيت حديثه قائلاً: «يوم كنت في البصرة بحكم وظيفتي وجدت أن أهل البصرة يرددون القصة كما نعرفها نحن في هيت ويحفظون ما قالته سعدى حنيناً الى بلدها هيت رغم ما احاطها به من أسباب النعيم، كانت تحن الى نواعير الفرات وبساتين هيت الغناء ساحرة بما هيأ لها زوجها من مظاهر الأبهة ووسائل الراحة فقد سمعها يوماً تبكي وتقول:

ما طاب لي المشراق مصباح ومبيت
يطيب لي الناعور يسقي نهر هيت
لا تلوموني غريبة لو بجيت

ويبدو أنه كان قد تبجح أمامها بمناظر المشراق الخلابة وعظمته فقالت له:

أن شاك لك المشراق ما شاكت إلي
حسّ الدوالي والنخيل وماي هيت

ولم ير بداً من اعادتها الى موطنها وجهزها باحسن جهاز وسيرها معززة مكرمة الى أهلها.. وكانت قد نذرت لئن رجعت سالمة لتعلقن حجلها الذهبي على أول ناعور يقع نظرها عليه.. وعند وصولها الى قرية (الدرستانية) في هيت نادت أحد فلاحيها

---

(١) شيخ رشاد الخطيب هيت قديماً وحديثاً.

(٢) ليست محلة المشراق فقط بالتي تعرف اليوم بهذا الاسم كأحدى محاليل البصرة كانت محلة في العصر الأموي في أعلى المربد بين سفوان وجبل سنام وكان النهر يمر بينهما ثم اندرست كما اندرس النهر (المؤلفان).

وطلبت أن يوقف الناعور ففعل فتقدمت وربطت حجلها فيه ثم طلبت تحريكه حيث دار دورتين ثم قالت للفلاح خذ الحجل فهو هبة لك. ولا يزال ابناء هيت يسمون هذا الناعور ناعور ابو الحجول.

هذا ما يرويه الاباء للابناء. فان صحت القصة فلايستبعد ان يكون هذا الامير الثري هو الذي اعاد فتح خندق سابور وكراه مجدداً. ونحن ننقل هذا الاسناد بنفس التحفظ الذي إشار اليه مؤلف كتاب هيت.

وفي صفحة (٢٦) من الكتاب يطالعنا موضوع هو الصق بالبحث من (قصر سعده) حيث يقول الشيخ الخطيب فيه: «مما يدعم صحة وجود جري سعده اثر آخر يحمل اسم سعده ايضاً مازال قائماً في هيت في قرية العطاعط يسمى» (قصر سعده) وقد عنيت به مديرية الاثار العامة، ولهذا القصر منافذ تفضي الى النهر في اسفل البناء.

ويضيف المؤلف قوله: «حدثني أحد المعمرين الثقات أنه كان مع جماعة له أثناء الحرب العالمية ثم كانوا داخل القصر المذكور لوجود مخابىء حصينة فيه وكان جو هذا القصر مشبعاً بالرطوبة والبرودة حتى لا يكاد ساكنه يشعر بحرارة الصيف.

وأضاف يقول: «أن القسم الأسفل كان بشكل سرداب شيد فوقه طابق واسع أقيم عليه طابق آخر يختلف عن الأول بارتفاعه الشاهق فقد بني من صخور ضخمة مرتفعة قال أن إرتفاع الواحدة منها يقارب طول رجل طويل القامة.. ثم قال «وللسرداب باب ينتهي الى شاطىء النهر ويروى أنه كان لسعده زورق مربوط عند فوهة ممر يفضي الى داخل القصر كانت اذا أحست بخطر يداهمها تفر بواسطته. ويذكر أنه كان في احدى جنبات القصر مخزن سماه الراوي عنباراً تملؤه سعده بالأطعمة. وعلى أي حال فلا شك أن هذا الأثر قديم يدلنا على طراز هندسة وفن بنائه.. ولعل التنقيبات تكشف عن حقيقته.

وفي معجم ما استعجم للبكري: أن أنو شروان حفر خندقاً من الهيت حتى يلي كاظمه مما يلي البصرة وينفذ الى البحر وجعل المناظر[1] للحيلولة دون عبث الأعراب في أرض السواد وأورد ياقوت بهذا المعنى أنه لما بلغ الملك أنو شروان أن طوائف من الأعراب يغيرون على ما قرب من السواد الى البادية أمر بتجديد سور مدينة (آلوس) كان سابور ذو الأكتاف بناها وجعلها مسلحة لحفظ ما قرب من البادية وأمر بحفر خندق يشق طف البادية الى كاظمه مما يلي البصرة فينفذ الى البحر وبنى عليه المناظر والجواسق ونظمه بالمسالح ليكون ذلك مانعاً لأهل البادية عن السواد.

أما الملك الساساني شابور الثاني سنة (٣٠٩ - ٣٧٩م) فقد حفر بالقرب من هيت في جهة الجنوب خندقاً طويلاً عريضاً يأخذ الماء من الفرات وينحدر الى الجنوب حتى يصل الى الأبلة القريبة من البصرة ولا تزال فوهة هذا النهر تشاهد على الضفة اليمنى للفرات وكان الغرض منه على ما يروي لصد غزوات الأعراب والبدو على الإمبراطورية الفارسية من الغرب وعرف هذا الخندق بالمصادر العربية باسم «خندق سابور» وورد في تاريخ الوزارات العراقية للسيد عبد الرزاق الحسني (الجزء الأول ص١٥٦) حول كرى سعده قال بها نصه:

مشروع كرى سعده:

النجف بلدة واسعة مبنية على رابية مرتفعة فوق أرض رملية فسيحة تبعد عن الفرات (فرع الكوفة) عشرة كيلومترات وتأخذ مياهها من الجداول والترع التي انفق على حفرها رجال البر والإحسان في أوقات مختلفة.

وفي أيام الوزارة العسكرية الأولى وافقت على أن يقوم أحد الرجال المحسنين في تأمين المياه لساكني هذه المدينة المقدسة. بحفر جدول من محل يعرف بالزنديات المتصلة بجدول بني حسن وينتهي مصبه الى بحيرة النجف مع أرواء الأراضي الأميرية غير المزروعة مما يزيد من الماء بعد تأمين حاجة البلد منه. ويختمه بالقول: «أن العمل بوشربه ثم ظهر أن المواصفات والإستشارات الفنية كانت غير ناجحة فاخفق المشروع

---

(١) المناظر جمع منظره لله‌هي بمثابة نقاط عسكرية للمراقبة.

من أساسه واسترد المبلغ المتبرع به كاملاً الى صاحبه واضطرت الحكومة العراقية ان تتكلف مصاريف الحفر التي بلغت ٦٧٠٠٠ روبية.

والذي نعلمه حسبما توضحه الخرائط الجغرافية (أن كري سعده) يمر في برية الكوفة[١] وغير بعيد عن مدينة النجف فيما لو ادخل المشروع في الأعمال الكبرى لأرواء المدينة بطريقة فنية تخضع لأنظمة الري ومستوى الأرض، من هذا نعلل اخفاق المشروع.

ولو اتخذت المسوحات الفنية الإروائية بنظر الإعتبار لأمكن تدفق الماء في كرى سعده بعد ايصاله بمصدر مائي دائم، مثله في ذلك مثل نهر الوالي التركي الذي حفره من أحد أنهر البصرة يريد به إرواء مدينة الزبير فحينما وصل الماء الى مكان يدعي الحصوة تبعد عن الزبير بضعة كيلومترات وقف الماء لأرتفاع مستوى أرض الزبير ولو أجراه من أعالي شط العرب أو من القرنة لنجح مشروعه وشربت المدينة وكذلك الحال في مشروع كري سعده بالنسبة لأرواء مدينة النجف.

سبب التسمية:

ووجدنا أن كري سعده إنما سعد بن أبي وقاص عند فتح العراق بعد واقعة القادسية أستعمل فريقاً من العباديين سكان الحيرة الأصليين في كرى النهر ولم يكن من قبل بهذا الاسم وإنما كان أشبه بالخندق ينزل اليه الماء حين يفيض الفرات فأخذ الناس يطلقون عليه كرى سعد[٢] والعباديون كما يرى ابن عبد ربه أنهم من الجمرات بطن في جديلة[٣] من لخم.

وورد في معجم البلدان أن هناك نهراً يسمى سنداد وقيل سنداد قصر في العذيب وعذيب ماء قرب القادسية.

---

(١) كرى سعده نهر مندرس بين النجف والكوفة يبلغ عرضه ٤٠ متراً يقطعه الفرات بين الكوفة وأبي صخير. . وقد عنينا بالسفر للوقوف على معالمه فوجدناه جافاً تقطعه السيارات ونزلنا اليه وقسنا عرض القاع وعرض الجرف.

(٢) يوسف غنيمة: الحيرة ص١٧.

(٣) العقد الفريد: ج٢ ص٢٥٣.

قال الأسود بن يعفــــر:

ماذا أؤمــل بعــد آل محرق تركــوا منــازلهــم وبــعــد آياد
أهــل الخــورنــق والســدير وبــارق والــقصر ذي الشرفــات من سنــداد

الأمر الذي يبدوا أن سنداد نهر تكتنفه القصور على جانبية. ويعقب ياقوت قائلاً: «وسنداد نهر ما بين الحيرة والأبله وكان عليه قصر تحج العرب اليه وهو القصر الذي ذكره الأسود بن يعفر كما ذكره صاحب تاج العروس أن سنداد منازل لأياد، لنهر أسفل سواد الكوفة وكان عليه قصر تحج اليه العرب».

ومحصل كل هذا أن كرى سعده كان يجري في العهد الساساني وذلك بعد أن حفره سابـور (ذو الأكتـاف) خندقاً غرب العراق يحمي به السواد من القبائل العربية التي أعتادت أن تقصد ريف العراق في أيام الصيف وشحة الأمطار. وكان ملوك الفرس يبثقونه من الفرات قرب عانات[1] وأنشأوا عليه المناظر والجواسق والقصور ثم تحولوا عنها بتحول الماء في نهر الفرات وآلت مظاهر الحضارة الى الخراب حتى اذا جاء الإسلام كان نهراً مندرساً فتطلع القائد العربي سعد بن ابي وقاص الى أن يستفيد من هذا النهر ويعيد اليه الحياة فكراه وبثقه من الفرات قرب الكوفة كما تقدم وبه إكتسب التسمية التى ظلت الى هذا التاريخ «كرى سعده».

هذه الجملة ما قيل عن هذا المجرى الأروائي ما قبل العهد الإسلامي وخلاله حتى أصبح أثراً.

طرائف وكرى سعده:

«حدثنا أحد الثقاة[2] عن والده من الزبير أنه كان حاجاً مع جماعة له عن طريق البحر فلما دخلوا ميناء عدن على فم البحر الأحمر صعد الى المركب أحد الزميين ويتفق أن يتعرف على الجماعة وقد عرف أنهم من البصرة فجالسهم قال: أملك أراضي ورثتها

---

(١) وتسمى اليوم عانة وما حولها من القرى الساحلية الفراتيـــة.

(٢) هو صديقنا الأديب حمد بن محمد الفارس.

عن جدي على ضفاف كرى سعده المسمى بشط البصرة[١] ذات أشجار ونخيل وعندي بها حجج شرعية وأني أنوي بيعها فقال الحاج نحن أعرف بديارنا فليس هناك نهر ولا أشجار بل صحراء قاحلة ودهش الذمي ويقول: وأن امتداد أرض البستان ما أظل جبل سنام وقت الأصيل.

«وحدثنا غيره[٢] ممن يعمل بدائرة طابو البصرة في عهد أيام مديرها الأسبق المرحوم عبد الحميد السلمان أن أحد الرعايا المصريين قدم العراق وهو يحمل حججاً شرعية تثبت ملكية بساتين مساحتها (٧٥) جريباً ورثها عن أحد أجداده مؤيدة من وزارة الخارجية المصرية الى الحكومة العراقية وإنها واقعة في سفوان* وإنه يرغب في الوقوف عليها لغرض بيعها ـ ودهش المدير وطلب دفتر الأساس فإذا الأرض كما وصفت الحجج من أنها مزروعة بالنخيل وأشجار الفاكهة وأخبره أن أرضه أصبحت صحراء لا نبت فيها وتحركت لجنة لأطلاعه على أرضه مع أحد الادلاء من أهل الزبير وهناك لم يجدوا الا الأرض الخراب اللهم إلا من بضع نخلات متفرقة في المنطقة عند بعض الآثار. وعندها أسقط بيد الرجل فلا زرع ولا ضرع ولا نهر».

وتتظافر الروايات على أن منطقة الكري (كري سعده) أو ما كان يطلق عليها شط البصرة كانت شجراء مخصبة بفعل الماء الجاري من شمال وقبلي الزبير حيث البساتين النضرة على شاطئين الى ما قبل قرنين من الزمان تقريباً.

ورجعنا الى خرائط دوائر التسوية[٣] في البصرة فظهر أن المقاطعة (ح٢ الزبير) المسماة البرجسية الغربية توضح لنا مسيرة كري سعده فهو يخترق مناطق ومزارع للآثيل ويتقاطع عمودياً مع طريق عام (البصرة ـ الناصرية) وفي هذه المنطقة يبدو واضحاً بعرض خمسين متراً ويمكن أن يقدر عمقه (٢,٥م ـ ٣م) والأرض التي من حوله رملية

---

(١) بلغ من إهتمامنا في تحري هذا المجرى المائي أن تتبعناه من منبعه في هيت على الفرات وحتى بلغنا الى مناطق الآبار الزراعية في الزبير.

(٢) من حديث للأخوة مبارك الزنكي وسليمان الفيحان وعبد الرحمن الدبيكل.

(٣) قد هيأ لنا مديرها آنذاك الأستاذ عيسى عبد الله العيسى.

* لعله هو الذي التقى بجماعة الحجاج في المركب.

معشبة ويستمر بمجراه الى أن يصل حدود مقاطعة (٥٤ الزبير) المساة الشعيبة الغربية وهناك يبدأ بالإضمحلال متحداً مع هور الحمار مخترقاً سكة قطار (البصرة ـ بغداد) على أن الفيضانات المتواصلة عبر السنين أدت الى زوال كرى سعدة في شمال هذه المقاطعة وأن طوله الظاهر المندثر من هور الحمار شمالاً الى خور عبد الله جنوباً تقدر بخمسين كيلومتراً (٥٠كم[١]).

وقد كان هذا المجرى المائي وهو يمر بالهور ويخترقه من الشمال في منطقة الناصرية يخرج منه في شمال الزبير فإذا ما ارتفع الهور ضاع المجرى فإذا انخفض ظهر كرى سعده لهذا كانت مسيرة النهر حينما كان نهراً حياً يتدفق ينزل من فرات الكوفة وعرضه في هذه المنطقة بين (٨٠م ـ ١٥٠م) وكلما عرض المجرى تضاءل أثره واندمج بالأرض من حوله وبالعكس فكلما دق ظهرت معالمه وأكثر ما تبـدو هذه الظاهرة في نقطة تقاطع (البصرة ـ الناصرية). كما تقدم.

كرى سعد في حديث السياح الأجانب:

ونرجع إلى نيبور السائح الإلماني الذى زار المنطقة سنة ١٧٦٥ ذكر أنه رأى حوض نهر جاف أو كما قال قناة محفورة يسميها العرب قناة كري سعده أو حفر سعده، ومن المعروف أن كري سعده هو الذي يسميه اليونانيون Pallocopas وقد سافر الإسكندر من بابل فيه قبيل وفاته ويصف (اريانوس) هذا النهر في كتاب له.

على أن نيبور قد أستقي هذا الهاش في المؤرخ اليوناني اريانوس المولور سنة (٩٠) ميلادي ونشرها بالنص باللاتيني وترجمها الدكتور روفائيل بيداويد الى العربية على النحو التالي:[٢]

«وفيما كانت المـراكب تعد للسفر والمرفأ يحفر عند بابل نزل الإسكندر عن طريق الفرات الى نهر بالاكوبا وهو يبعد عن بابل (٨٠٠) غلوة[٣] وينسلخ هذا النهر من مجرى

---

(١) لقد تفضل الأستاذ عيسى العيسى مدير التسوية لأراضي البصرة مشكوراً بتزويدنا بهذه المعلومات التاريخية.

(٢) وترجم الرحلة عن الألمانية سعاد هادي العمري.

(٣) الغلوة مسافة رمية السهم أو ٦٠٠ قدم والمقياس يوناني.

الفرات عند فيضانه وهو لا ينبوع له ـ وينبع الفرات من جبال أرمينية ـ وفي الشتاء يضيع بين الضفتين لقلة مياهه، وفي الإنقلاب الربيعي خاصة حين يفيض الفرات تزخر ضفافه وإذا لم توجه مياهه الى بالاكوبا[1] يغمر المنطقة المجاورة كلها لشدة ارتفاعه فتكون مستنقعات ويتكون مجرى هذا النهر من أمتداد هذه المستنقعات حتى منطقة البادية الجنوبية ماراً بمخاوض كثيرة نصب أخيراً في البحر عن طريق مسالك خفية. وعندما يعود الفرات صغيراً يعمدون الى سد مجاري (بالاكوبا) من الفرات كي لا تضيع المياه ونقل لأن منها يسقي الأشوريون حقولهم لذلك عني المرزبان البابلي كثيراً بسد منافذ الفرات في (بالاكوبا) وهي منافذ تفتح وتسد ولما كانت تلك الأرض كثيرة الطين لتشعبها بمياه النهر فهي لا تسمح برجوع المياه الى الوراء بسهولة حتى أن عشرة آلاف آشوري بذلوا ثلاثة أشهر كاملة في حفر هذا المشروع.

وحين اتضح ذلك الى الإسكندر دفعه الى التفكير في مشروع مفيد للآشورين فعمد أولاً على أحكام سد منافذ الفرات عند حوض (بالاكوبا) ثم أنه تقدم (٣٠) غلوة.. داخل بالاكوبا فعرضت له أرض حجرية (صلبة) فكر لو أنه يشقها لكلفة المشروع كثيراً فاعرض عنه وأكتفى باختزان المياه عند فيضان الفرات وعندها ستجتاز هذه الأرض بمجرى نهري فتمتلىء البحيرات وفعلاً قد حصل له ما أراد فركب النهر في بالاكوبا حتى وصل البحيرات فنزل في بلاد العرب وهناك وقع نظره على مكان طيب ابتنى فيه مدينة وحوطها باسوار.[2]

من هذا يظهر أن هذه المنطقة التي حفر فيها، نهر كرى سعده كانت مأهولة بالسكان والا فما الداعي الى أن يكلف (١٠ آلاف) عامل في هذا الحفر باتجاه البادية وما بحيرة النجف الا أجدى هذه البحيرات التي تستمد مياهها من الفرات ثم أن الإسكندر رجع من نفس الطريق في بالاكوبا (كرى سعده).

---

(١) وبالاكوبا هو كرى سعده.

(٢) لعلها منطقة الأخضير وفيها آثار حصن أثري كبير نلتقي عنده عدة طرق صحراوية كما يلتقي عنده وادي رملي يعرف بين البدو باسم «وادي الأبيض» بتشديد الياء على التصغير والمنطقة الى الجنوب الغربي من مدينة كربلاء على نحو (٥٥) كيلومتراً، انظر الكتاب «الأخضير» الذي اصدرته مديرية الآثار القديمة في العراق سنة ١٩٣٧.

من هذا يتضح للباحثين كم كان يشغل هذا المجرى اذهان المسؤولين والمهتمين بشئون الري والزراعة واستصلاح الأراضي البور في جزء كبير من أراضي العراق على طول الشريط الشريط الغربي من الشمال الى الجنوب.

الملحــق الثانــي

الأبلـــــة

الأبلة يضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها قال أبو علي : الأبلة اسم البلد[1] حكى الأصمعي قالوا : ان الأبلة اسم البلد كانت به أمرأة خمارة تعرف بـ(هوب) في زمن النبط فطلبها قوم فقيل لهم (هوب اللاكا) بتشديد اللام أي ليست هوب هنا فجاءت الفرس فنطقتها (هوبلت) فعربتها العرب (ابلة).

وجاء في كتاب (شط العرب وشط البصرة والتاريخ)[2] أن الأبلة ترقي الى العهد الأغريقي أوصي الى عهد أقدم من ذلك بوجود قبيلة تعرف باسم (ابّلو) زمن سرجون الأكدي وقد عاشت هذه المدينة فترة طويلة جداً.

ورد في كتاب البصرة في ادوارها التاريخية[3] الأبلة النبطية الكلدانية التى استولى كورش ملك الفرس عليها سنة ٥٣٨ق.م بقيت في يد الفرس حتى انقض عليها المسلمون.

يقول ياقوت الأبلة بلدة على شاطىء دجلة العظمى من البصرة في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة[4] وهي أقدم من البصرة لأن البصرة مصرت في زمن الخليفة عمر بن الخطاب.

وكانت الأبلة حينذال مدينة فيها مسالح لكسرى وهي على أربعة فراسخ من البصرة على عبر دجلة العوراء وكان سكانها قوم من الفرس يعملون في البحر فلما قرب منهم العرب نقلوا ما خف من متاعهم وعيالاتهم على أربعمائة سفينة واطلقوهما فلما بلغت خور مدينة سبذان مالت بهم الريح.

---

(١) ياقوت ج ١/٧٦.
(٢) من تأليف الدكتور محمد طارق الكاتب ص١١٢.
(٣) الشيخ عبد القادر باش اعيان ـ ص١١.
(٤) يعني بها خور الزبيـــر.

عن البحر الى نحو الخور، فنزلوا (سبذان) وبنوا فيها بيوت النيران (ولا ادري اين موقع سبذان هذه فإنا ابحث عنها (إن شاء الله) والقول لياقوت وقد أجرى الدكتور محمد طارق الكاتب في كتابة آنف الذكر تحقيقاً في موقع الأبلة ونهرها فذكروا ان النهر هو نهر العشار الحالي الآخذ من شط العرب والذاهب غرباً نافذاً الى قلب مدينة البصرة الحالية وحتى ينتهي الى طرفها في باب الزبير جانب المستشفى الجمهوري وقدم بين يدي البحث أدلة جديرة بالإعتبار. كما ذكر أن مدينة الأبلة تقع على صدر النهر الى الشمال منه بموقع مدينة العشار الحالية، ونحن نتفق مع الدكتور في تحديد موقع النهر لوجاهة الأدلة والتي كثيراً ما تضاربت فيها أقوال المؤرخين والكّتاب نتيجة اختلاف التلقي في الرواية أو نتيجة تباين طريقة التحديد والوصف من عصر الى عصر فيأتي المتأخر وفي نفسه شيىء من سوء الفهم وبهذا تصبح الحقائق التاريخية في لبس الى أن يوفق الكشف الآثاري عن ازالته، ولعل من المفيد أن نعود بالذاكرة الى تاريخ حفر انهر البصرة الأولى التى سبق البحث فيها ـ فعسى أن يتضح موضع هذا النهر من غيره.

كما أن من المفيد أن نقول أن مدينة الابلة سبق وجودها نهرها فقد كانت كما ذكرها ياقوت وغيره من المؤرخين القدامى أنها في زاوية الخليج وهى مدينة بحرية أكثر منها نهرية وسكانها يعملون في البحر أكثر مما يعملون في النهر ـ والابلة (المدينة) في عهد النبط كانت ولم يكن لها نهر اللهم الاغورة تخرج من شط العرب تشرب منها على أن أقدم المؤرخين الذين أرخوا لنهر الابلة هو البلاذرى الذى عاش مخضرما للقرنين الثانى والثالث الهجريين وجميع من جاء بعده من البلدايين والجغرافيين كانوا عيالا عليه. والبلاذرى نفسه لم يشهد عصر حفر النهر (الابلة) وإنما تلقاه بالرواية.

يقول: حدثنى المدأنى عن أبى بكر الهذلى والعباس بن هشام عن أبيه عن عوانه عن جماعة من أهل العلم قالوا: كان لدجلة العوراء (شط العرب) وهى دجلة البصرة خور[١] والخور طريق الماء لم يحضره أحد يجرى اليه ماء المطر وينضب في الجزر وكان طوله قدر فرسخ (ستة كيلو مترات)[٢] وكان لحده مما يلى البصرة غورة واسعة تسمى في

(١) الخور المنخفض من الأرض والغور ذهاب الماء في الأرض (القاموس) وقد عرف الخور بين الجغرافيين لما إتصل ببحر والغورة ما إتصل بالماء العذب (٢) في تحقيق للميل العربى أنه كيلومتران ـ الدكتور محمد طارق الكاشف)... (الفرسخ ثلاثة أميال ـ القاموس) البلاد ص٣٥١.

الجاهلية (الاجانـة) وسمته العرب في الاسلام (الجزارة) - لعلها من جزر الماء إذا إنسحب - وهى على مقـدار ثلاثـة فراسخ ومنه يبتدىء النهر الذى يعرف اليوم بنهر الاجانة (أي في عهد عوانه راوى الخبر) وقد يكون عوانه هذا عاصر حفر النهر.

من هذا يستدل أن نهر الابلة أكتسب التسمية بعد عصر راوى الخبر بفترة ولعل التسمية جاءت بعد أن رغب المسلمون في سكنى مدينة الابلة وأهتموا بها وأوصلوا اليها نهر الاجانة مدوه اليها فاكتسب شهرة وكان لها مكان في ميزان إقتصاد الدولة الاسلامية فهى باب البصرة إلى الهند ومدن الخليج وهى ثغر صحراوى كذلك.

ويتابـع البلاذرى حديثة عن نهـر الاجانة يقـول: فلمـا أمـر عمر بن الخطاب رضى الله عنه أبا موسى الأشعرى أن يحتفر لأهل البصرة نهرا إبتدأ الحفر من الأجانة وقادة ثلاثة فراسخ حتى بلغ به البصرة.

(وإن نهر الاجانة هذا هو نهر العشار اليوم). والعروف أن عهد عمر بن الخطاب رضى عنه هو أول عهد للبصرة بمشروع شق الترع والانهار. وأن أبا موسى الاشعرى أول وال فتح نهرا ولم يكن للفرد العربي عهد بمثل ذلك من قبل . . . وانما سهل على أبى موسى الاشعرى حفر نهر الاجانة [1] لوجود تلك الخورة (الغورة) كما يرجع الفضل إلى تحقيق هذا المشروع إلى شكاية الأحنف بن قيس زعيم تميم وهو يمثل البصرة بين يدي خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضى الله عنه - وكان قد قدم إلى عاصمة الخلافة في ضمن وفود أهل الامصار فتكلم كل بحاجته والاحنف في زواية المسجد صامت لا يتكلم فقال له عمر وانت يا أحنف أمالك حاجة؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين أن مفاتيح الخير بيد الله وأن إخواننا من أهل الامصار نزلوا منازل الأمم الخالية بين المياه العذبة والجنـان الملتفة وأنا نزلنا سبخة نشاشة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها. ناجتها قبل المشرق البحر الأجاج [2] ومن قبل المغرب القلاة فليس لنا زرع ولا ضرع - تأتينا منافعنا

---

(١) الأجّانة هي في الأصل إناء تغسل في الثياب وهي هنا فتحة في الأرض تفضي الى النهر يفيض فيها وتجري اليها السيول فتمتلىء أو تنضب تبعاً لتوفر المياه أو قلتها.

(٢) البلاذري - فتوح البلدان ص٣٥٢.

وميزتنا في مثل مرىء النعامة يخرج الرجل الضعيف فيستعذب الماء من قر سخين وتخرج المرأة لذلك فتربق [1] وليدها كما يربق العنز تخاف بادرة العدو وأكل السبع فان لا ترفع خسيستنا وتجبر فاقتنا نكن كقوم هلكوا.

فالحق عمر ذراري أهل البصرة في العطاء وكتب الى أبي موسى يأمره أن يحفر لهم نهراً.. وكان هو الأبلة.. قبل أن يحفر (المعقل) وكان حفر نهر المعقل في ولاية زياد البصرة في عهد معاوية بن أبي سفيان.

ثم أن نهر الأجّانة ـ نهر الأبلة فيما بعد ـ انطم ما بين البصرة وبثق الحيري وذلك على قدر فرسخ من البصرة (موضع مرتفع الحصوة في طريق البصرة ـ الزبير اليوم) وكان زياد على الديوان وبيت المال في ولاية عبد الله بن عامر بن كريز للبصرة في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فأشار على ابن عامر أن ينفذ حفر نهر الأبلة من حيث انطم حتى يبلغ به البصرة فكان يريث ذلك ويدفعه فلما شخص ابن عامر الى خرسان واستخلف زياداً اقر حفر ابي موسي الاشعري علي حالة وحفر النهر من حيث انطم حتى بلغ به البصرة وولي ذلك عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق فلما فتح عبد الرحمن الماء جعل يركض فرسه والماء يكاد يسبقه وقدم ابن عامر بن خراسان فغضب على زياد وقال: إنما أردت أن تذهب بذكر النهر دوني فتباعدت ما بينهما حتى ماتا وتباعد بسببه ما بين أولادهما[2].

التحقيق في موقع الأبلة

١ - ذكر المؤرخون القدامى أن هناك ابلتين قديمة وحديثة جاء ذلك على لسان الرحالة ناصر خسرو (سفرنامه ص١٥٠) الأبلة تقع على النهر المسمى بها مدينة عامرة وقد رأيت قصورها وأسواقها وأربطتها ومساجدها وهي من الجمال بحيث لا يمكن حدها أو وصفها.

---

(١) الربق ـ بالكسر حبل فيه عدة عرى يشد به البهم (المحيط).

(٢) يقول يونس بن حبيب النحوي وهو في عصر الجاحظ انا ادركت ما بين آل زياد وآل عامر من التباعد.

والمدينة الأصلية تقع على الجانب الشمالي للنهر. وعلى جانبها الجنوبي يوجد من الشوارع والمساجد والأربطة والأسواق والأبنية الكبيرة ما لا يوجد أحسن منه في العالم وهذا الجانب الجنوبي يسمى (شق عثمان) . . وشق عثمان هذا إنما هو عثمان بن مرة بن أبي عثمان مولى عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق[1] وكان سرياً وسأل عائشة أم المؤمنين أن تكتب له الى زياد وتبدأ في عنوان كتابتها فكتب له بالوصاية وعنونته.

«الى زياد بن أبي سفيان من عائشة أم المؤمنين» فلما رأى زياد أنها قد كاتبته ونسبته الى أبي سفيان سر بذلك وأكرم «مرة» والطفة وقال للناس: «هذا كتاب أم المؤمنين اليّ وعرضه عليهم ليقرأوا عنوانه ثم أقطعه مائة جريب على نهر الأبلة وأمره فحفر لها نهراً فنسب اليه وكان عثمان بن مرة من سراة أهل البصرة وسميت هذه المقاطعة شق عثمان لأن نهره شقه من الأبلة».

ثم خرجت القطعة من أيدي ولد عثمان الى آل الصفاق بن حجر بن بجير الصفوي من الأزد وكانت تسمى (القطيعة) ثم أصبحت تعرف (بالقطعة) وهي المعروفة الى هذا اليوم بـ(القطعة) حيال المطوعة.

٢ - أن الأبلة التي ذهبت شهرتها في التاريخ واختلف في تحديد موقعها إنما تقع في جنوب البصرة بين خور الزبير في المنطقة التى تعرف اليوم (وأم خيال) والتي تبعد عن الزبير (٢٤ كم) تقريباً وتمتد شرقاً لتصل الى (بليان) متصلة بشط العرب.

وأن نهر المعقل بعد أن التقى بنهر الأبلة غربي البصرة (البصرة القديمة) كونا نهراً واحداً اتجه نحو الجنوب مسافة (٢٤ كم) حتى ينتهي الى شبكة خور الزبير فيطوق الأبلة أو شق عثمان ليصب ثانية في شط العرب وإنما أكتسب هذا النهر المنحدر اسم نهر الأبلة لأنه يسقيها وتقع هي على مصبه.

---

(١) البلاذري ص٣٥٥ وفي الأشتقاق لابن دريد ص٣٠٢ : أن شق عثمان إنما سمي بذلك نسبة الى عثمان بن أبي العاص بن بشير بن وهمان ولاه عمر بن الخطاب عمان والبحرين وأقطعه الموضع المعروف.

٣ - أما العشار فالتسمية لفظ مأخوذ من تعشير الأموال وهذه يصح أن تكون عند رأس أي نهر رئيسي يفضي الى البلد أو عند كل ساحل بحري استراتيجي يفضي اليه، ومعلوم أن البصرة حينما اختطت كانت قطعة من الصحراء محدودة ببحر وسباخ ومن وراء السباخ آجام من القصب والمستنقعات من الشمال والشرق وحتى دجلة العوراء من قبل أن يتغلغل المسلمون داخل الريف والسواد. . وكان حين مصرت البصرة كانت تسمى باب الهند وأن البضائع التي كانت ترد أما أن تكون عن طريق البحر أي من جهة الأبلة أو عبادان أو عن طريق نهر المعقل شمال البصرة المجاور للهور والمذار (بطائح ميسان) وكل هذه الواردات تنصب في البصرة ويجري الترسيم والتعشير حذاء دار الإمارة غربي المسجد أو في ملتقى نهر المعقل بالأبلة وهذا النهر المتحد بهذه المثابة اطلق عليه العشار لتعشير الأموال فيه وترسيمها ثم انتقلت التسمية الى النهر فسمي نهر العشر أو العشار وذلك قبل أن تكون البصرة الحديثة وقبل أن تكون مدينة العشار الحالية ثم انتقلت وظيفة النهر الى صدره بعد سكن البصرة الحديثة.

٤ - وفي استعراض للبلدانيين والجغرافيين العرب لم يرد معرفة موقع العشار كونه في صدر نهر الأبلة أو في صدر نهر العشار كما نعرفه اليوم.

على أننا لم نعثر على ذكر للعشار الحالية الا في حدود الألف هجري أي في القرن العاشر وما بعده، فقد ورد ذلك في مخطوطة (تمائم الدرر)[1] كما ورد في (مشاهدات نيبور) ذكر لمحلة المقام دون أن يشير الى نهر العشار ولا لمحلة العشار مع أن عصره كان في أواخر القرن الثاني عشر ولعل هذا يدل على عدم شهرة الاسم وكان قد ذكر محلات عديدة، كما لم يرد للنهر ذكر في (زاد المسافر) لفتح الله بن علوان الكعبي وهو من رجال القرن الحادي عشر لنفس السبب.

٥ - وفي منطقة الفاو ورد ذكر نهرين باسم نهر العشار أحدهما في الفاو الشمالي يعود الى ابراهيم العبد الجبار فيقولون ويلغزون:

---

(١) تمائم الدرر في مناقب السادة الغرر (المكتبة العباسية لآل باش عيان البصرة) والذي اشار بفكرة تأليفه شيخ عبد السلام الكوازي المتوفي عام ١٠٣٥هـ.

«البصرة أولها نهر العشار وآخرها نهر العشار»[1] وفي الفاو الجنوبي نهر بهذا الاسم يعود الى زاير سوادي أبو عقاب[2].

٦ - وكان للبصرة إبان وجودها وازدهارها في القرون الهجرية الأولى مرفآن الأول الأبلة جنوباً وهو الذي يتلقى بضائع البحر والثاني دار الرزق (في الزاوية) شمال البصرة وهذا يتلقى تجارة العراق من حبوب واطعمه.

ولو مد خط مستقيم بدىء به من الأبلة جنوباً متجهين به الى الشمال حتى تبلغ به الزاوية لكان ما عن يمين الخط (أي جانب شط العرب) قليل الخطر في حياة الدولة الإسلامية أبان تأسيس البصرة ويكون على العكس من الجانب الآخر المفضي الى الصحراء غرباً حيث تضطرب فيه الحركة والتعامل مع الدهناء واليمامة وبرية البصرة.

ولقد كان العربي قليل التجربة في ضرب البحار كما كان يأنف سكنى ما يكتنف الأهوار والمستنقعات ولا يعزب عن البال وصية الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حين يوصي عماله على العراق بأن لا تجعلوا بيني وبينكم بحراً فلا خير فيما كان بيني وبينكم بحر وعليه فلو أن الآبلة كانت على شط العرب وحسب، وفي مناطق الأجام والبطائح - من صدر نهر العشار ما أصابت ذلك الإنتعاش بوقت قصير وسبق زمني.

٧ - والأبلة لها جانبان نهري وصحراوي من جانبي الشرق والغرب على أن هذا لا يعني استحالة استحداث القطائع واستصلاح الأراضي إنما يجيء هذا بعد أن اتسعت رقعة الملك وتنامي السكان وهدأت حركة الفتوحات ثم كان العمران يتركز حول ضفاف شاطىء كل من نهري المعقل والأبلة.

---

(١) التحفة النبهانية ٩: ٣٨.

(٢) المصدر السابق نفس الصفحـــة.

أما (المقام) الذي تحدث عنه المؤرخون والمشهد الذي فيه فلا يعني حتمية في الأبلة أو ما حولها عن كثب. والحديث الذي يرويه صالح بن درهم. . كما جاء في (التاج)[1] من سنن أبي داود رحمه الله. قال: «انطلقنا حاجين فقابلنا رجل فقال الى جنبكم قرية يقال لها الأبلة» قلنا نعم قال: من يضمن لي منكم أن يصلي لي في مسجد العشار ركعتين أو أربعاً ويقول هذه لأبي هريرة.

ومن ملحقات هذا الحديث أن الشارح قال الأبلة بلدة بقرب البصرة من جانبها البحري ومسجد العشار مشهور يتبرك بالصلاة فيه. وقال أبو داود (صاحب السنن): وهذا المسجد بقرب نهر الفرات وفي هذا الحديث أكثر من دليل على موقع الأبلة وكون مسجد العشار فيها أو في حماها.

أولاً: أن الحاج انطلقوا من البصرة والطريق الذي يسلك هو باتجاه الكويت اليوم[2] وهو أقرب السبل الى مكة المكرمة وتلقاهم بعد فترة زمنية مناسبة رجل ليقول لهم الى جنبكم القرية أي الى يساركم وليس في هذه الواجهة غير منطقة سفوان التى تضم عدة مواقع أثرية ومنها أم خيال والنجمي ونهر أبو صخر والأولى أقرب الى منطقة خور الزبير مع ارتفاع عن مستوى الأرض والأبلة ضمن هذه الرقعة.

ثانياً: راوي هذا الحديث يربط بين وجود (مسجد العشار) وموضع الأبلة فهما متلازمان. . والصلاة فيه مشهورة نظراً لما ضمت ثراها من شهداء وصحابة وعلماء أجلاء وأرض الزبير وما جاورها مشمولة بهذه الكرامة والأبلة نفسها لا تخرج عن هذه الدائرة. والأرض تطيب بساكنيها كما يقال.

ثالثاً: إن أبا داود قال: وهذا المسجد بقرب نهر الفرات وبالطبع فليس يقصد بالفرات النهر الذي نعرفه اليوم وكذلك لا يقصد به شط العرب فهذا معروف أنه دجلة العوراء. ولم يبق الا أن يكون نهر الفيض الذي يأخذ من شمال البصرة وهور الحمار متصلاً

---

(١) علي منصور من علماء الأزهر التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ﷺ ج٥/٣٢٧.
(٢) طريق الحجاج من البصرة فالزبير وبإتجاه الغرب الى جريشان غربي سنام ثم الى خبر الحاج ثم الى حفر الباطن.

بالفرات أو المقصود به كرى سعده الذي يأخذ من الكوفة من الفرات ويجري الى الجنوب ماراً بسفوان وينفذ الى البحر قرب موقع كاظمه وكان لسعته يطلق عليه بالفرات .

وورد في كتاب الإشارات الى معرفة الزيارات[1] يقول من حديث طويل نجتزىء منه ما نحن بصدده بـ«اجتمعت بالبصرة برجل شريف اسمه عمران بن سالم ذكر أنه من نسل محمد بن الحنفية ومقامه بالطائف ومعه قدم رسول الله ﷺ وهو يزوره الناس فلم أزل اتبعه الى (الأبلة) وبلجان والزيني والمحرزي وأسأله وأتضرع اليه ليبيعني إياه فلم يفعل الى أن دخلنا جزيرة عبادان . . . »

إن هذا التسلسل الموقعي الجغرافي يتمشى وكأنه يحدثنا بما ترسمه خرائطنا اليوم[2] : الأبلة ويعقبها بلجان فالزين وهذه كلها بجانب الأبلة ثم يعبر دجلة العوراء (شط العرب) الى المحرزي فعبادان .

إن طريق الهروي وصاحبه كان بنفس الطريق التي سلكها ابن بطوطه ولو أنه سلك نهر الأبلة باتجاه صدره نحو مدينة العشار لكان حرياً أن يذكر عدة موانىء يمر بها في شط العرب قبل أن يصل الى عبادان كالسراجي ومدينة الخصيب وهما قائمتان بذلك العصر .

أما ضريح سهل بن عبد الله التستري فهو أحرى باحترام من يحترمه دون أن يكون لمقامه مثله . . وعليه فإن الذين ابحروا بساحل البصرة في طريقهم الى الأبلة يمرون بضريح سهل فيشربون مما يحاذيه من ماء النهر وقد كشفت مخطوطة «تمائم الدرر» أنه مدفون في مقبرة الحسن البصري وعلى خطوات من ضريحه باتجاه الشمال تحت السور ولم نجد من حققّ عن مكانه غير هذا المصدر وعليه فمن ركب الى الأبلة لزمه أن يمر على الزبير ويكون ضريح سهل فيها .

---

(١) لأبي الحسن علي بن أبي بكر الهروي المتوفي سنة (٦١١هـ) .
(٢) وراجعنا الخريطة التي رسمها الدكتور الفاضل محمد طارق الكاتب فإذا هي توضح هذا كله .

الأبلة هي بليان أو كما وردت «بلجان» على طريقة قلب الياء الى جيم وبالعكس وما بليان هذه الا منحدرة من الأبلة على طريقة النحت اللغوي والمعروف أنه في اللهجات العربية وخاصة البصرية منها أن يضيفوا الألف والنون على بعض الأسماء[1] والحرفان لحقا (الأبلة) فكانت (ابلّهان) ثم حذفت الهمزة للنقل مع التضعيف بمرور النقل والرواية فصارت (بلّهان) ثم قلبت الهاء الى ياء لسهولة المخرج فكانت (بليان).

وقد قمنا بزيارة الى قرية (بليان) المجاورة الى كل من الزين والمطوعة من قرى السيبه على شط العرب فوقفنا على بعض المعلومات من شيوخ القرية وقالوا: إننا نعثر على صخور في أعماق أساسات بيوتنا وقد نعثر على جدران قائمة وقنوات وقد نعثر على إعجاز نخل.

وحدثنا آخرون أنه كان هناك نهر له خور (أجانة) يفضي الى شط العرب. ونهر بليان يأخذ من هذه الخورة.. حالياً - ذاهباً الى الغرب حوالي (٢٠ كم) ثم ينعرج جنوباً ليطوق قرية كوت الزين والمطوعة ليصب ثانية بين المطوعة والقطعة.

وما تزال في برية بليان مرتفعات تشبه التلال تخفي تحتها آثاراً كما أن هناك فرعاً يأخذ من نهر بليان يتجه شمالاً بمسافة كيلومترين ثم يقف[2].

والأبلة تقابل (سفوان) من جهة الغرب وعلى هذا فإن المثلث الذي تتكون رؤوسه من بليان (الأبلة) شرقاً وسفوان غرباً والبصرة شمالاً والذي يكون القسم الأعظم من شق عثمان كانت أرضه خصبة تتخللها الأنهار وقد أشار الى ذلك الدكتور محمد طارق الكاتب يوم أن وصف هذه المنطقة من الجو.

ولدى أهل المنطقة من سكان أهل الجنوب وأهل الزبير علم بأرضهم ومنطقتهم بحكم العيش على أديمها والأضطراب فيها.

---

(١) يقال: يوسفان. ومهيجران باضافة الألف والنون على يوسف ومهجر وعويس.

(٢) ويحد بلجان قبلة السبخ وشمالاً (العامية) وشرقاً شط العرب وجنوباً مقاطعة الزين.

سبق أنه ذكر ناصر خسرو (في سفرنامة) أن الأبلة[1] الأصلية تقع على الجانب الشمالي للنهر[2] وهذا القسم هو الذي يشرب من نهر الأبلة المنتهي في مصبه عند شط العرب جوار قرية بليان وعلى جانب النهر الجنوبي المسمى بشق عثمان يكون القسم البري من الأبلة المشرف في الوقت نفسه على الخور (خور الزبير) كساحل بحري لها.

ويربط الجانبين النهر نفسه في رحلته بين البصرة والى أن يصل الى الخور عند ساحله الجنوبي، والعمران متصل بين الجانبين يكثف كلما تقدمنا الى الجانب البري ويتضاءل في الجانب الثاني أما الفياض والمياه والبساتين فعلى العكس من ذلك.. كان هذا في عصر خسرو والذي سبقه ثم تنعكس الآية كلما تقدم الزمن إذ بدأت المياه تتقلص من أنهارها فتقفر البلاد كلما بعدت عن منابع الأنهار ومصابها ولعل عصر ابن بطوطه آخر عصور ازدهار الأبلة في القرن الثامن الهجري.. ثم آلت السدود الى الأنهدام وطغى البحر وقلت العناية بالأنهار فعميت وخربت الأراضي وأصابها البوار.

أما المسافات فجلّها صحيحة كما حكاها البلدانيون باختلاف بسيط ربما كان مصدره التلقي من أفواه الرواة ـ فالمسافة بين الأبلتين الشمالية والجنوبية (٢٠ كم) كما أنها المسافة نفسها تكون بين البصرة والأبلة في ساحلها البحري (الأبلة الجنوبية) وهي التى أشار اليها ابن بطوطه حيث يقول:

«ثم ركبت من ساحل البصرة في صنبوق وهو القارب الصغير الى الأبلة وبينها وبين البصرة عشرة أميال (٢٠ كم) في بساتين متصلة ونخيل مظلة من اليمين واليسار والبياعة في ظلال الأشجار يبيعون الخبز والسمك والتمر واللبن والفواكه.

ونحن إذا أخذنا المسافة بين نهر المعقل عند مدينة البصرة وبين الأبلة في قسميها الجنوبي البحري عند (أم خيال) وجدناها (٢٤ كم) كما أن المسافة بين بيان (المحمرة) والأبلة (القسم الجنوبي البحري) ثلاثون كيلومتراً ذكرها سرابيون وقمنا بزيارة وكشف على هذا الموضع فوجدنا هناك بعض صيادي الأسماك اعتادوا أن يقوموا بالصيد في هذا

---

(١) البلـــدة.

(٢) يريد نهر الأبلــة.

المكان لوجود أنهر كثيرة تمتلىء بالماء والسمك فإذا جزر البحر (خور الزبير) خلت الأنهر وهي طويلة شبيهة بأنهر البصرة تنتهي الى ما يشبه الأرخبيل من الجزر الصغيرة والكبيرة تصل بنهاياتها الجنوبية الى أعماق الخور وذكر لنا من هذه الأنهر «نهر أبو صخر» وسمي بهذا لوجود صخور تمتد في آثار ابنية صخرية تظهر للعيان كلما انسحب الماء كما يطلق عليه اسم (نهر أبو صفا).

إن الأبلة كانت تقابل عبادان وجهاً الى وجه بدليل أن صاحب الزنج يوم أن أحرق الأبلة في رجب سنة ٢٥٦هـ استسلم له أهل عبادان خوفاً أن يصيبهم ما أصاب أهل الأبلة ثم أنهم أرسلوا الى صاحب الزنج أن يؤمنهم ويحتل البلدة ولا يفعل بهم كما فعل بأهل الأبلة فتقدم وأحتلهم.

وهذا ابن حوقل يقول:
«ويأخذ من حذاء البصرة من دجلة نهر الأبلة الذي ينتهي الى عمود دجلة عند مدينة الأبلة المشكلة جانبية»[١]

هذا النهر الذي سماه ابن حوقل[٢] باسمه المعروف (الأبلة) أخذ من شط العرب ثم انتهى بعد دورة دارها في البصرة الى مدينة الأبلة وصب في شط العرب أخرى فذكر أن اتجاه الأبلة على دجلة مدينة بيان (المحمرة) أي أن المحمرة ليس بينها وبين الأبلة غير دجلة (شط العرب) وهما متقابلتان.. وهو دليل على أن مدينة الأبلة لا تقع عند مأخذ نهرها (منبعه) من شط العرب (صدر نهر العشار) بل أنها تقع عند نهاية المطاف نهر الأبلة الذي يصب تجاه مدينة المحمرة أي في الموضع الذي عيناه للأبلة.. (عند بليان)...

---

(١) هذه العبارة استقيناها من كتاب «شط العرب وشط البصرة والتاريخ» للدكتور محمد طارق الكاتب ص١٠٨ - ١٠٩.

(٢) احد الرحالة العرب ومؤرخيهم دخل البصرة عام ٧٣٥هـ.

وصف الأبله

لقد أطنب الشعراء والأدباء في وصف الأبله نظراً لما حباها الله من آيات الجمال والنعمة والثراء. وممن قال فيها شعراً إبن أبي عينية قال:

ويا حبذا نهر الأبلة منظراً ... فيه لعيني من همومي معقل

وقال آخر:

ويا حسن تلك الجاريات إذا غدت ... مع الماء تجري مصعدات وتنحدر

ونقل صاحب التحفة النبهانية المرحوم الشيخ محمد النبهاني جملة من أقوال الشعراء والأدباء فذكر أن القاضي علي بن محمد بن داود أبا القاسم التنوخي المتوفي سنة ٣٨٤هـ قد ألم بأنهار العراق فوصفها بأبيات قال:

أحبب إلي نهر معقل الذي ... فيه لقلبي من همومي معقل
عذب إذا ما عب منه ناهل ... فكأنه من رحق حب ينهل
متسلسل وكأنه لصفائه ... دمع لخدي كاعب يتسلسل
وإذا الرياح جرين فوق متونه ... فكأنه درع جلاه صيقل
وكأن دجلة إذا تغطغط موجها ... ملك يعظم ضيفة ويبجل
وكأنه ياقوتة أو أعين ... زرق يلائم بينها ويواصل
عذب فما تدري أماء ماؤها ... عند المذاقة أم رحيق سلسل
ولها بمد بعد جزر ذاهب ... جيشان يدبر ذا وهذا يقبل
وإذا نظرت إلى الأبلة خلتها ... من جنة الفردوس حين تجمل
كم منزل في نهرها آل السرو ... رفي غيرها لا ينزل
وكأنما تلك القصور عرائس ... والروض حلي فهي فيه ترفل
غنت قيان الورْق في أرجائها ... هزجاً يخفُّ له الثقيل الأول
وتعانقت تلك الغصون وأذكرت ... يومِ الوداع وغيرهم يترحل
ربع الربيع بها فحاكت كفه ... حللاً بها عُقدُ الهموم تحلل
فمدبج وموشح ومسمط ... ومطرز ومحبر ومهلهل
فتخال ذا عيناً وذا ثغراً وذا ... خداً يعضض مرة ويقبل

ومن أطرف ما قيل أن بكر بن النطاح الحنفي الشاعر مدح أبا دلف العجلي بقصيدة فأثابه عليها عشرة آلاف درهم فاشترى بها ضيعة بالابلة ثم جاء بعد مديدة وأنشده أبياتاً:

بك ابتعت في نهر الأبلة ضيعة   عليها قصير بالرخام مشيد
إلى جنبها أخت لها يعرضونها   وعندك مال للهبات عتيد

فقال أبو دلف كم ثمن هذه الضيعة الأخرى؟ فقال: عشرة آلاف درهم فأمر أن يدفع ذلك إليه فلما قبضها قال له اسمع مني يا بكر: ان إلى جانب كل ضيعة ضيعةً أخرى وإلى مالا نهاية له فاياك أن تجيئني غداً وتقول إلى جانب هذه الضيعة ضيعة أخرى فإن هذا شيء لا ينقضي.

وقال أبو منصور الثعالبي[1] في ثمار القلوب: وأما نهر الأبلة فهو بالبصرة وحواليه من ميادين النخيل والا ترجّ والنارنج وسائر الأشجار وفيها من أصناف الزرع وأنواع الخضر مالا منظر أحسن منه وعليه من القصور المتناظرة والأبنية الرائعة ما تحار فيه العيون وتهش له النفوس.

وقال ابن خلكان (المتوفي في سنة ٦٨٠هـ) وهو المعروف بتاريخه (الوفيات) «الأبلة بلدة قديمة على أربعة فراسخ من البصرة وهي اليوم في عدادها. وهي من جنان الدنيا وإحدى المتنزهات الأربع.

ووصف خالد بن صفوان الأبلة وقد وفد على عبد الملك بن مروان فوافق عنده وفود جميع الأمصار قال:
«ما رأيت أرضاً مثل الأبلة مسافة ولا أغذى نطفة ولا أوطأ مطية ولا أربح لتاجر ولا أخفى لعابد».

وقال الأصمعي: «جنان الدنيا ثلاث غوطة دمشق ونهر بلخ ونهر الأبلة» وحشوش[2] الدنيا خمس الأبلة وسيراف وعمان وأردبيل وهيت.

---

(١) من أدباء العصر العباسي المتوفي سنة ٤٢٨هـ.
(٢) الحشوش هي البساتين.

وقال الواحدي : جنان الدنيا أربع غوطة دمشق وأبلة البصرة وسغد سمر قند وشعب بوّان .

علماء نسبوا إلى الأبلة :

وقد ظهر في الأبلة علماء منهم شيبان بن فروخ الأبلي وحفص بن عمر بن إسماعيل الأبلي روى عن الثوري ومسعد بن كدام ، ومالك ابن أنس ، وابن أبي ذوئيب وابنه إسماعيل بن حفص أبو بكر الأبلي ، وأبو هاشم كثير بن سليم الأبلي وأبو غسان الطبيب الأبلي(١) وغيرهم .

خراب الأبلة :

ولقد أتى على الأبلة وعلى نهرها ما يأتي على الكثير من المدن القديمة من الخراب والدمار حتى لم يبق منها أثر ظاهر. وكان من مراحل هذا الخراب يوم أن استولى صاحب الزنج علي بن محمد سنة ٢٥٥ ـ ٢٥٧هـ على البصرة وعاث بها فساداً ثم دخل مدينة الأبلة فقتل فيها خلقاً كثيراً وأحرق المدينة وكانت مبنية بخشب الساج محفوفة البناء فأسرعت فيها النار وصادف ريحاً عاصفة حتى شمل الحريق شاطىء عثمان فاحترق وغرق في نهر الأبلة خلق كثير. ويوم أن جاء ابن بطوطة في أوائل القرن الثامن الهجري إلى البصرة وانحدر منها إلى الابلة وجد أن معظمها خراب وقصورها متداعية(٢) .

في الزبير آثار من الأبلة :

وإلى ما قبل سنوات كان هناك واد عريض يعرف بوادي السباع تجمع الدلائل على أنه أثر لنهر مندرس يدخل بلدة الزبير من شمالها قادماً من الخَرية المعروفة في تاريخنا هذا باسم «الخريبة» وهو إذ يكون بموضع «السلمانية» وهي أحدَ المواضع التاريخية شمال شرقي البلدة يرى أنه ملتقى لنهرين مندرسين فأما أحدهما فآخذ من الشمال الشرقي البعيد يتقدم متعرجاً بين أركام البصرة القديمة ذاهباً كالثعبان باحثاً عن مستقر وأما الآخر فآخذ من شرق البصرة (القديمة) لعلها (المعقل والأبلة) وفي موضع التقائهما يكونان نهراً واحداً يمد قدر كيلو مترٍ واحدٍ تقريباً باتجاه «البسّامية» فيخترق أرضاً كانت

(١) معجم البلدان لياقوت ، والفيروز ابادي ـ القاموس المحيط مادة أبلة .

(٢) البصرة في أدوارها التاريخية للمرحوم الشيخ عبد القادر باشا اعيان .

للشيخ محمد العبد الجبار ويدخل البلدة من موضع بارزان[1] بين بيت الخرجي وبيت التركي وفي هذا المكان يلتقي بشعيب ديم خزام[2] الذي نفذ إلى البلدة منحدراً من شعيب سديرة مكوناً في الباطن[3] مجرى هادراً - حين يسيل يمر في دور بارزة تكتنف ضفتي هذا الوادي ومنها دار لناصر العلي الصانع وأخرى لحمد الفواز ودار للسيد محمد الرابح ودار للحاج عبد المحسن المهيدب ثم دور آل العقيل تقابلها دار شيخ إبراهيم شيخ الزبير الأسبق ثم يدخل منخفض الحصى مجتازاً من بيت الحاج سعد الربيعية فبيت الزيد وبعد أن يمتلىء الحصى يجوزه إلى البراحة جاعلاً بيت عبد الله الحسن عن يساره ومسجد الحصى عن يمينه ويسلك مجراه حتى يخرج من شرقي البلدة من فتحة العراص جاعلاً بيت الحاج عبد الرزاق الصانع على الشمال ومدرسة طلحة الابتدائية على اليمين ثم يسلك جدداً إلى الجامع التاريخي فيتركه إلى يساره كما يترك ضريح طلحة كذلك وهو متجه كالثعبان إلى الجنوب ليصب بالخور. أما قبل أن يندرس هذا النهر أي في عصر ناصر خسرو فكان يصب في شط العرب عند مدينة الأبلة . . ثم لما مضى به الدهر أي في عصر ابن بطوطة وانطم فمه عند شط العرب صار يجري بإتجاه خور الزبير ليصب فيه .

ختـــام البحـــث:

مما تقدم وعلى أساس التحريات والمقارنات بين مختلف أقوال المؤرخين من القدماء والمحـدثـين تبـين أن هناك أبلّتين القديمة هي التي كانت تعيش في عهد النبط قبل الاسلام ثم استولى عليها الفرس وموقعها على شط العرب على غورة منه داخله إلى الأرض وخربت عند استيلاء العرب على هذه البقعة .

والثانية هي التي وصفها ياقوت بأنها بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى (شط العرب) في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة وهي أقدم من البصرة وكان فيها مسالح من قبل كسرى وحين استولى العرب على موقع البصرة فر أهل الأبلة وكانوا أصحاب سفن يعملون في البحر ونزل المسلمون بلدتهم وصارت بلدة إسلامية جميلة غانية .

---

(١) وحيال هذا الموضع قامت هذه السنوات دار عبد العزيز المبيض .

(٢) ديم خزام إحدى محلات الزبير القبلية .

(٣) الباطن تسمية مستعارة من وادي الباطن المشهور الذي يمر على الكويت ومنطقة المحايدة (العراقية ـ السعودية) .

القصـــور

غنيت البصرة بقصورها منذ العهود الاسلامية الأولى وكانت البصرة كما قيل فيها (عين الدنيا العراق وعين العراق البصرة وعين البصرة المربد) وحينما بلغ القول جعفر بن سليمان قال وقصري عين المربد. وكان لانتشار الأنهار التي تشققت من دجلة (شط العرب) ومن الفرات ما جعل أرض البصرة تفيض خيراً وتزدهر بجنانها.

ولوجود البصرة على شواطىء مختلفة من شمال وجنوب فشط الفرات والبطائح من حول الأنهار في الشمال والأخوار في الجنوب ما أغرى الأمراء والموسرين أن يشيدوا قصورهم هنا وهناك لينعموا بمناظر البحر والبر وفي القائمة التي سنورد بعض هذه القصور، خلالها سيتضح كما هي البصرة في عين عشاقها:

١ ـ قصر البصرة :

جاء في مسالك الأبصار في ممالك الأمصار[١] إنه كان هناك قبل أن تخط البصرة منزل، تنزله الأكاسرة في متصيداتهم وتخرج اليه الأساورة في منتزهاتهم.

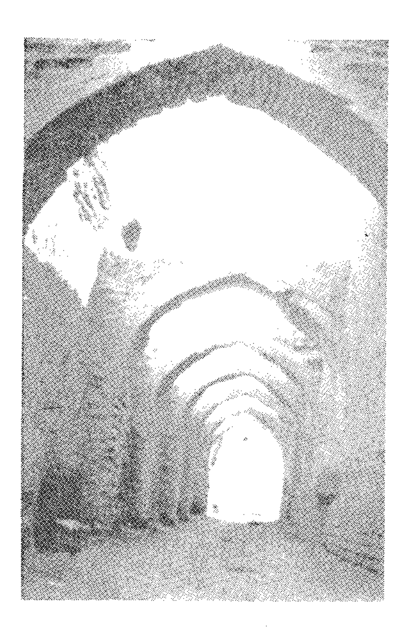
وتهدم حتى جدده الحجاج فعرف فيه وأصبح يسمى «قصر الحجاج» وكان يعرف بقصر قباذ. وهو بالجزيرة. وأطلق إسم الجزيرة على ما ضمت من أرض بين دجلة (شط العرب) ونهر معقل من شرق وشمال. وبين نهر الابلة من الجنوب وملتقى المعقل والابلة من الغرب.

ولقد قامت تحريات من جامعة البصرة عام ١٩٧١ في منطقة الشيعبة وقرب قبر الصحابي أنس فعثرت على معالم قصر ظناً أنه قصر الحجاج.

(١) ابن فضل الله العمري.



قيصرية الفداغ في الزبير المفضية إلى جامع سيدنا زبير (مجموعة د. بدر البسام)



احد المجببات في الزبير

٢ ـ قصر جعفر بن سليمان في المربد[١] :

وهو قصر من القصور المشهورة في المربد وقد استقبل فيه هارون الرشيد إستقبالاً فخماً وأولم جعفر لابن عمه الخليفة مأدبة دعا إليها أكابر أهل البصرة وكان مما ضمت المائدة أنواعاً من الحليب والألبان كان منها لبن الغزلان ولم يكتم الرشيد دهشته مما رأى حتى قال: ان في قصرك يا ابن العم ما ليس في قصورنا في بغداد. وكان جعفر يومها واليه على البصرة.

ثم أحب جعفر أن يري الخليفة آثار نعمته عليه فخرج إلى شرفة القصر وأوعز إلي رجاله فخرجت أنواع شتى من الحيوانات الأليفة زرافات ووحدانا كل نوع يقفز في مرعاه وكان منها الغزلان بعدد كبير.

وكان هذا القصر في أعالي المربد على باب اليمامة للداخل إلى البصرة يطل على البحر ويشرف على منفسح السهل.

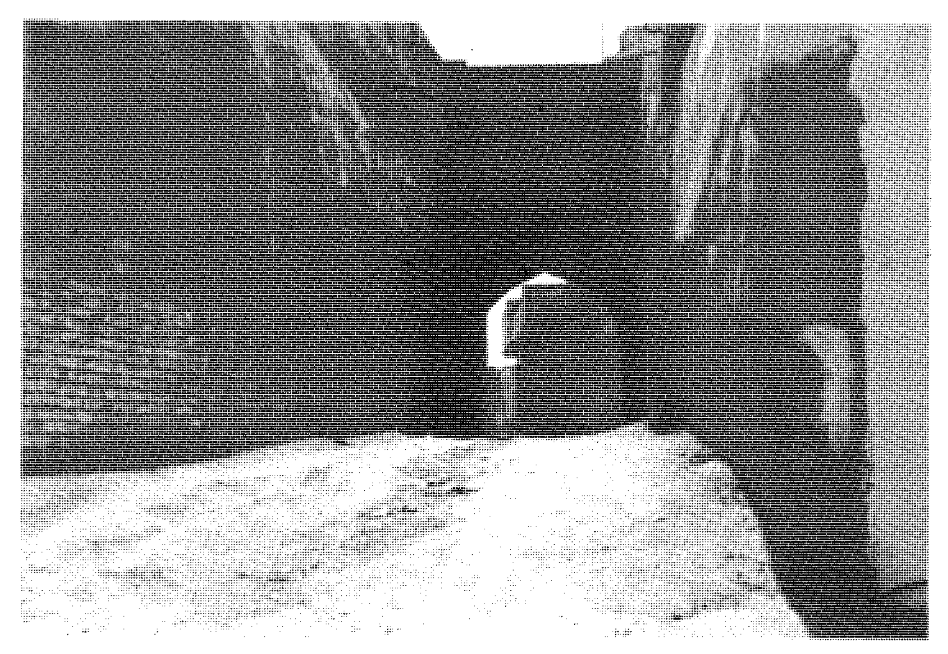
٣ ـ قصر عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس[٢] :

روى أن الخليفة أبو جعفر المنصور زار عيسى بن علي ومعه أربعة آلاف رجل فتغدى عنده وجميع خاصته ودفع إلى كل رجل من الجند زنبيل فيه خبز وربع جدي ودجاجه وفرخان ولحم بارد وحلاوة فانصرفوا كلهم مسمطين فلما أراد المنصور أن ينصرف قال لعيسى يا أبا العباس لي حاجة، قال : ما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: تهب لي هذا القصر. قال ما بي ضن عنك به ولكني أكره أن يقول الناس أن أمير المؤمنين زار عمه فأخرجه من قصره وشرده وشرد عياله. وبعد فإن فيه من حرم أمير المؤمنين ومواليه أربعة آلاف نفس فإن لم يكن بد من أخذه فليأمر لي أمير المؤمنين بفضاء يسعني ويسعهم إضرب فيه مضارب وخيماً إنقلهم إليها إلى أن أبني لهم ما يواريهم. فقال له المنصور: عمر الله بك منزلك يا عم وبارك لك فيه، ثم نهض وانصرف وإلى عيسى هذا ينسب نهر عيسى الذي في بغداد.

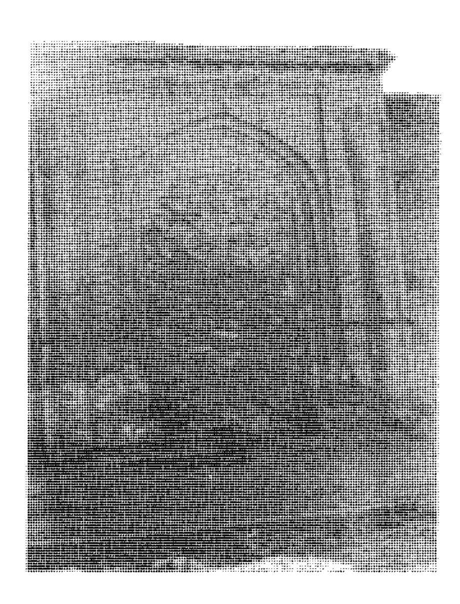
---

(١) تحقيق شط العرب وشط البصرة والتاريخ للدكتور محمد طارق الكاتب الجاحظ الحيوان ج ٧ وانظر مطالع البدور للغزولي ج ٢.

(٢) ياقوت ج ٤.



مجبب المنديل (الباطن)



مكان باب ثريا الفداغ بعد نزعه

قال الأصمعي: قال لي الفضل بن الربيع: يا أصمعي من أشعر أهل زمانك قلت: أبو نوّاس حيث يقول:

أمـا ترى الشمـس حلت الحمـلا   وطاب وزن الزمـان واعتـدلا

فقال والله إنه لشاعر فطن ذهين ولكن أشعر منه الذي يقول في قصر عيسى[1] ابن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بالخريبة:

يا وادي القصر نعم القصر والوادي   من منـزل حاضران شئـت أو بادي
ترى قراقـيرهـم[2] والعيس واقفة   والضب والنـون والمـلاح والحـادي

٤ ـ قصر إبن عفان:

قال أبو الحسن المدائني: كتب الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) إلى عبد الله إبن عامر عامله على البصرة: أن اتخذ داراً (دار الضيافة بمفهوم اليوم) ينزلها من قدم البصرة من أهل المدينة وينزلها من قدم من حوالينا. فاتخذ القصر الذي يقال له «قصر إبن عفان».

كما إبتنى قصراً آخر سماه قصر الرملة. وجعل بينهما فضاءً كان لدوابهم وأبلهم.. ولا نعلم أين موقعه من منطقة البصرة.

٥ ـ قصر سنداد:

قصر بالعذيب. وقال أبو الحسن الأديبي: سنداد نهر ويدل على صحة ذلك قول أبي دؤاد الأبادي:

اقـفـر الـدير فالأجارع من قـو   مي فـروُّق فـرامـح فخـفـيـه
فتـلاعُ الملا إلى جُـرْف سـندا   د فقـوٌّ إلـى نعـاف طُمَـيَّـه
موحـشـات من الأنيس بها الـوحش   خنـاطـيـلُ مـوطـنٍ أو بنـيـه

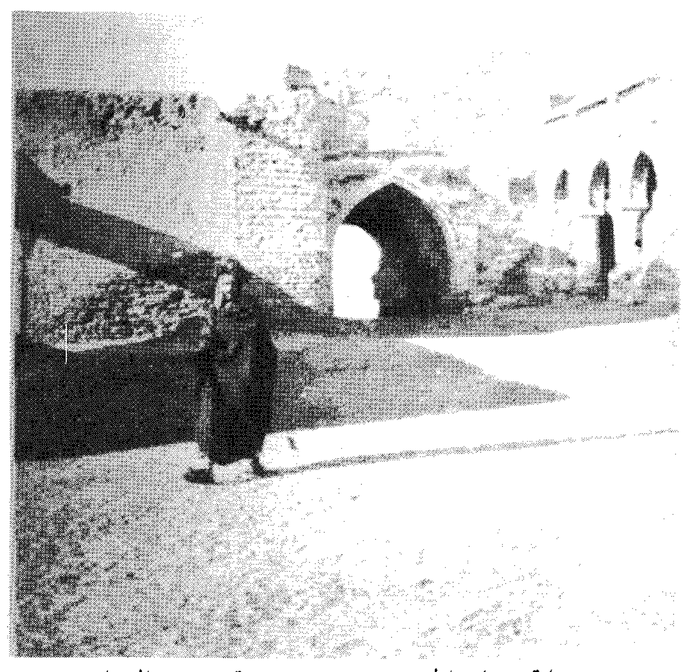
---

(١) قائل البيتين هو إبن أبي عينية المهلي.

(٢) القراقير جمع قرقور: هو نوع من آلات صيد الأسماك يعرفه أهل الكويت باسم كَركور.



بوابة منزل الابراهيم



بوابة دروازة الحزم (مجموعة د. بدر البسام)

وقال أبو عبيد السكوتي: سنداد منازل لاياد نزلنها لما قاربت الريف بعد لصاف وشرج وناظرة وهو أسفل سواد الكوفة (أي في أقصى سواد البصرة) وفيه قال الأسود بن يعفر:

«والقصر ذي الشرفات من سنداد»

وقال إبن الكلبي: وكانت أياد تنزل سنداد. ونهر سنداد فيما بين الحيرة إلى الأبلة وكان عليها قصر تحج العرب إليه. وهو القصر الذي ذكره الأسود إبن يعفر.

ومر عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) بقصر لآل جفنة فتمثل مزاحمُ مولاه بقول الأسود بن يعفر النهشلي:

ومن الحوادث لا ابالك أنني ... ضربت عليَّ الأرض بالأسداد
لا أهتدي فيها لمدفع تلعة[١] ... بين العراق وبين أرض مراد
ماذا اؤمل بعد آل محرق ... تركوا منازلهم وبعد أياد
أهل الخورنق والسدير وبارق[٢] ... والقصر ذي الشرفات من سنداد
حلوا بأنقرة يسيل عليهم ... ماء الفرات يجيء من أطواد
أرض تخيرها لطيب مقيلها ... كعب بن مامة وابن ام دؤاد

٦ ـ قصر أوس:

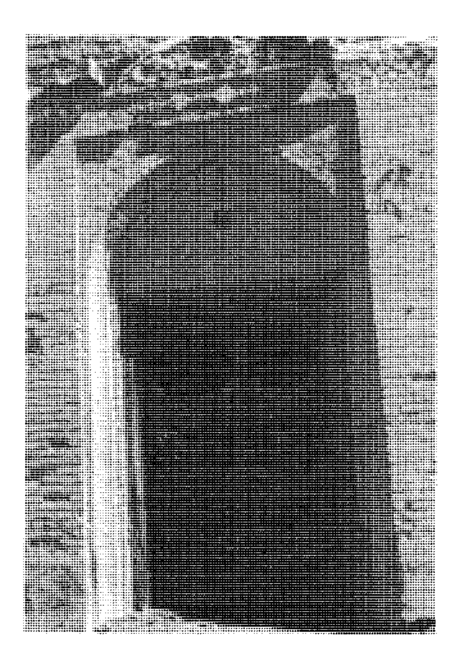
ينسب إلى أوس بن ثعلبة بن زفر بن وديعة بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عكابة. وكان سيد قومه وكان قد ولي خراسان في الأيام الأموية واياه عني ابن عيينه بقوله:

بغرس كأبكار الجواري وتربة ... كأن ثراها ماء ورد على مسك
فيا حسن ذاك القصر قصراً ونزهة ... ويا فيح سهل غير وعر ولا ضنك
كأن قصور القوم ينظرن حوله ... إلى ملك موف على قبة الملْك
يدل عليها مستطيراً بحسنه ... ويضحك منها وهي مطرقة تبكي

---

(١)

(٢) بارق: ماء بالعراق بين القادسية والبصرة وهو من أعمال الكوفة.



بوابة بيت الرماح (سليمان الرماح) المنديل سابقا

٧ ـ قصر أنس بالزاوية :

ويقع في شمال البصرة وأنس بن مالك هو الصحابي الجليل خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من الأنصار جاء البصرة مع أبي موسى الأشعري وظل مستوطنا فيها حتى مات. والراجح أن قصره في المكان الذي يطلق عليه حتى اليوم خربة أنس. وكان يبعد عن البصرة فرسخين وهو أشبه بالضيعة إذ كانت تحيطه المزارع والبساتين[١] وبقربه نهر عدي[٢]. وكانت بقعته نزهة. والقصر عند أطراف العمران أو ما يدعونه الطفوف. وصفها الشعراء فقال فيها الخليل بن أحمد:

زر وادي القصر نعم القصر والوادي   لابد من زورة في غير ميعاد
ترى بها السفن كالطلحان[٣] واقفة   والضب والنون والملاح والحادي[٤]

ولما كان قصر أنس يقع في الزاوية فإن الزاوية[٥] في شمال البصرة[٦] ويتردد ذكرها دائماً. ويقول البلاذري أنه كان بها عند مجيء المسلمين (دسكرة) ولعل المقصود أنه كان بها أثر أبنية قديمة.

وقد اتخذ الحجاج في الزاوية مقراً له عند محاربته لعبد الرحمن بن الأشعث الذي خرج على سلطة الدولة الأموية.

٨ ـ القصر الأبيض (قصر عبيد الله بن زياد) :

وهو قصر كانت أرضه لعبد الله بن عثمان الثقفي وصرف على بنائه كما يقال مليون درهم[٧] وزخرفه بأنواع النقوش والزخارف حتى كان يعتبر من روائع الفن. ويقع

---

(١) الحيوان للجاحظ ج ٦.
(٢) الطبري.
(٣) الطلح: هو شجر الموز العظيم.
(٤) الأغاني ج ١٨ والجاحظ ـ الحيوان ج ٦.
ولعل تسميتها بالزاوية أنها انزوت بعيداً عن مركز البصرة.
(٥) فتح الباري ج ٢.
(٦) الدكتور أحمد صالح العلي ـ خطط البصرة.
(٧) الطبري ١١.

القصر بين الزاوية والمسجد الجامع الكبير. إلى غيرها من قصور البصرة القديمة . .
وننتقل الآن إلى قصور القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريين.

٩ ـ قصر أحمد بن رزق (في ام قصر) :

ذكر أن التاجر العربي أحمد بن رزق شرع في بناء قصر له تم بناؤه سنة ١٢٣٢ هـ ـ ١٨١٦[١] وأنه رغب في أن يخلد هذا التأسيس في قصيدة وكان الشيخ حبيب الكروي والشيخ أحمد بن جامع والشيخ عثمان بن سند قد نظم كل منهم قصيدة يؤرخ فيها بناء القصر وقد أنعم عليهم صاحب القصر بهدايا ثمينة على أن هذه القصائد لم نقف لها على أثر فيما نملك من مصادر.

والمعروف أن أحمد بن رزق نزل البصرة سنة ١٢١٥ هـ[٢] تاجراً مهاجراً من البحرين وكان من قبل في الزبارة[٣] وهو من تجار اللؤلؤ ثم تحول إلى الكويت كما أنه رعى العلم والأدب فقرب العلماء وأجزل لهم. سكن الزبير وبنى قصره على ضفاف خور عبد الله ليستقبل سفنه القادمة من الهند وكان من شعر عثمان ابن سند في القصر بيتان قالهما على لسان بلدة الزبير والقصر:

لي الفضل في الدنيا على كل بلدة ... ولولاها ذات العماد وبغدان
وأوسع قصر فيَّ ليس بطوله ... خورنق نعمان ولا القصر غمدان

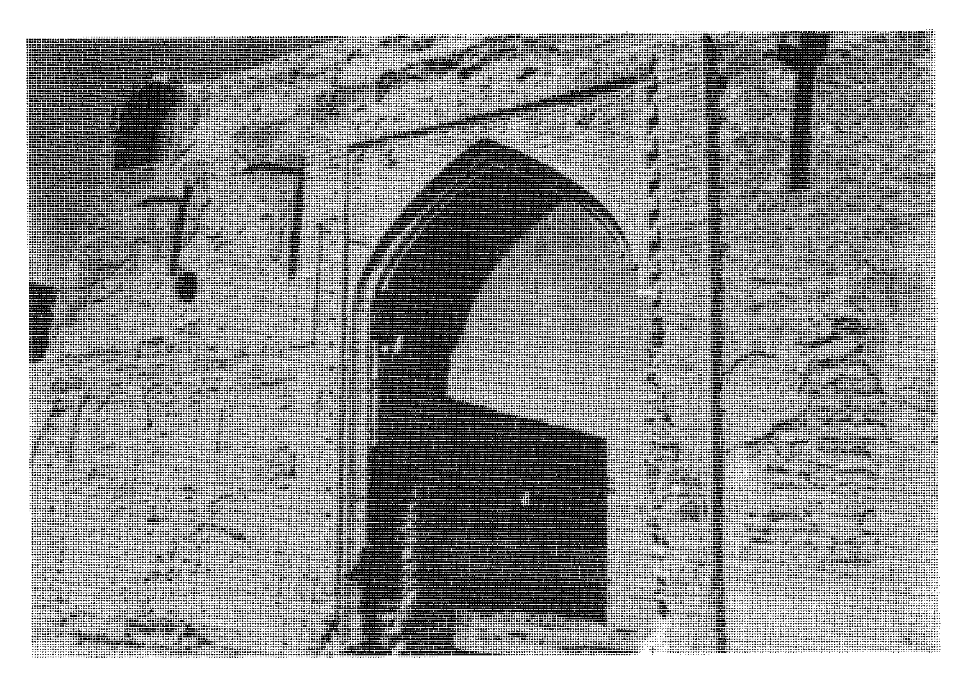
كما اختط في قصره مسجداً أشار إليه الشاعر بقوله:

يا له مسجداً منيراً مضيئاً ... لن تراه إلا وفيه مصلٍ
قد بناه تقرباً ثم نادى ... يا أهيل الصلاح هل من يصلي

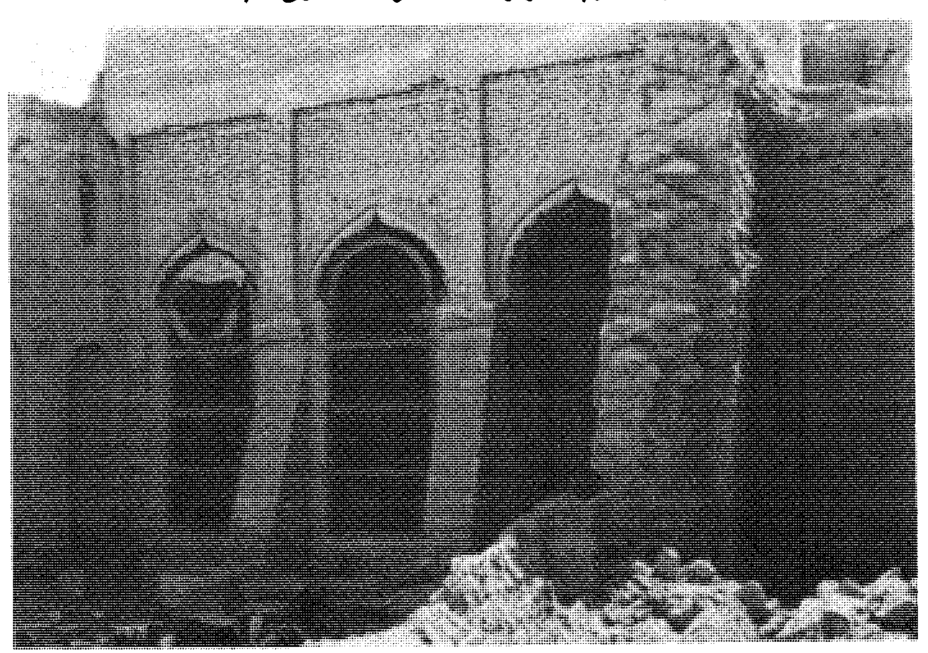
ولقد أناخ الدهر بكلكله على قصر ابن رزق ولم يبق له أثر اللهم إلا ركام وفي حديث في غير هذا المكان عن (ام قصر) سنلم بالمنطقة المامة تسد الفراغ.

---

(١) الأستاذ حامد البازي ـ التاجر (استقيناها من مذكرات نعمة الله عبود)
(٢) سبائك العسجد في اخبار أحمد نجل رزق الأسعد لابن سند.
(٣) النبهاني في التحفة.



منزل يعقوب الجرير منطقة الكومت المشترى سابقا



ديوانية الرماح المنديل سابقا

وهناك في مكان آخر من أرض الزبير تدعى (الشعيبة) كانت تنتشر فيها عدة قصور شهدت عزاً ونعمة وسكنها أهل صلاح وكرم كانوا يتخذونها منتجعاً يخرجون إليها أيام الربيع ثم أتى عليها الدهر كذلك بعد وفاة أصحابها ولقد أدركنا بعضها وهي ترثي ساكنيها في أواسط القرن الرابع عشر الهجري ثم زالت عن الوجود اليوم.

وفيما يلي طائفة منها:

١٠ ـ قصر الابراهيم:

وقد يطلق عليه أيضاً قصر البطاح. وعلمنا من الشيخ سليمان الابراهيم أن القصر كان شركة بين شيخ الزبير عبد الله إبراهيم الراشد وصديقه عبد الله البطاح. والشيخ سليمان حفيد الشيخ عبد الله إبراهيم.

١١ ـ قصر النصار:

وتعود ملكيته لأحمد بن عثمان النصار[١]. وكان القصر آخر ما بقي عامراً من تلك القصور وقد أدركناه وله شرفات عالية يرى من بعيد ويطل على واد ومن ورائه السبخة فاذا جرى بالسيل دفع إلى سبخة البصرة.

١٢ ـ قصر الجديمي:

ويعود لمحمد الجابر الجديمي (وآل الجديمي من بني خالد).

١٣ ـ قصر البرجس:

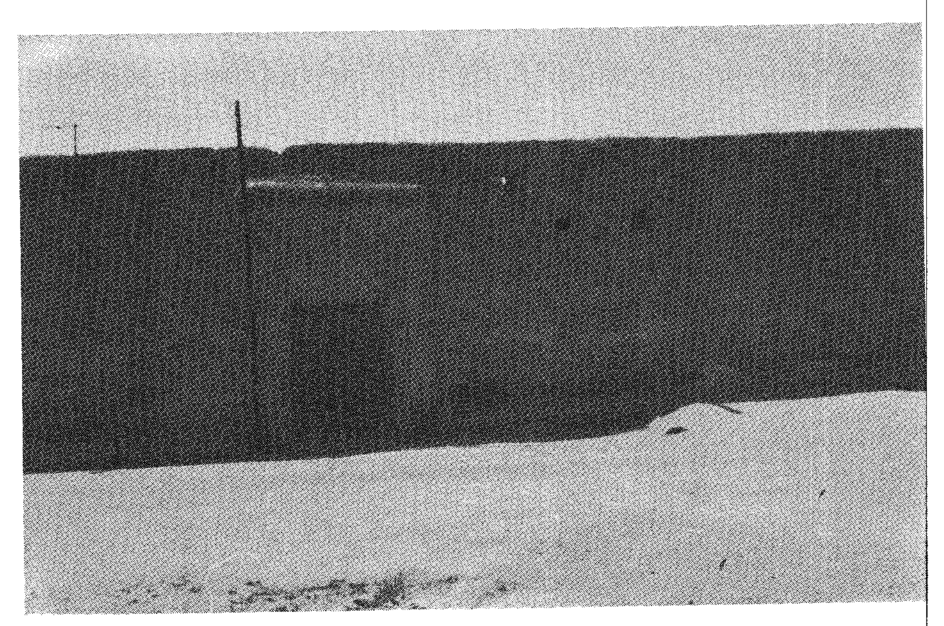
ويعود لسالم البرجس.

١٤ ـ قصر اليونس:

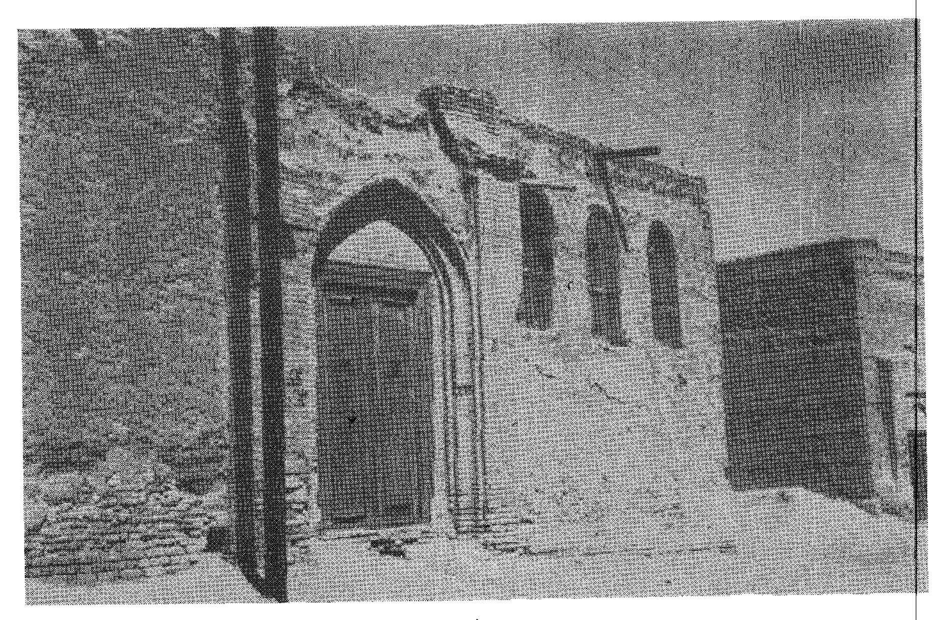
ويعود لابراهيم اليونس وآل يونس نزحوا إلى الزبير من سوق الشيوخ والشيخ محمد الغنيم الشاعر الزبيري والفقيه هو أخو ابراهيم اليونس لأمه وكان يخرج لأخيه في قصره بالشعيبة أكثر الأحيان، ثم آل لعبد اللطيف البابطين (زاروع).

---

(١) وأحمد بن عثمان النصار هو جد صديقنا عبد الله عثمان الضابط المتقاعد في الوقت الحاضر والذي اشغل مدير تجنيد المنطقة الجنوبية ومقرها البصرة.



منزل حمود الصباح



بيت الصباح

١٥ ـ قصر العون :

بناه الشيخ خالد العون شيخ الزبير في أوائل القرن الرابع عشر الهجري في أيام حكمه. وكان أقرب إلى الزبير مسافة من كافة قصور الشعيبة وهو يطل على شعيب من شعبان الشعيبة وأمامه مزرعة وبئر تسقيها.

وقد جاوره في الشعيبة سيد أحمد النقيب نظراً لما كانت تربطهما من صداقة واشترى السيد النقيب قصر الجديمي المشار إليه آنفاً.

١٦ ـ قصر المطلق :

وتعود ملكيته لسليمان المطلق وهو أبو عبد الله المطلق النسابة الزبيري المعروف.

١٧ ـ قصر الرشيدان :

ويعود لعبد الله بن إبراهيم الرشيدان والرشيدان إحدى العوائل المعروفة في الزبير.

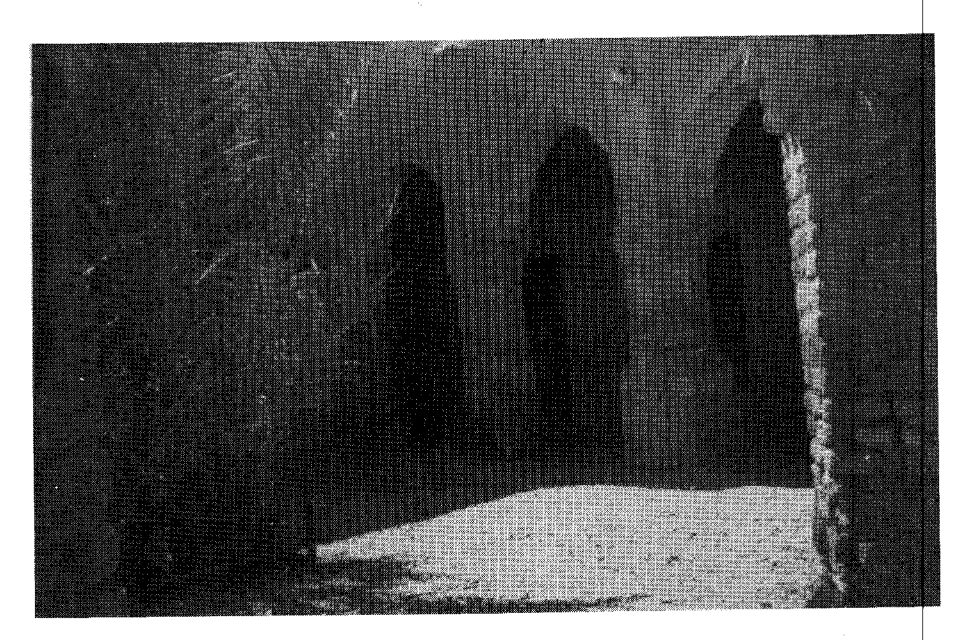
١٨ ـ قصر إبن خالد وهو بدوي صاحب غنم :

ولقد أصبح للشعيبة شهرة بهذه القصور حيث تتمتع المنطقة بهواء نقي غير وخم ولا سموم. فالشعيبة ترتفع (٢٠) قدماً بالنسبة إلى الزبير وهي قريبة من الهور (أطراف هور الحمار) ويتاح للمتربعين في القصور صيد الطيور الشاطئية من الهور. وتتمتع الشعيبة بعذوبة مياهها في آبارها نظراً لترشح الماء العذب إليها من أعالي الهور الذي يبعد عنها (٢٠ كم)[١].

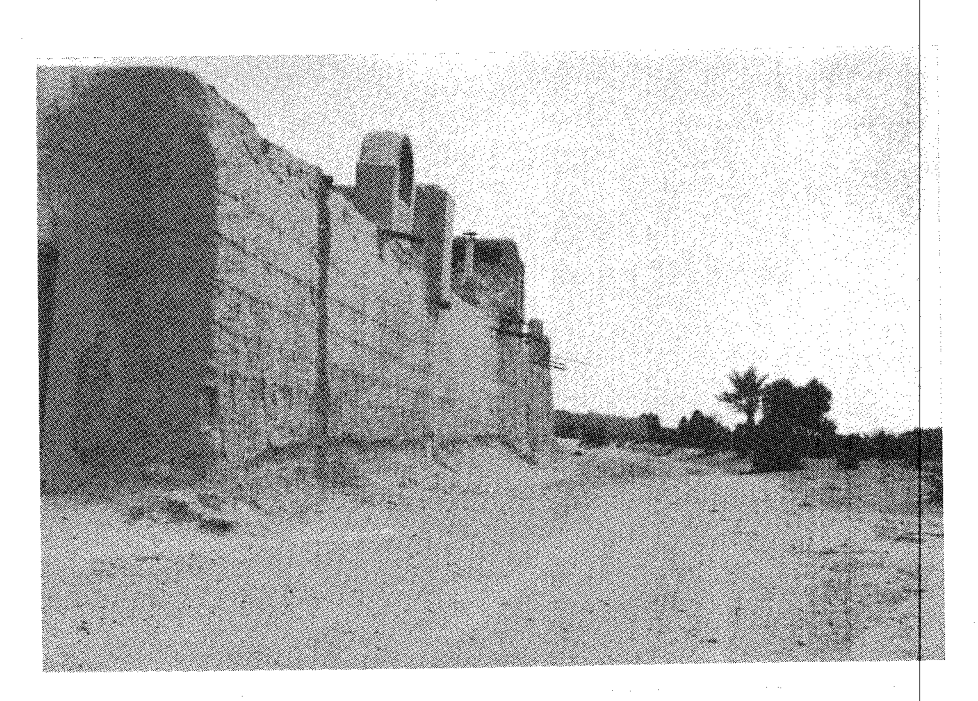
وقد أدركنا بعض هذه القصور فإذا هي متينة البناء واسعة الأرجاء كثرت غرفها وساحاتها ومجالسها، وإذا رآها الرائي من خارج حسبها كتلة من الطين تقوم كالقلعة

---

(١) ولقد رأينا في مزارع الزبير (في البرجسية والنجمي والكريطيات) أن المزارع يعمد لحفر حفرة قطرها متر مجاوره ملاصقة للبئر الاروائي الغامر وانت حين تذوق ماء هذه الحفرة فتجده عذباً سائغاً في حين ماء البئر مجاً لا يستساغ فما هذا؟
وعدنا إلى المهندسين المزارعين فقالوا: ان الماء العذب أخف من الماء الملح ولذا فهو يعلو ويجري إلى هذه الحفرة بطريق التسرب.



«من تراث الزبير المتبقى في بعض المساكن»



قصر البسام

المصمتة فإذا دخلها إنشرح صدره وتمثلت أمامه حياة قوم عاشوا في غفلة من الزمن رافهين.

١٩ ـ ولا يفوتنا أن نذكر في عداد هذه القصور (**قصر الصباح**) الذي بناه الوجيه التاجر الشيخ يوسف الابراهيم وصار يخرج إليه كل من الشيوخ من آل صباح الذين هبطوا أرض الزبير في عهد الشيخ خالد العون كالشيخ علي والشيخ صباح والشيخ خالد والشيخ عذبي. وقصر الصباح هو أقصى قصور الشعيبة إلى الشمال وفي ساحة قصر أنس التاريخي.

والمعروف أن الشعيبة تقع إلى الشمال من مدينة الزبير وتبعد عنها بحوالي ستة كيلومترات. والشعيبة وهي ضاحية الزبير ظهر وجودها في عهد الشيخ عبد الله الراشد أي قبل الانقلاب العثماني وظهور الدستور في سنة ١٩٠٨م وفي سنة ١٩١١م حصلت حوادث الغزو البدوي على أطراف الزبير من قبل عشيرة الضفير فكتب محمد العصيمي أحد أعيان الزبير إلى عجمي السعدون وكانت له معه صلات تجارية مكينة فعمل سعدون على قطع دابر المعتدين بالتعاون مع بني مالك أحلاف السعدون وفي هذه الأثناء كان يقيم محمد العصيمي في قصر خالد العون لقربه من مضارب شيخ السعدون ولما يربط الثلاثة (خالد باشا ومحمد العصيمي وعجمي ابن سعدون باشا من أواصر الود والمصلحة) واعيدت المأخوذات وقدم الاعتذار ثم أجلي المعتدون عن مواقعهم بتدخل الحكومة[١].

ثم وقعت واقعة الشعيبة في الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٥ وفيها سيطرت القوات التركية على قصور الشعيبة وتحكمت فيها ضد الانكليز ولم تكن القوتان متكافئتين فخسرت الجيوش التركية المعركة وانسحبت إلى علوي واستولت القوات البريطانية على الشعيبة واتخذت منها مواقع حصينة وأنشأت فيها مطاراً وسيأتي الحديث عن معركة الشعيبة بصورة مفصلة في مكان آخر من هذا الكتاب.

---

(١) لغة العرب العدد ٣ لسنة ١٩١١م.

قصور الزبير في الجهتين الغربية والجنوبية:

قصور الكريقطيات:

وفيها قصران الحاج محمد سليمان العقيل قديم وحديث أما الأول فقد بناه ليخرج إليه في فصل الربيع من كل عام ويقيم فيه المآدب تكريماً لضيوفه الذين يهبطون البصرة أو الزبير من الخارج سواء على النطاق الرسمي أو الأهلي وحفر بالقرب منه بئراً ووفق إلى أن يكون ماؤه عذباً غزيراً ثم سبَّله للناس ولم يتخل عنه بل ظل يرعاه وما يزال البئر يقوم بحاجة الواردين. ثم أن العقيل باع القصر على الحاج عبد العزيز البسام وبنى له قصراً آخر في المنطقة نفسها يخرج إليه هو وعائلته أيام الربيع ولم يتخل كذلك عن الواجبات التي يلقيها على نفسه لأضيافه. وما يزال القصر يعمر بأهله[1].

وهناك قصر آخر لآل الابراهيم شيوخ الزبير سابقاً بناه شيخ إبراهيم العبد الله شيخ الزبير كان يخرج إليه هو وإخوته محمد وأحمد وفهد.

وحفل القصر بشهرة حيث أنه كان الأول في منطقة الكريقطيات فيه حديقة غناء تضم مختلف الفواكه بإشراف الخبير الزراعي عمر المحمد العلي[2] .. ثم آلت ملكيته بعد إلى الحاج محمد السليمان العقيل وأخيراً إشتراه الحاج عبد العزيز البسام ثم آل بعد إلى ورثته.

قصور البرجسيه:

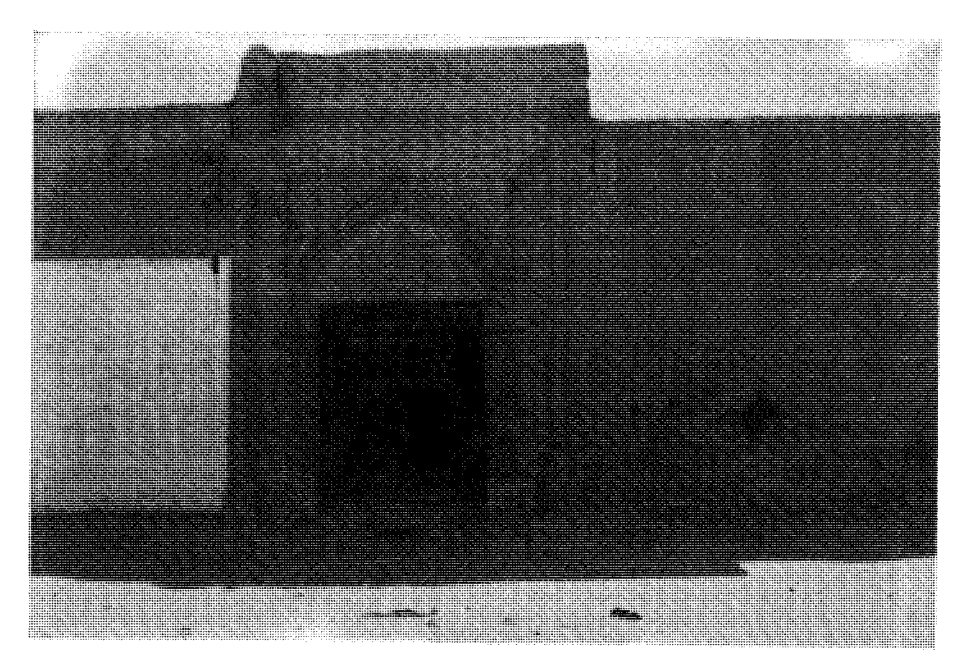
كانت تقوم عدة قصور بناها ذووها لقضاء أيام الربيع وغالب ما تكون هذه القصور قرب منطقة المزارع وقد يكون لكل مزرعة قصرها ومن هذه القصور:

١ - قصر الجريد وقد كان للفارس.

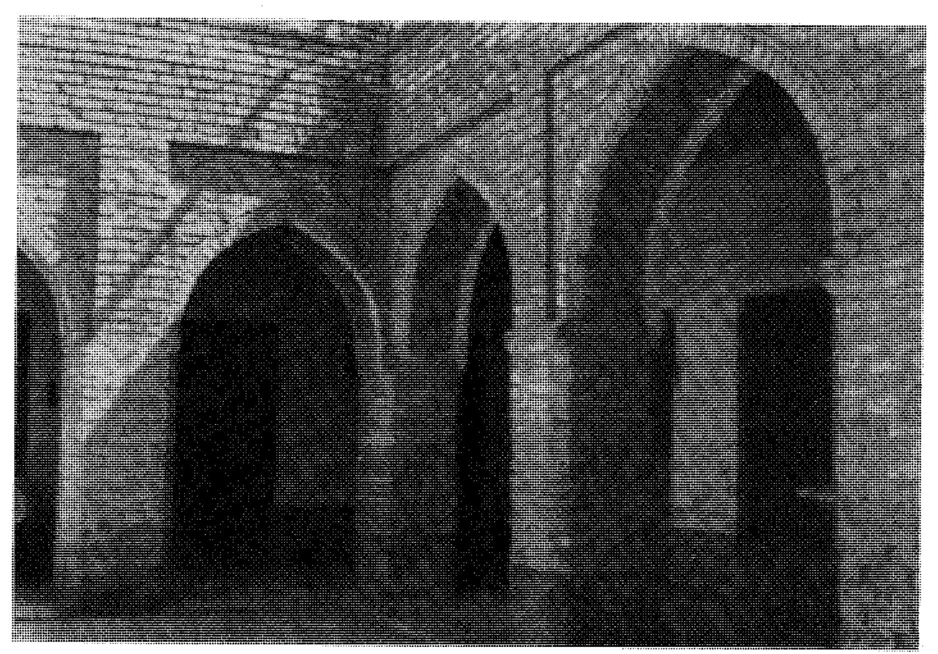
---

(١) كتبت هذه المعلومات عام ١٩٥٠م وبعد وفاة أهله تهدم القصر وصار أطلالاً يحكي قصة أهله وكذلك بقية الكثير من تلك القصور سالفة الذكر وبقي الأمل التابع له للورثة ثم تملكت الحكومة (شركة نفط البصرة) الكثير من هذه المساحات من أصحابها الشرعيين.

(٢) لا يفوتنا أن نذكر أن قصر العقيل آل بالبيع إلى عبد الوهاب سعود البابطين ثم اشتراه منه عبد الرحمن الموسى (أبو عكان) ثم آل إلى الشيخ حمد صباح الأحمد الصباح.



منزل النقيب منطقة الكويت



منزل على الشيخ

٢ - قصر المحير وفيه آثار قديمة يستخرج منها أهل المزارع الطابوق لبناء آبارهم.
٣ - قصر الحاج سعود العبد العزيز الصالح.
٤ - قصر (المربد) لعبد الله الحزيمي المعروف بـ (عبد الله أبو سعود).
٥ - قصر الشيخ بالشركة مع الحمُّود[١]. يعود إلى حسين وأخويه عبد الرحمن وعبد القادر أبناء علي الشيخ.
٦ - قصر عبد العزيز أحمد المبيض: عنى به عناية فائقة يكرم فيه أضيافه.

وكانت البرجسيه متربعاً لوجوه البصرة منذ العصور الاسلامية الأولى فقد قامت القصور لأمراء الدولة الأموية وأغنيائها يوم كانت البصرة في أزهى عصورها وسبق أن أشرنا إلى ذلك في حديثنا عن المربد يوم كان نهر (كري سعده) يسقي هذه المنطقة.

قصور الرافضية:

١ - أبرز هذه القصور هو **قصر النقيب** الذي بناه سيد محمد سعيد النقيب سنة ١٣١٦هـ وكان يخرج إليه مع رجاله وأولاده ويدعو فيه أمراء وحكام البصرة وقد أدركناه حينما تولاه بعده حفيده السيد هاشم بن السيد أحمد وكان عامراً. وبه اجتمع السيد أحمد بالشيخ مبارك الصباح. وكان القصر موضع اعجاب الكثيرين نظراً لسعته ومتانة بنائه وكثرة حجراته وانفساح ساحاته التي كان فيها مرابط للخيل تبلغ المائة على استدارة الساحة. وللقصر غرفة محكمة تشرف على ما حولها وهو مسقف بأخشاب (الجندل) وحوله مزرعة من جانبه الجنوبي.

ولما ترك عدت عليه العوادي وأصبحت تضفر فيه الرياح.

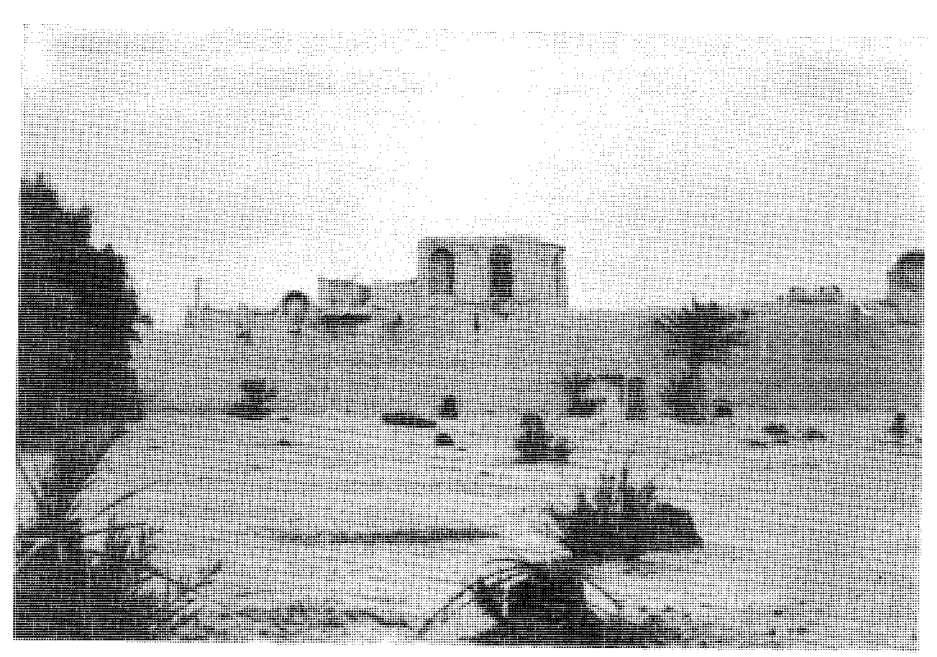
٢ - قصر المضحي:

قريب من قصر النقيب وله مزرعة وقد بنى له مسجداً قرب قصره أدركناه قائماً. وترك بعد ذلك فتهدم كما تهدم غيره[٢].

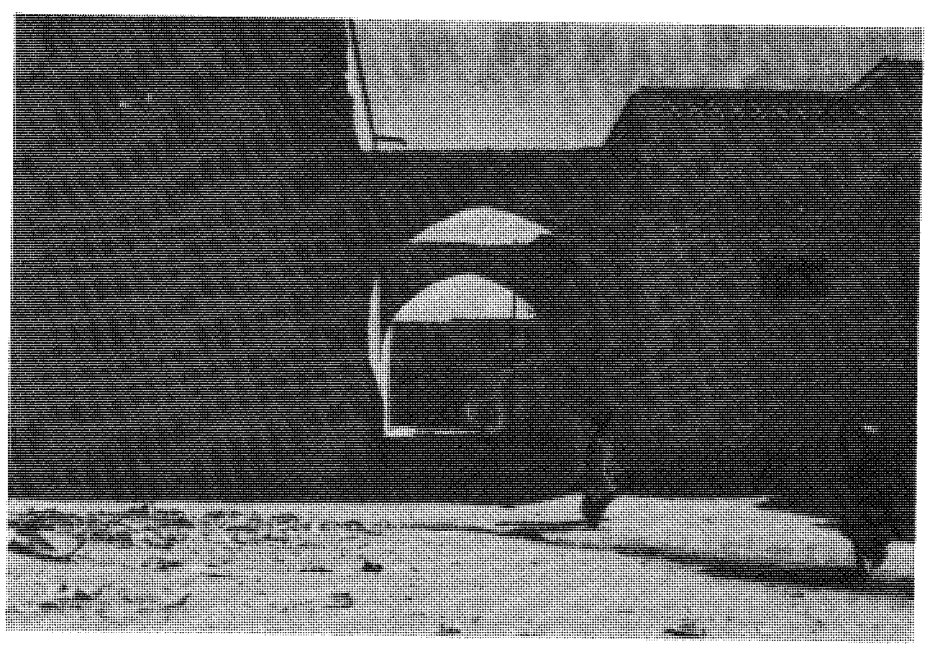
---

(١) إذا أطلقت كلمة «الشيخ» فالمقصود بهم آل شيخ محمد العبد الجبار وهم المعروفون بهذا اللقب في الزبير والبصرة والكويت. وأما «الحمّود» فهم اخوة محترمون أبناء الحاج حمود المحيسن الطبيب الشعبي المعروف في الزبير.

(٢) أدركناه في الثلاثينات من هذا القرن الميلادي.



قصر عبد العزيز البسام (العمومية) في القريطيات



في محلة الزهيرية

وفيها قصر للطيار وآخر للنغيمش وفي الرافضية مورد يعرف ببحيث (مد الله).

وفي الدريهمية قصر ينسب إلى الزهير. ويحدثنا (ملا جمعه المانع) وهو أحد المعمرين أنه رأى القصر وأنه يقع شرقي الدريهمية وفيه سدرة يقول: «أكلت من نبقها» وقد تهدم القصر ولم يبق له أثر.

عود على بدء:

لا يفوتنا أن نذكر قصوراً في النجمي جنوب غربي القريطيات هي:

١ ـ قصر عبد الرحمن الصالح الذكير.
٢ ـ قصر محمد إبراهيم العمـران.
٣ ـ قصر محمد عبد اللطيف المقيط.

قصر البابطين في كابده:

بنى الشيخ عبد العزيز سعود البابطين قصره في كابده وهو قصر منيف حديث البناء يفـوق جميع القصور التي سبق أن أشرنا إليها في المتانة والتصميم الهندسي والجمال. وحواه كل ما أبدعته يد الاتقان في فن الطراز المعماري. يخرج إليه أيام القنص والربيع ويدعو إليه الأصحاب والضيوف. وزرع حوله النخيل وفجر لها العيون العذبة.

الأســوار والخنــادق

اعتـاد العرب الأقدمون عند إختطاطهم المدن أن يحيطوها بسور لحمايتها. ونحن نبحث تاريخ البصرة والزبير فلابد من المامة تبين مواضع أسوار البصرة قديماً وحتى أوائل القرن الرابع عشر الهجري (أواخر القرن التاسع عشر الميلادي) ثم نتبعها بسور الزبير.

جاء في كتاب الجاحظ للدكتور شارل بلات تعريب الدكتور إبراهيم الكيلاني.

«أن البصرة كان يحيطها سور متين اختطه الأمويون زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه)·وحينما زار الرحالة (ابن بطوطة) البصرة ذكر في رحلته (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) سنة ٧٥٧ هـ ان أضرحة الصحابة منها ما هو داخل السور ومنها ما هو خارجه وقال: ان الزبير بن العوام وطلحة (رضي الله عنهما) داخل السور القديم بينما الحسن البصري وأنس بن مالك خارجه.

وذكر الطبري أن مدينة البصرة في الأصل لم تكن محصنة وقد اضطر المدافعون عنها للمرة الأولى إلى حفر خندق وإنشاء سور لحمايتها إلى أن جاء أبو جعفر المنصور فأنشأ سوراً متيناً وخندقاً وجعل ما أنفق فيه من أموال أهله وذلك سنة ١٥٥ هـ وكان للسور باب واحد هو (باب البادية) الذي كان يطل على بادية البصرة وبقي قائماً حتى القرن الرابع غير أنه خرب من جهته القبلية وكان أن اتصل المربد بالبصرة وصار محلة عظيمة من محاليلها.

وجاء في الوفيات لابن خلكان أنه في سنة ١٠١ هـ فر يزيد بن المهلب بن أبي صفرة من سجنه في الشام وجمع جموعاً وسار بها نحو البصرة وكان على البصرة (عدي بن أرطأة) عامل يزيد بن عبد الملك فجمع عدي أهلها وخندق عليها فأرسل إليه يزيد بن المهلب أن أبعث لي اخوتي وأنا أصالحك على البصرة فلم يقبل فشبت بينهما نار الحرب فظهر يزيد وحبس ابن أرطأة وهرب أعيان أهل البصرة من تميم وقيس ومالك بن المنذر ولحقوا

بالكوفة وبعضهم بالشام[1].

وفي سنة (٢٥٥ هـ) ولي على البصرة الاحوص الباهلي وأرسلت العساكر الكبيرة تحت قيادة (جعلان التركي) نحو البصرة لرد غارات الزنوج فجاء جعلان وجعل يحارب الزنوج فلم يتمكن منهم بشيء فحصر همته في حماية البصرة فخندق وجعل يحميها[2].

وفي سنة ٢٨٦ هـ أظهر أبو سعيد الجنابي (القرمطي) أنه يريد البصرة فكتب عاملها (أحمد بن محمد بن يحيى) إلى أمير المؤمنين المعتضد بالله بن الموفق بالله بن المتوكل فأمره ببناء سور على البصرة فبناه وأنفق على عمارته (١٤ ألف) دينار ثم أغار أبو سعيد على النواحي وعلى البصرة في سنتي (٢٨٧ ، ٢٨٩) وقوي أمره فجهز الخليفة لقتاله الجيوش ووقع بينه وبينهم وقائع مشهورة يطول ذكرها[3].

وورد في جريدة الزوراء[4] أن للبصرة سورين قديم وحديث فأما القديم فهو كما مر آنفاً. وأما الحديث فهو من بناء مدحت باشا والي العراق بناه من جانب البصرة وحتى المعامر لتخليص أملاك البصرة من مضرة العشائر إلا أن طرفها مما يلي البحر بقي مفتوحاً.

ونحن اليوم حين نتحرى آثار السور الأول نجد له بقايا في مدينة (الزبير) مما يلي مقبرة الحسن البصري ثم يأخذ اتجاهه نحو الجنوب ويجعل دار السيد هاشم النقيب داخلاً ضمن (محلة الكوت) ويمعن حتى تنقطع أثره عند طوبة الدريهمية القصوى ثم يطوقها. ونعود إلى السور لنسير معه وهو يتجه غرباً نحو محلة المربد اليوم ماراً بخط سكة الحديد ثم يضمحل ويستوي مع الأرض ثم يظهر اخرى باتجاه الشمال جاعلاً محلة العرب عن يمينه ويجتاز (أرض البسامية) ثم ينقطع عند حدود الشعيبة حيث يبقى يطل على الهور ثم يختفي وان كان يقدر أن الشعيبة (سبع قصور) تدخل ضمن السور. وان أصحاب قصور الشعيبة استعانوا بترابه في بناء قصورهم.

---

(١) النبهاني ـ التحفة ج ٩: ١٤١.
(٢) الوفيـــات.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) الزوراء الصادر في ٢٥ شعبان سنة ١٢٩٢ (المكتبة العباسية).

خاصة وأن القبائل القريبة كانت تركن إلى الاغارة بعضها على بعض بدافع التغلب والسيطرة لهذه الأسباب نقول أن أهل الزبير لابد أن يكونوا قاموا بسور يحميهم.

وبمنطق الحوادث ربما أن السور تداعى لأسباب عديدة قد يكون منها السيول الجارفة وقد يكون منها التصدع وضربات العدو وبهذه الحالة تبرز الحاجة الماسة لتمتين الأسوار وتشييدها بإحكام بحيث تصمد أمام ضربات العدو.

أما السيول فقد أوجدوا لها منافذ يمر من خلالها ويخرج من الطرف الآخر خارج المدينة كما كان الحال في طريق (الباطن) الذي يمر خلال محلة البراحة وحتى يخرج من العراص (عراص عريدان) ثم أنه في سنة ١٩٣٧م سدت منافذه قبل أن يدخل ديم خزام فوجه إلى شمال البلدة ماراً بمحلة العرب.

ويوم أن بنى السور رمز له بحروف الجمل (سور ذار) ١١٦٧ هـ وفي عهد الشيخ إبراهيم بن جديد أعيد بناؤه في ١٢٣٨ هـ وقد تنادى أهل البلدة كلهم إلى هذا الواجب وكان ساعده الأيمن في ذلك الحاج يوسف بن يحيى الزهير الذي كان تاجراً كبيراً في البصرة ثم قصدا وزير بغداد وأقنعاه بأن يزود مدينة الزبير بمدفعين يجعل منهما درعاً تكون خط الدفاع الأول للبصرة من جهة الصحراء ونجحت المساعي وزودهما بمدفعين ينصبان عند دروازة الحزم ووكل بهما جنوداً من الأتراك يأتمرون بأمرة الحاج يوسف الزهير. وجاء في النصرة في أخبار البصرة أن الدولة العثمانية في عام ١٢١١ هـ-١٧٩٧م زودت سليمان باشا ببعض الأسلحة لينصبها على السور الذي بناه باشارة الشيخ يحيى الزهير لصد غارات الأعراب.

صفة سور الزبير:

ابتدىء في بنائه من جهة الغرب وأول دروازة انتصبت فيه هي دروازة الحزم (والحزم هي الساحة الواسعة) المقابلة لقائمقامية فيه القضاء وبلدية الزبير.

١ - والدروازة هي البوابة الكبيرة ذات المصاريع وتحكم بعارضتين من الحديد والخشب

من الداخل. وتكون أبواب السور من الجانبين أمتن منهما في المواضع الأخرى.
٢ - دروازة الشمال وتقع شمال البلدة حيال مسجد الابراهيم.
٣ - دروازة البصرة وتقع شرق البلدة حيال عراص عريدان.
٤ - دروازة الدريهمية وتقع جنوب المدينة.

وحينما غزا الفرس البصرة بقيادة صادق خان الزندي أيام حكم كريم خان الزندي سنة ١١٩٠ هـ - ١٧٧٦م انتزعها من يد الحكومة العثمانية ثم غزا الزبير واقتحم أسوارها ولم تكن من المتانة بمكان فأحدث الفزع والدمار وهدم القباب وقتل وسبى رجالاً من أعيان أهل البصرة والزبير إلى شيراز.

وقد وصف دمار هذه المدينة الكولونيل جيمس كابر وكان قد مر بها في ١٩ كانون الأول سنة ١١٩٢ هـ - ١٧٨٨م. ثم ان أهل الزبير تنادوا للقيام بدعم السور وتجديده فتم لهم ذلك في عام ١٢١٨ هـ وحينما جاء سعود بن عبد العزيز في العام نفسه بعد قيام السور ورمز إليه بحروف الجمل (غزا ورد). وكان عرض السور ستة أذرع تقريباً = ثلاثة أمتار وارتفاعه ثمانية أذرع كما يرتفع الحامي فوق السور بحيث يخفي الواقف متوسط الرجال. وفيه متاريس (وقدر إرتفاعه بأربعة أذرع تقريباً). وفي الجانب الأيمن لعراص عريدان بوابة لمرور الدواب تنقل اللبن والطابوق وغيرها وهناك عراص آخر جنب دروازة الحزم إلى الشمال منها واسمه (عراص العشرين) المقابل لديم خزام[١] وكان السور على شكل طيلسان[٢] يحيط بالمدينة وقد امتنعت على كثير من المغيرين من عرب البادية ومن غارات العجم. وكانت الأبواب تفتح نهاراً وتغلق عند الغروب وحول كل بوابة حجرتان عن يمين وشمال لحراس موكلين للحماية والاستطلاع ومراقبة العدو المداهم.

انهدام السور:

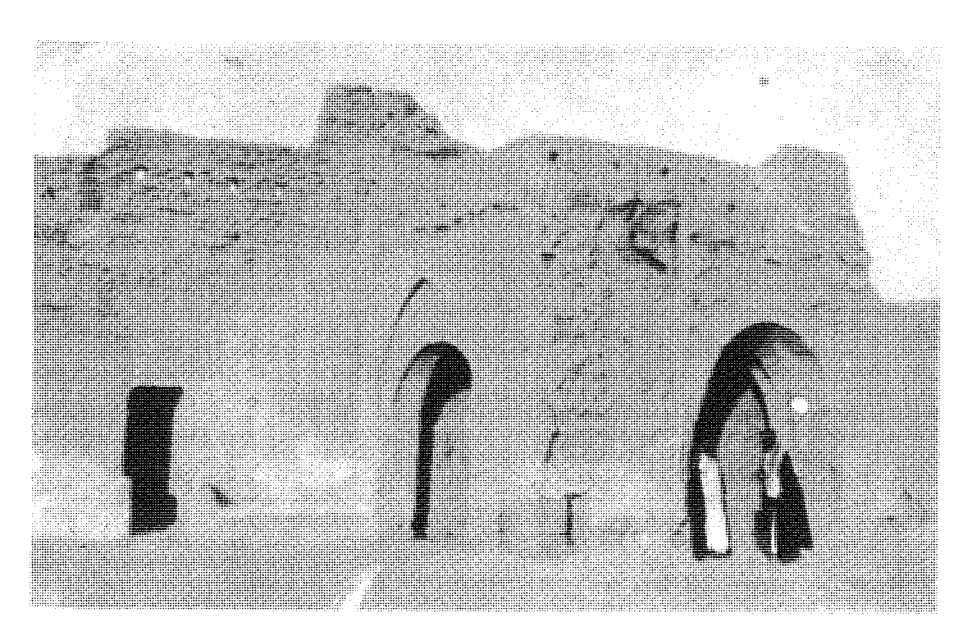
وفي أواخر الدولة العثمانية بدأ يتهدم ثم لا يصلح ما انهدم. وفي مشيخة خالد باشا العون طلب السيد أحمد النقيب أن تجعل له فتحة في السور من شرق البلدة لمرور

---

(١) نقرة واسعة قبالة السور من جهته القبلية.
(٢) الطيلسان نوع من اللباس يشبه الطاقية.

عربيته التي تجرها الخيول المطهمة وكانت العربة آنذاك تقوم مقام السيارة اليوم. ثم حدث أن جاءت سيول عارمة فضربت السور حيث لم تتسع لها العرصات.

وفي أوائل الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ كان السور قد تهدم أكثره ولم يبق إلا البوابات قائمة وانتفت الحاجة منه عندما ازداد سكان المدينة وضاقت بهم فخرجو إلى ماوراء السور وأصبحوا يستعينون بترابه في بناء دورهم حتى أصبح أثراً بعد عين اليوم.



دروازة الحزم في مدخليها الشمالي والغربي ملتصقة بالسور

سور الزبير وحدوده

نبتدىء به من دروازة الحزم التي هي من الغرب وهي بوابة كبيرة نسبة إلى بقية الدراويز. ندخل البوابة فيكون على اليمين مسجد الحزم (مسجد الدروازة) وهو من المساجد القديمة وقد جُدد عدة مرات[1]. ويكون على اليسار دكان محمد الجاسر ثم دكان يوسف العومي تاجر الدهن والمهندس المعماري، ويليه دكان محمد العبيد تاجر الدهن الآخر ونتجه نحو الشمال فيكون بيت الفهيد ثم بيت اللهيب ثم بيت الملا سليمان الملقب (ملا وجده) وكلها تقوم على قاعدة السور ثم بيت علي العضيب ويُرى هذا البيت مرتفعاً لأن الأرض تحته قد انحدرت باتجاه نقرة الحصى ثم بيت الزيد وهو يتربع على الطريق الذي يُفضي إليه الباطن، وهذه الفتحة فُتقت من السور طريقاً لمياه السيول القادمة من ديم خزام المفضية إلى نقرة الحصى وعلى هذه الفتحة يقع عليها بيت عبد الجبار القصبي وعثمان الدرع حيث يبلغ هذا الارتفاع إلى حده نسبة إلى النزول نحو نقرة الحصى، وهنا يكون السور قد انقسم إلى قسمين قسم يحيط نقرة الحصى من ثلاث جهات من الغرب حيث بيت الشاعر سالم الحميد ومن الشمال حيث يقع بيت عبد الله العمران وبيوت أخرى بينهما وهنا تُرى نقرة الحصى على أعمق انحدار وكأنما هذه البيوت معلقة وخاصة عندما يمتلىء الحصى بالمياه الداخلة إليه. هذا قسمه الأول (جهته اليمنى). ثم يتجه السور شمالاً في قسمه الثاني (جهته اليسرى) ليقع بيت الحاج سعد الربيعة المطل على الباطن وهو يركب متن السور ثم بيت الصبيح الذي كان مركز إدارة الناحية والشرطة ويقع في زاوية الشمال الغربي من البلدة الأصلية وهو بناء متين، ويقع أمامه عبر هذا الشارع المستحدث بيت الشيخ عبد الله الابراهيم أمير البلدة وهو أول بيت بُني خارج السور من جهة الشمال[2] حيث جاره من الخلف بيت عبد المحسن المهيدب[3] والبيتان هما نواة محلة الرشيدية ثم يمتد السور وهو يتجه نحو الشرق وانسراحه لوجه الشمال. ثم بيت عبد الرحمن العبيد الله بُنى مكان السور بعد أن أزيل رسمه، وعلى فتحة فيه تفضي إلى الحصي ثم بيت الشيخ أبا الخيل ويتصل البناء باتجاه الشرق ليقع مسجد الرشيدية قبالته خارج السور ثم يأتي بيت عبد العزيز الزامل فبيت

---

(١) راجع تاريخه في حديث المساجد ج ٣ ص: ٢٥.

(٢) القول للمرحوم عبد المحسن المهيدب.

(٣) وسميت الرشيدية برواية المهيدب أن مزارعاً اسمه رشيد الغنام قد خط أول مزرعة خارج السور تجاور شيخ البلدة (الابراهيم الراشد). وحفيده اليوم شيخ أحمد الغنام بالكويت وهو من أهل نجد.

الشيخ محمد الشهوان. ثم بقشة الشماس (مزرعة) وتمتد البقشة حيث يكون السور قد احتواها من الداخل وهنا تأتي بوابة الابراهيم (دروازة الابراهيم) وهي الثانية شمال البلدة وبيت العوجان الجديد يقع أمامها خارج السور، ومن الشمال منها يقع جاخور الفارس وفي رأس هذه الفتحة يقع مخبز الشمال المعروف وهنا قد دخل السور محلة الشمال ولا زالت هذه المنطقة والتي خلف (جنوب) بيت الحاج محمد الصالح تسمى بالخندق.

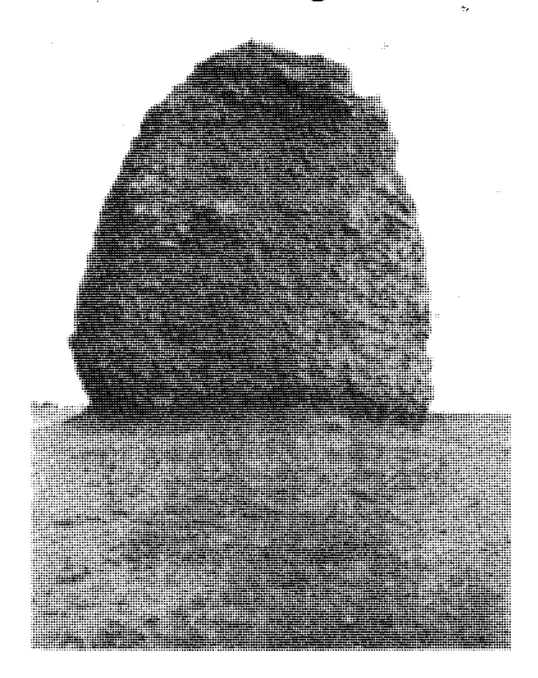
ثم يبدو السور واضحاً ببنائه المتين وارتفاعه داخل سكة تشق السور إلى اليمين لبضعة ياردات ثم يعود في اتجاهه إلى الشرق والذي يظهر للمتتبع أن البيوت التي داخل السكة هي في داخل السور كأنها منحوتة فيه ويبدو عليها التواضع في البناء لقدمها ويبلغ عرض هذا السور بحيث يكفي أن ضم البيت من الداخل والبيت من الخارج والسور يمتد والتجاور حاصل هذا من الخارج وهذا من الداخل جنباً إلى جنب حتى نهايته عند الأعراص الذي يخرج منه ماء الباطن من فتحات فيه ويستدير متجهاً إلى الجنوب حيث بوابة البصرة (دروازة البصرة) وهي الثالثة في عداد الدراويز. وهنا يُرى السور واضحاً يساند مدرسة طلحة التي بُنيت أخيراً خارج السور وينثني هذا السور بعظمته على محلة (العَبيد) شرقي البلدة وقد تهدم أخيراً حيث يُرى بيت ثريا الفداغ المتهدم حذاء السور إلى اليوم ويظل رسم السور المندرس حتى يصل إلى بيت عبد الرحمن العصيمي داخل السور وهو أقصى نقطة في السور من جهة الشرق حيث تُرى بيوت الفداغ وبيوت الصانع خارج السور وكذلك بيت الحاج إبراهيم الزهير وهو أول بيت بُنى في الزهيرية خارج السور[1] وكذلك يُرى على بضعة عشر متراً قصر علي باشا الزهير الشهير خارج السور. ثم ينحني السور باتجاه الجنوب قبالة الطريق الذي يفضي إلى سوق الجت مطوقاً (محلة عِتَيه) جنوب شرقي البلدة جاداً السير والاتجاه إلى جنوب البلدة فيطوق محلة (نقرة حويكم) ونحن هنا في وسط الجنوب وهنا تكون الفتحة الرابعة والأخيرة للسور وهي (بوابة الدريهمية) وهي التي يدخل منها (السقاة) كما يسميهم البعض (السقاقي) وقد أزيلت البوابة وسورها فليس لها أثر وبعد إزالتها خرج الناس يبنون ويخططون الحوط. ومن باب هذه الدروازة يفضى الداخل إلى (المحط) حيث مجمع السقاة لبيع الماء

---

(١) سميت الزهيرية بهذا من بناء بيت الحاج إبراهيم الزهير بهذا المكان.



سوق الاستهلاك (بيع الطماطا والأرطاب والخضرة)



طوبة الدريهمية الأولى المسماة (مقصورة رومي)

المحمول على الحمير في القرب وكذلك يُرى (المقصب) لذبح الأنعام (الخراف والأباعر والبقر) لبيعها إلى الناس بعد اشراف الصحة والبلدية.

ويواصل السور سيره مروراً ببيوت المشري والعماني في الساحة التي تسمى اليوم (براحة المشرى) ويسميها البعض (براحة النقيب) لأن بيت السيد هاشم النقيب أنها بُنى من تراب السور. وفي هذه النقطة يكون السور قد أنهى مسيرته في الجنوب من البلدة. ثم ينعرج إلى الغرب حيث يُرى السور ويسميه الناس (البدن) عالياً عريضاً ثم تهدم أعلاه ويسمونه أيضاً (الحِبس) وكان الناس يخرجون يتمشون عليه عصر اليوم، وتُرى الطوبة وتسمى (مقصورة رومي) وهي نقطة حراسة لآبار الدريهمية. وفي هذه الجهة يُرى (كمرك الزبير الأول) وهو خارج السور، وتُرى بيت الحميدان وبيوت أخرى أمام السور من الخارج وجاخور حجي ميضان وعلى البعد يُرى جاخور الغملاس وهنا يكون السور قد أنهى مسيرته ليلتقي ببوابة الدروازة مرة أخرى تلك التي بدأنا منها هذا التحديد.

معالـم فـي سـور الزبيـر

١ ـ في عراص عريدان بوابتان احداهما تمر منها أمطار السيل وهي مشيشة بالحديد كي لا يدخل منها حيوان ضار ولا عدو وأخرى مفتوحة بقدر مرور الحمار الذي يحمل التراب أو اللبن أو الصخر وهذا الباب يفتح ويغلق عند الحاجة.

كما أن للسور فتحة على الحصى مشيشة وفتحة عند ديم خزام. وبعد مرور الماء في مزرعة يزرعها ويأكل ريعها الموكل بملء المديّ ماءً لسقي الحيوانات تأتي هذه الفتحات وهي مشيشة أيضاً لخروج الماء في طريقه إلى الحصى ماراً بمجرى عريض يسمى الباطن.

٢ ـ عرض السور ستة أذرع اليد وعلوه ثمانية أذرع. كما أن للسور حامياً مما يواجه الخارج ارتفاعه أربعة أذرع وفيه متاريـس[1] قدر ما يستر المحاربَ وغالباً ما يكون هذا المحارب سديد البصر جيد التهديف.

٣ ـ بناء السور من الطين وقد حمى البلدة من غارات كثيرة، إذا أحكمت دراويزه ونفح حراسه الذين هم فوق السور.

٤ ـ المفاتيل[2] التي هي بناء محكم يشبه القلعة الصغيرة حزامها السور من جهاتها وهي دائرية ترتفع (١٢) ذراع اليد.

---

(١) المتـاريس هي الحـاميات التي تعلو على السـور وفيهـا فتحـات صغيرة بقدر ما يرى الحارس العدوَّ كما تتسع الاستخدام سلاحه ومنظاره.

(٢) المفاتيل ذكرت في الجزء الأول ص: ١٧٠.

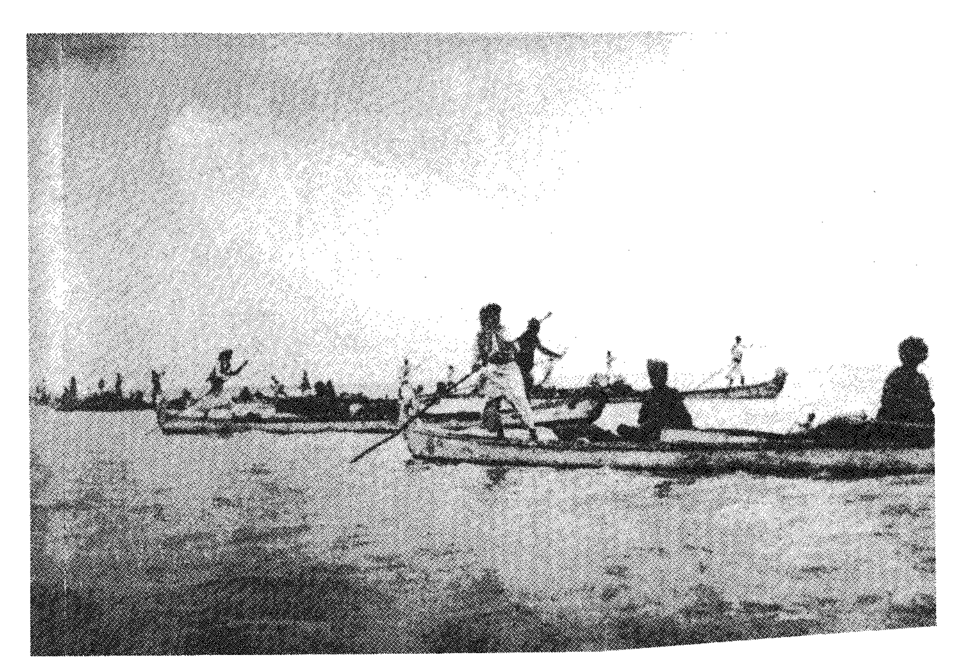
السـدود

أرض العـراق غزيرة المياه وأنهاره المنتشرة في الشـمال والجنـوب تدعـو أولي الأمر والقائمين على شؤونه في مختلف العهود للاهتمام بالسدود لحماية أراضيه والاستفادة من فائض مياهه. وخاصة أيام الفيضان والفيضان نعمة ونقمة.

ويوم أن جاء البـابليون والاشـوريون أصلحـوا أمـور الري. وفي فترة من حكم الأكاسرة أهملت السدود وطفت المياه فأحدثت البطائح وهي (فيضات) من الماء تغمر أراضي واسعة ومنها تكونت بعض أهوار العراق التي لا يزال قائماً بعضها إلى اليوم كأهوار ميسان (العمارة) وبطائح المزار (هور الحمار).

ويوم أن دخل العرب في فتوحاتهم الاسلامية للعراق اهتموا باصلاح السدود وشق الترع، وان هذا العمل بحد ذاته (اعني شق الترع) مما يخفف طغيان دجلة والفرات باستيعـابه الفائض فضلاً عن أنه يعطي الفرصة للمزارعين بتعلية أراضيهم وتنظيم الري وكان الري في العصر العباسي الأول قد بلغ الذروة. وقد جاء أبو جعفر المنصور بنفسه إلى البصرة ليشرف على سد الخور الذي أطلق عليه فيما بعد بالسد العباسي بناه جنوب البصرة أمام خور عبد الله ليحمي البصرة من مد البحر العالي وجعل له بوابات لتصريف المياه المتخلفة من مبازل بعض الأنهر القادمة من الفرات ومن شط العرب. كما أحكـم سدوداً أخـرى على الهـور في شمال البصرة ليحمي أراضيهـا من طغيـان الفرات . . وهو تخطيط يرقى إلى أرقى المستويات العلمية في هندسة الري في وقت لم يستكمل الكشف العلمي ووسائله الفنية.

حدثنا الشيخ سليمان الابراهيم يقول: حضرت لجنة تابعة لادارة (النقطة الرابعة ـ اليونسكو) سنة ١٩٥٥ للتحري عن موقع السد العباسي (والمعروف أن السد العباسي تم انشاؤه سنة ١٤٢هـ) فصحبتهم إليه بوصفي خبيراً في المنطقة وكنت قد وقفت عليه من قبل.



بين البصرة والحصوة أيام الفيضان قبل إنشاء السدة

وكشف أنه مشيد بالأحجار الجبلية وبالطابوق المفخور بدأه المنصور من نهر أبي الفلوس (نهر الأمير) وتوجه به نحو الغرب وانتهى إلى سفوان وأم قصر في الجنوب الغربي من البصرة. وورد ذكر هذا السد في البلاذري وسماه بالحِبْس الأكبر[١] وجلب إليه الحجر من جبل سنام . . وعثر عليه اليوم صيادوا السمك الزبيريون وأطلقوا عليه جرف أبو صخر.

وفي عهد سليمان باشا الكبير والي العراق سنة ١١٩٠هـ ابَّان الحكم العثماني التفت إلى سد أبي جعفر المنصور ضمن سلسلة اصلاحاته في العراق فأصلحه[٢] فعاد يقوم بمهماته وعاد كذلك إلى اصلاح أهوار جنوب العراق فأحكمها وهي المسماة اليوم بسدود الجزائر[٣] غير أنه بعد أن تردت الأحوال جراء الفتن والاضطرابات التي كثيراً ما كانت تهدد كيان الدولة العثمانية آلت بهذه السدود أيضاً إلى الاندثار.

---

(١) الحبس كما يطلق عليه اليوم في الزبير ويراد به السور أو السد.

(٢) التذكرة والعبرة في تاريخ بلد الزبير والبصرة (مخطوط ـ مكتبة جامعة البصرة) لابن غملاس.

(٣) سدود الجزائر وتحتوي على جزائر بني منصور وبني حميد ونهر عنتر ونهر صالح وغيرها.

سـدود الجزائـر:

جاء في جريدة (الزوراء)[1]: أن الدولة العثمانية كلفت قاسم باشا الزهير في ولاية ناصر باشا السعدون باحكام سدود الجزائر وحمايتها من عبث العابثين وقد كانت هذه السداد واقعة تحت رحمة عشائر المنطقة يكسرونها وقت الفيضان حينما يريدون اشغال الدولة الأمر الذي يسبب الذعر والارباك نظراً لوعورة مسالكها وكثرة مياهها وشوكة أهلها.

سـدة خرطـراد:

سبق أن تحدثنا عن نهر الترك يوم أن حفرته القوات البريطانية بأيدي الأسرى الأتراك أثناء الحرب العالمية الأولى إذ تحتم على بريطانيا أن تنقل قواتها يوم ذاك بالسرعة الممكنة لاحتلال بغداد وقبل أن تتأزم الأمور ضدها فعمدت إلى إنشاء سدة ترابية محكمة لتمد عليها سكة حديد لنقل قواتها عليها بعد أن تعذر عليها نقل جيوشها المشاة على العربات والبغال لوجود الفيضان الذي غمر الأرض. هذه السدة هي التي تدعى بسدة البصرة الشعيبة أو (سدة خرطراد). ولم تحل سنة ١٩١٥ حتى تهيأت لبريطانيا عدتها فوقعت معركة الشعيبة الشهيرة والتي كسبتها بريطانيا.

---

(١) هي الجريدة الرسمية زمن مدحت باشا (المكتبة العباسية).

معركة الجمل [الملحق الثالث]

وأخيراً دق طبل الحرب في مكة ونادى المنادي «أيها الناس ان أم المؤمنين وطلحة والزبير رضي الله عنهم شاخصون إلى البصرة فمن كان يريد اعزاز الاسلام وقتال المحلّين[1] والطلب بثأر عثمان فمن لم يكن عنده مركب ولا جهاز فهذا جهاز وهذه نفقته».

وأحضر «عسكر» جمل عائشة أم المؤمنين. ومكة ينحدر أهلوها في دروبها كالسيل . . . وحين انتهى بهم الموقف إلى ذات عرق آن لركب القتال أن يفصل عن مودعيه، وشرقت الحلوق بالدموع، لم يكن من قبل حزن كهذا.

ذلك يوم من ربيع الثاني سنة ٣٦ للهجرة فتح الباب على حرب أهلية بين المسلمين ستؤدي إلى تمزيق وحدتهم، والخرق بها يتسع . . يا لسخرية القدر!.

وخرج الامام علي كرم الله وجهه ولم تكن معه من القوة ما تكفيه للقيا جمع محارب. كانت خطته ترمي أن سيبق طلحة والزبير ببعض الطريق لعله يستطيع أن يردهم بالحسنى عن وجهتهم، فخرج متخففاً ولقيه بالطريق عبد الله بن سلام الصحابي الجليل فسارع يرد القوم عن مهوى القضاء المنتظر وعجل إلى زمام دابة الخليفة أمير المؤمنين علي وبصوت مهتاج متوسل: لاتخرج لاتخرج منها يا أمير المؤمنين. فوالله لئن خرجت منها لا ترجع إليها ولا يعود إليها سلطان المسلمين وبادرت جماعة تصده وأخرى تزجره وتكاد تنال منه فيصيح علي بالجميع دعوه فنعم الرجل.

لقد سبق أن قال في المدينة للمسلمين: ان في سلطان الله عصمة أمركم فاعطوه طاعتكم غير ملومة ولا مستكره بها. والله لتفعلن أو لينقلن الله عنكم سلطان الاسلام ثم لا ينقله إليكم.

---

(١) اشارة إلى قتلة عثمان ومحلّي دمه.

وغلبه القدر ومضى معهم يغذّون المسير[1]. وفي الطريق أتت قبائل من العرب تعرض عليه أن تحارب معه فيأبى عليها . . إلزموا قراركم أيها الناس. وتخلف وفد الكوفة ومضى يقطع الصحراء. وأتته (اسد) إذ نزل «بفيد» واتته (بكر بن وائل) فلم يقبل منهم. وفي «الثعلبية» بلغه ما نزل بعثمان بن حنيف ومهادنة أبي موسى الأشعري. وفي «الاساد» عرف ما أصاب حكيم بن جبلة.

وتحركت قوات عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وزايلت مواقفها بالحفير[2] ولعل صبر ابن حنيف أطمعهم فيه أو لعلهم رأوا أن المربد خير مكان من موقفهم الأول فسعوا إليه وتوافد عليهم أهل البصرة ولم يسكت عنهم ابن حنيف بل خرج في رجاله حتى غص المكان بأولئك وهؤلاء. وفي المربد اجتمع الفريقان كل إلى ناحية جيوش عائشة في الميمنة وجيش الوالي في الميسرة. فخطب طلحة وخطب الزبير وخطبت أم المؤمنين ومما قالت:

«أيها الناس: كان الناس يتجنون على عثمان ويزرون على عماله ويأتوننا بالمدينة ويستشيروننا فننظر بذلك فنجده بريئاً تقياً وفياً ونجدهم فجرة كذبة غدرة . . إلا أن ما ينبغي ولا ينبغي لكم غيره أخذ أثرة عثمان وإقامة كتاب الله. من الرأي أن تنظروا إلى قتلة عثمان فتقتلوا به ثم يرد هذا الأمر شورى على ما جعله ابن الخطاب رضي الله عنه.

ان قتلة عثمان هم زمرة حاقدة وانه لعمل مدبر جاء من تصميم وتنفيذ تلك القوى . . لقد أثبتت الأيام صدق وحدس الصحابة الذين دافعوا عن شرعية الخليفة. وقد فتح منذ ذلك اليوم باب لم يغلق من حوادث الاعتداء على مركز الخليفة حتى غدا المنصب في يوم من الأيام لعبة في يد الأقوى.

قضت الفتنة أن يكون عثمان في موقف الاتهام وهو الشيخ الصحابي الجليل صاحب المواقف المشرفة في تاريخ الاسلام منذ بدء الدعوة الاسلامية وإلى أن فارقهم رسول الله ﷺ وهو عنه راض. وأجترأ رؤوس الفتنة عليه إذ يحبكون خيوط المؤامرة في الأمصار

---

(١) الامام علي بن أبي طالب: عبد الفتاح مقصود.
(٢) منازل في طريق مكة إلى البصرة.

ويهيئون الأذهان الغريرة إلى الثورة لا ضد شخص الخليفة وحسب بل على مركز الخلافة وهو أعلى منصب في الاسلام. والاجتراء عليه إجتراء على صميم الاسلام الذي هبط به رسول الله ﷺ.

جاء في البداية والنهاية[1] أن عثمان في ليلة مقتله رأى الرسول ﷺ وأخبره: أَمَا أن القوم سينكرون عليك فان قاتلتهم ظفرت وان تركتهم افطرت عندنا - وكان عثمان في ذلك اليوم صائماً - وكان ان أختار الرفقة مع رسول الله ﷺ.

ويوم قتل عثمان بقيت الدولة بدون خليفة عدة أيام واحجم كل من اتصل به الثوار عن قبول القيام بالأمر وأصبح أمر المدينة بيد الرعاع فكان لابد من قبول التضحية والقبول بتسلم الزمام وكان بطل الموقف علي كرم الله وجهه.

ان شخصية علي وسيرته تجعلانه وتر شحانة للجزم بأنه كان يقدر مسبقاً المصاعب التي تنتظره والموقف الدقيق الذي سيواجهه، وأنه فهم الحكم على أنه مسؤولية وتضحية فتقدم وبايعه الجميع باستثناء نفر بسيط.

وواجه علي منذ اليوم الأول مشكلة صعب حلها وهي مشكلة قتل الخليفة السابق عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد اختلفت وجهات نظر الصحابة في الموضوع وكان اختلافهم عنيفاً وربما كانت تلك ميزتهم الكبرى للدفاع عما يؤمنون به والتي بمثلها فتحوا الأمصار وسادوا ونشروا الاسلام. وعليه فإن السبب الأول في وقعة الجمل الخلاف في الرأي في موضوع قصاص قتلة عثمان.

خيوط المؤامرة:

ذكر أن والي البصرة للخليفة عثمان رضي الله عنه عبد الله بن عامر بلغه أن في (عبد القيس) رجلاً نازلاً على حكيم بن جبلة وحكيم هذا كان رجلاً لصاً[2] اذا قفلت

---

(١) ابن الأثير ج ٧ - ١٨٣.

(٢) الضبي الأسدي: الفتنة ووقعة الجمل.

الجيوش خنس عنهم فسعى في أرض فارس فيغير على أهل الذمة ويتنكر لهم ويفسد في الأرض ويصيب ما يشاء ثم يرجع فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان رضي الله عنه فكتب إلى عبد الله بن عامر ان احبسه ومن كان مثله لا يخرجن من البصرة حتى تؤنس منه رشداً فحبسه فكان لا يخرج.

فلما قدم ابن السوداء (عبد الله بن سبا) نزل عليه واجتمع إليه نفر فلمح ولم يصرح فقبلوا منه واستعظموه وأرسل إليه ابن عامر فسأله: ما أنت؟ فأخبره أنه رجل من أهل الذمة رغب في الاسلام ورغب في جوارك. فقال ما يبلغني ذلك اخرج عني فخرج حتى أتى الكوفة، فأخرج منها وكان عليها أبو موسى الأشعرى فاستقر بمصر وجعل يكاتبهم ويكاتبونه ويختلف الرجال بينهم ويسرون غير ما يبدون فيقول أهل كل مصر: انا لفي عافية مما ابتلى به هؤلاء إلا (أهل المدينة) فإنهم وقد جاءهم ذلك عن جميع الأمصار يقولون: «إنا لفي عافية مما فيه الناس».

موافقات ومفارقات:

ولما أراد أمير المؤمنين علي الخروج من الرندة إلى البصرة قام إليه إبن رفاعة بن رافع فقال: «يا أمير المؤمنين: أي شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال أمير المؤمنين أما الذي نريد وننوي فالاصلاح ان قبلوا منا وأجابونا إليه، قال: فإن لم يجيبوا إليه؟ قال: ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر. قال: فان لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما تركونا. قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم. قال: فنعم إذن[1]».

وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على ناقة حمراء يقود فرساً كميتاً فتلقاهم (بفيد) غلام من بني سعد بن ثعلبه بن عامر يدعى «مرة» فقال: من هؤلاء؟ فقيل: أمير المؤمنين. فقال: سفرة قانية فيها نفوس فانية. فسمعها علي فدعاه. فقال: ما إسمك؟ فقال: مرة قال: امرّ الله عيشك، كاهن سائر! قال: بل حائف[2] *

(١) الطبري ٤ = ٤٧٨.

(٢) الضبي الأسدي: الفتنة ص ١٣٧.

(*) الحائف هو الحائر (القاموس المحيط.

فلما نزل بفيد أتته اسد وطي فعرضوا عليه أنفسهم فقال: إلزموا قراركم في المهاجرين كفاية.

وقدم رجل من هل الكوفة قبل خروج علي من (فيد)[1] فقال: من الرجل؟ قال: عامر بن مطر. قال: الليثي؟ قال: الشيباني، قال: أخبرني عما وراءك. قال: فأخبره حتى سأله عن أبي موسى. فقال: ان أردت الصلح فأبو موسى صاحب ذلك. وان أردت القتال فأبو موسى ليس صاحب ذلك. فقال: أمير المؤمنين والله ما أريد إلا الاصلاح حتى يرد علينا. قال: قد أخبرتك الخبر. وسكت وسكت علي.

أمير المؤمنين بذي قار:

حين نزل الخليفة علي كرم الله وجهه (بذي قار) أقبلت عليه وفود البصرة وكان منهم وفد تميم ووفد بكر لينظروا ما رأي اخوانهم من أهل الكوفة وكان علي قد أرسل إلى الكوفة كلاً من محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر وكان عليها أبو موسى الأشعري فرجعا من غير أن يكسبا تأييداً وأتيا علياً في ذي قار وأنهيا رأي أبي موسى إليه.

كما أرسل القعقاع بن عمرو التميمي إلى البصرة ولما لقوا عشائرهم من أهل الكوفة بالذي بعثهم فيه عشائرهم من أهل البصرة. قال لهم الكوفيون، مثل مقالتهم وأدخلوهم على علي وأخبروه خبرهم.

سأل علي جرير بن شرس عن طلحة والزبير فأخبره عن دقيق أمرهما وجليله حتى تمثل له:

ألا أبلغ بني بكر رسولا ... فليس إلى بني كعب سبيل
سيرجع ظلمكم منكم عليكم ... طويل الساعدين له فضول

(١) منزل بين المدينة والبصرة.

وتمثل علي عندها:

ألم تعلم أبا سمعان أنا نرد الشيخ مثلك ذا الصداع
ويذهل عقله بالحرب حتى يقوم فيستجيب لغير داع
فدافع عن خزاعة جمع بكر وما بك يا سراقة من دفاع

ولما جاءت وفود أهل البصرة إلى الكوفة ورجع القعقاع من عند أم المؤمنين وطلحة والزبير بمثل رأيهم في الحرص على حقن الدماء جمع علي كرم الله وجهه الناس ثم قام على الغرائر فحمد الله عز وجل وأثنى عليه وصلى على النبي وذكر الجاهلية وشقاءها والاسلام والسعادة وأنعام الله على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذي يليه ثم حدث هذا الحادث الذي جره على هذه الأمة أناس حسدوا من افاء الله عليه وأرادوا الأشياء على أدبارها والله بالغ أمره ومصيب ما أراد.

كيف وصل الخبر إلى عائشة:

قتل عثمان في ذي الحجة لثمان عشرة خلت منه وكان على مكة عبد الله ابن عامر وعلى الموسم يومئذٍ عبد الله بن عباس بعثه عثمان وهو محصور فتعجل أناس في يومين مع ابن عباس فقدموا المدينة بعد ما قتل وهرب بنو أمية قبل أن يبايعوا فلحقوا بمكة. وبويع علي لخمس بقين من ذي الحجة وتساقط الهراب إلى مكة. وعائشة مخيمة بمكة تريد عمرة المحرم فاستخبرتهم فأخبروها أن قد قتل عثمان رضي الله عنه. ولم يجبهم إلى التأمير أحد. فقالت عائشة رضي الله عنها: ولكن اكياس هذا غب ما كان يدور بينكم من عتاب الاستصلاح.

حتى إذا قضت عمرتها وخرجت انتهت إلى (سَرِف)[1] لقيها رجل من أخوالها من بني ليث وكانت واصلة لهم رفيقة عليهم ـ يقال له عبيد بن أبي سلمة ـ فقالت: مهيم[2]! فاصم ودمدم، فقالت: ويحك علينا أم لنا؟ فقال: لا ندري! قتل عثمان وبقوا ثمانياً. قالت: ثم صنعوا ماذا؟ فقال: أخذوا أهل المدينة بالاجتماع على علي والقوم غالبون على المدينة[3] فرجعت إلى مكة وهي لا تقول شيئاً ولا يخرج منها شيء حتى نزلت

---

(١) سرف: موضع قرب التنعيم بمكة (القاموس المحيط).
(٢) مَهْمَ: كلمة استفهام أي ما شأنك أو ما وراءك؟ (القاموس المحيط).
(٣) الفتنة ووقعة الجمل.

على باب المسجد وقصدت للحجر فسترت فيه واجتمع الناس إليها فقالت: يا أيها الناس: ان الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا أن عاب الغوغاء على هذا المقتول بالأمس القريب واستعمال من حدثت سنه وقد استعمل أسنانه قبله. ولما لم يجدوا حجة ولا عذراً خلجوا وبادأوا بالعدوان ونبا فعلهم عن قولهم، فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام وأخذوا المال الحرام واستحلوا الشهر الحرام، والله لأصبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم.

وكان أول من أجاب إلى ذلك عبد الله بن عامر وبنو أميه وقد كانوا سقطوا إليها بعد مقتل عثمان، ثم قدم يعلى بن أميه فأتفقا بمكة، ومع يعلى ستمائة بعير وستمائة ألف درهم فأناخ بالأبطح معسكراً[(١)] وقدم معهما طلحة والزبير فلقيا عائشة أم المؤمنين فقالت: ما وراءكما؟ فقالا: وراءنا أن تحملنا بقلتنا[(٢)] هراباً من المدينة من غوغاء واعراب وفارقنا قوماً حيارى لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلاً ولا يمنعون أنفسهم. قالت: فأتمروا أمراً، ثم انهضوا إلى هذه الغوغاء. وتمثلت:

ولو أن قومي طاوعتني سراتهم: لأنقذتهم من ذي الخبال والخبل.

جيش عائشة في المربد:

ويوم أن رأى ابن حنيف أن جيش عائشة مال إلى داخل المربد تحاثَّ الفريقان بالحصباء وكادت الأسلحة أن تلتقي وساد البصرة الاضطراب الذي يجيء عادة في أعقاب الانقسام لا يتلاقى رجلان من أهلها الا كان ثالثهما جدال أو ملاحاة ولا بيت بعد ذلك ذاق طعماً للهدوء. وتوشك النذر أن تشير إلى جوٍ عاصف.

وأخيراً مال ابن حنيف إلى فم سكة ناحية المسجد عن يمين الدباغين يمنعون الناس ويأخذون عليهم الطريق وسالت دماء على فم السكة عند المربد وأمرت عائشة جيشها أن يتقهقر أمام جيش أخذ يضغط بهجماته حتى اسدل الليل أستاره ويتا يمن جيش

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ارتحل بقليتهم لم يدعوا وراءهم شيئاً.

عائشة حتى انتهى إلى مقبرة بني مازن وراح جيش حكيم بن جبلة ينحسر عن الميدان ويرجع إلى المدينة (البصرة).

موقف الامام علي «كرم الله وجهه»:

وكان حينما تحركت كتائب علي من ذي قار كان يرغب أن يسبق وصول جيش عائشة والصاحبين وكأن الجيشين فرسا رهان. كان يأمل أن يجري معهما استيضاحات ثم ليضعوا معاً حلولاً لها وعسى أن يتم تفاهم يكون فيه القرآن الحكم العدل.. وقد يخطىء المجتهد ويصيب وقد يسبق المنطق القدر.

هذه حال هؤلاء القادة وهم يرفعون صوتاً بالايمان ويحتكمون إلى رسول الله ﷺ.

لقد كان في الأمر سر... كاد يتم تفاهم لولا أن أنه كان للثوار مصلحة في اسعار النار وتعميق الشقة لأن أي تفاهم يعني حصر دائرة المسؤولية ومسببي الفتنة ثم إنزال العقاب بهم، وكانوا على ثقة من ذلك.

وعلي رضي الله عنه لا تأخذه في الحق لومة لائم ولا يبالي في مرضاة الله ولو سخط البشر كلهم.

وكان موقف علي عند نفسه في غاية الوضوح ولدى المجتمع المسلم في غاية الدقة.. كان راغباً في إقامة الحدود وإنزال القصاص وربما كان خطط لذلك. ولكن بعض زملائه من الصحابة أصروا على التدخل في الأمر وهم حريصون على ما أمر الله به من تعجيل الاقتصاص.

غير أن من كان في موضع المسؤولية يرى الأمور بمنظار غير الذي يراها الآخرون.. فتحتم وقوع الخلاف. وأراد طلحة والزبير أن يؤكدا عدم رضائهما فاستأذنا علياً وتوجها إلى مكة لأداء العمرة. وفي مكة قررا ومعهما عائشة أم المؤمنين وكل من لاذ بمكة من أنصار عثمان التوجه إلى البصرة والامتناع هناك.

ولما علم بذلك علي وقد كان يعد جيشه للتوجه إلى بلاد الشام تحول إليهم. غير أنه لما بلغه أن جيش أم المؤمنين ركب طريق البصرة وأنه لن يدركه مال إلى الكوفة عن طريق (فيد) كما مر. وفي أثناء ذلك أرسل أمامه القعقاع إلى البصرة ليجتمع بطلحة والزبير وأم المؤمنين وليقف على جلية الأمر ومفاداة وقوع حرب بين المسلمين.

وبعد أن استجمع أمره قرَّ في روعه شيء وقال: «أيها الناس إني راحل غداً فارتحلوا ألا لا يرتحلنّ أحد اعان على عثمان بشيء وليغن السفهاء عني أنفسهم».

وأصبح على ظهر فمضى ومضى الناس حتى إذا انتهى إلى عبد القيس نزل بهم وبمن خرج من أهل الكوفة ثم ارتحل حتى نزل على أهل الكوفة والناس متلاحقون به[1] وجاز إلى ذي قار كما مر آنفاً ثم منها توجه إلى البصرة فدخلها من ناحية الزاوية[2].

ولما نزل علي على باب البصرة الشمالي: جدت الأمور واتخذت شكلاً جديداً وأقبلت الوفود وأقبلت الشخصيات تعرض طاعتها أو تعرض آراءها وكان ذلك يجرى على النطاقين الرسمي والأهلي كما تلتقي هذه الوجوه لدى كل من المعسكرين.

وهذا أبو الجرباء أحد الشخصيات المعروفة في بني تميم يقوم إلى الزبير بن العوام ويقول:

ان الرأي أن تبعث الآن ألف فارس فيمسّوا هذا الرجل ويصبّحوه قبل أن يوافي أصحابه. فقال الزبير: يا أبا الجرباء انا لنعرف أمور الحرب ولكنهم أهل دعوتنا وهذا أمر حدث في أشياء لم تكن من قبل اليوم، هذا أمر من لم يلق الله عز وجل فيه بعذر، انقطع عذره يوم القيامة ومع ذلك انه فارقنا وافدهم على أمر، وأنا أرجو أن يتم لنا الصلح فابشروا واصبروا.

---

(١) لم يثبت في أمهات كتب التاريخ أن الامام نزل بالكوفة في طريقه إلى البصرة وإنما قطع المسافة من فيد إلى ذي قار فالبصرة ليسبق الحوادث.

(٢) الزاوية موقع الشعيبة الشمالية «محطة قطار الشعيبة» أو كما يعرفها البعض بمحطة أنس.

وأقبل صبرة بن شيمان فقال: يا طلحة، يا زبير: انتهزا بنا هذا الرجل فان الرأي في الحرب خير من الشدة. فقالا: يا صبرة: انا وهم مسلمون. هذا أمر لم يكن قبل اليوم فينزل فيه قرآن أو يكون فيه من رسول الله ﷺ سنة، انما هو حدث. وقد زعم قوم انه لا ينبغي تحريكه اليوم، وهم علي ومن معه. فقلنا: نحن لا ينبغي لنا أن نتركه ولا نؤخره. فقال علي هذا الذي ندعوكم إليه من اقرار هؤلاء القوم هو خير من شر. وهو أمر لا يدرك وقد جاءت الأحكام بين المسلمين بإيثار اعمها منفعة وأحوطها.

وأقبل كعب بن سور فقال: ما تنتظرون يا قوم بعد توردكم أوائلهم؟ اقطعوا هذا العنق من هؤلاء. فقالوا: يا كعب، ان هذا أمر بيننا وبين اخواننا وهو أمر ملتبس، لا والله ما أخذ أصحاب محمد ﷺ مذ بعث الله نبيه طريقاً إلا علموا أين مواقع أقدامهم حتى حدث هذا فانهم لا يدرون أمقبلون هم أم مدبرون!.

ان الشيء يحسن عندنا اليوم ويقبح عند اخواننا، فإذا كان من الغد قبح عندنا وحسن عندهم. وانا لنحتج عليهم بالحجة فلا يرونها حجة[1] ثم يحتجون علينا بأمثالها، ونحن نرجو الصلح ان أجابوا إليه وأتموا وإلا فإن آخر الدواء الكي.

وقام إلى علي بن أبي طالب اقوام من أهل الكوفة يسألونه عن أقدامهم على القوم.. فقام إليه فيمن قام الأعور بن بنان المنقري فقال له علي: على الاصلاح وإطفاء الثائرة[2] لعل الله يجمع شمل هذه الأمة بنا ويضع حربهم. قال: فان لم يجيبونا؟ قال: تركناهم ما تركونا. قال: فان لم يتركونا؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا. قال: فهل لهم مثل ما عليهم؟ قال: نعم.

---

(١) الفتنة ووقعة الجمل.

(٢) العداوة والشحناء.

وقام إليه أبو سلامة الدألاني فقال: [1] أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم ان كانوا أرادوا الله عز وجل بذلك؟ قال: نعم، قال: فترى لك حجة بتأخيرك [2] ذلك إلى اليوم؟ قال: نعم ان الشيء إذا كان لا يدرك فالحكم فيه أحوطه وأعمه نفعاً، قال: فما حالنا وحالكم ان ابتلينا غداً؟ قال: اني لأرجو ألا يقتل أحد نقى قلبه الله منا ومنهم إلا أدخله الله الجنة[3].

وقام إليه مالك بن حبيب فقال: ما أنت صانع إذا لقيت هؤلاء القوم؟ قال: قد بان لنا ولهم أن الاصلاح الكف عن هذا الأمر، فان بايعونا فذلك، فان أبو وأبينا إلا القتال فصرع لا يلتئم. قال: فان ابتُلينا فما بالُ قِتالنا؟ قال: من أراد الله عز وجل نفْعه نفعه ذلك وكان نجاءَه.

وقام علي فخطب الناس وحمد الله وأثنى عليه وقال: «يا أيها الناس املكوا نفسكم، كفوا أيديكم وألسنتكم عن هؤلاء القوم، فانهم إخوانكم واصبروا على ما يأتيكم، وإياكم أن تسبقونا، فان المخصوم غداً من خصم اليوم». ثم ارتحل وأقدم ودفع تعبيته التي قدم فيها، حتى إذا أطل على القوم بعث إليهم حكيم بن سلامة ومالك بن حبيب: ان كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا وأقرونا ننزل وننظر في هذا الأمر.

فخرج إليه الأحنف بن قيس وبنو سعد مشمرين، قد منعوا حرقوص بن زهير ولا يرون القتال مع علي بن أبي طالب فقال: يا علي: ان قومنا بالبصرة يزعمون أنك ان ظهرت عليهم غداً انك تقتل رجالهم وتسبي نساءهم. فقال: ما مثلي يخاف هذا منه [4] وهل يحل هذا الا ممن تولى وكفر، ألا تسمع إلى قول الله عز وجل: «لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر»[5].

---

(١) الطبري ج ٤ - ٤٩٦.
(٢) ابن الأثير والنويري.
(٣) الفتنة ووقعة الجمل ١٥١.
(٤) المصدر السابق.
(٥) سورة الغاشية الآية ٢٢ - ٢٣.

وهم قوم مسلمون! هل أنت مغني عني قومك؟ قال: نعم، واختر مني واحدة من اثنتين: أمّا ان أكون ايتك فأكون معك بنفسي واما أن أكف عنك عشرة آلاف سيف.

فخرج إلى الناس فدعاهم إلى القعود وقد بدأ فقال: يال خندف فأجابه ناس. ثم نادي: يال تميم. فأجابه ناس. ثم نادى: يال سعد فلم يبق سعدي إلا اجابه، فاعتزل بهم ثم نظر ما يصنع الناس فلما وقع القتال وظفر علي جاءوا وافرين فدخلوا فيما دخل فيه الناس.

كذلك أرسل عمران بن حصين[1] في الناس يخذل من الفريقين جميعاً كما صنع الأحنف، وأرسل إلى بني عدي فيما أرسل، فأقبل رسوله حتى نادى على باب مسجدهم: ألا ان أبا نجيد عمران بن الحصين يقرئكم السلام ويقول لكم: والله لئن أكون في جبل حَضَن[2] مع اعنز خضر وضان أجز أصوافها وأشرب ألبانها أحب إليّ من أن أرمي في سيء من هذين الصفين بسهم، فقالت بنو عدي جميعاً بصوت واحد: انا والله لا ندع ثقل رسول الله ﷺ لشيء ـ يعنون أم المؤمنين.

وأهل البصرة فرق. فرقة مع طلحة والزبير وفرقة مع علي وفرقة لا ترى القتال مع أحد من الفريقين.

وجاءت عائشة رضي الله عنها من منزلها الذي كانت فيه حتى نزلت في مسجد الحدان في الازد، وكان القتال في ساحتهم ورأس الازد يومئذٍ صبرة بن شيمان. فقال له كعب بن سور: ان الجموع إذا تراءوا لم نستطع، وانما هي بحور تدفق،. فاطعني ولا تشهدهم، واعتزل بقومك، فاني أخاف ألا يكون صلح، وكن وراء هذه النطفة ودع هذين الفارين من مضر وربيعة فهما اخوان فإن اصطلحا فالصلح ما أردنا وان اقتتلا كنا حكاماً عليهم غداً.

---

(١) الطبري ج ٤ ـ ٥٠٢.
(٢) وفي نسخة «حصين» ـ هامش الفتنة ووقعة الجمل ص ١٥٢.

وكـان كعب في الجـاهلية نصرانياً فقـال صبرة: اخشى أن يكون فيك شيء من النصرانية: اتـأمرني أن أغيب عن اصلاح بين الناس وان أخذل أم المؤمنين وطلحة والزبير أن ردّوا عليهم الصلح، وأذع الطلب بدم عثمان! لا أفعل ذلك أبداً: فاطبق أهل اليمن على الحضور.

الأحنف يعود أخرى ليخذّل:

ولـما أقبـل الأحنف نادى يال أدَّ[1] اعتزلوا هذا الأمر وولوا هذين الفريقين كيسه وعجـزه، فقام المنجاب بن راشد فقال: يآل الرباب: لا تعتزلوا واشهدوا هذا الأمر وتولوا كيسه، ففارقوا فلما قال: يآل تميم اعتزلوا هذا وولوا هذين الفريقين كيسه وعجزه قام أبو الجرباء وهو من بني عثمان بن مالك بن عمرو بن تميم فقال: يآل عمرو: لا تعتزلوا هذا الأمر وتولوا كيسه. فكان أبو الجرباء علي بن عمرو بن تميم والمنجاب بن راشد على بني ضبة فلما قال: يآل زيد مناة اعتزلوا هذا الأمر وولوا هذين الفريقين كيسه وعجزه، قال: هلال بن وكيع: لا تعتزلوا هذا الأمر. ونادى يآل حنظلة تولوا كيسه، فكان هلال على حنظلة. ولما دعت سعد الأحنف واعتزلوا إلى وادي السباع.

وكان على هوازن[2] وعلى بني سليم والاعجاز مجاشع بن مسعود السلمي وعلى عامر زفر بن الحارث. وعلى غطفان أعصر بن النعمان الباهلي وعلى بكر بن وائل مالك بن مسمع. واعتزلت عبد القيس إلى علي إلا رجلاً فانه أقام.

ومن بكر بن وائل قيّام، واعتزل منهم مثل من بقي منهم عليهم سنان وكانت الأزد على ثلاثة رؤساء: صبرة بن شيمان ومسعود وزياد بن عمرو والشواذب عليهم رجلان: علي مضر الخريث بن راشد، وعلى قضاعة والتوابع الرعبي الجرمي (وهو لقب). وعلى سائر العرب ذو الآجرة الحميري.

---

(١) الطبري ج ٤ ـ ٥٠٤ وفي نسخة من يال زيد وهو أدَّ بن طابخة أصل تميم.

(٢) المصدر السابـق.

فخرج طلحة والزبير فخرجا بالناس من الزابوقة[1]، في موضع قرية الأرزاق فنزلت مضر جميعاً وهم لا يشكون في الصلح ونزلت اليمن جميعاً اسفل منهم وهم لا يشكون في الصلح. وعائشة في الحدان والناس في الزابوقة على رؤسائهم هؤلاء وهم ثلاثون ألفاً.

وردوا حكيماً ومالكاً إلى علي بأنا على ما فارقنا عليه القعقاع فأقدم. فخرجا حتى قدما عليه بذلك، فارتحل حتى نزل عليهم بحيالهم ونزلت القبائل إلى قبائلهم: مضر إلى مضر وربيعة إلى ربيعة واليمن إلى اليمن وهم لا يشكون في الصلح فكان بعضهم بحيال بعض، وبعض يخرج إلى بعض ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح، وخرج أمير المؤمنين فيمن معه وهم عشرون ألفاً وأهل الكوفة على رؤسائهم الذين قدموا معهم «ذي قار» وعبد القيس على ثلاثة رؤساء: جذيمة وبكر على ابن الجارود، والعمور على عبد الله بن السوداء وأهل هجر على ابن الأشبح، وبكر بن وائل من أهل البصرة على ابن الحارث بن نهار، وعلى دنور بن على الزط والسبابجة، وقدم علي ذي قار في عشرة آلاف وانضم إليه عشرة آلاف من البصرة.

فلما نزل الناس واطمأنوا خرج علي وطلحة والزبير فتواقفوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح ووضع الحرب حين رأوا الأمر قد أخذ في الانقشاع وانه لا يدرك إلا به فافترقوا عن موقعهم على ذلك.

الأحنف والمعركة:

واعتزل الأحنف بن قيس المعركة وذلك انه حينما رجع من عند علي لقيه هلال بن وكيع بن مالك بن عمرو. قال ما رأيك؟ فقال الأحنف: الاعتزال. قال فما رأيك أنت؟ قال مكاشفة أم المؤمنين: أفتدعنا وأنت سيدنا؟ قال الأحنف انما أكون سيدكم غداً إذا قتلتَ وبقيتُ. فقال هلال: هذا وانت شيخنا! فقال: أنا الشيخ المعصي وأنت الشاب المطاع. فتبعت بنو سعد الأحنف فاعتزل بهم إلى وادي السباع واتبعت بنو حنظلة هلالاً وتابعت بنو عمرو أبا الجرباء فتقاتلوا.

(١) والزابوقة موضع قريب من البصرة فيه الوقعة يوم الجمل أول النهار (ابن دريد: الاشتقاق ص ٣٣٢ وانظر كذلك الجمهرة ٢ : ٢٨١. وزابوقة البيت زاويته.

إجتماع طلحة والزبير بعلي:

واجتمع إلى علي عدد من الصحابة فيهم طلحة والزبير فقالوا: يا علي: إنا قد اشترطنا إقامة الحدود وان هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل وأحلو بأنفسهم[١].

فقال لهم يا اخوتاه: اني لست أجهل ما تعلمون ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم! هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم وثابت إليهم أعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا فهل ترون موضعاً لمقدرتنا على شيء مما تريدون؟ قالوا: لا. قال: والله لا أرى رأياً ترونه. ان هذا الأمر أمر جاهلية. وان لهؤلاء القوم مادة. وذلك ان الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض ما أخذ بها أبداً. ان الناس من هذا الأمر على أمور:

فرقة ترى ما ترون. وفرقة ترى مالا ترون وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق فهدئوا عني وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا.

فقال بعضهم: والله لئن إزداد الأمر لا قدرنا على انتصار من هؤلاء الأشرار، لترك هذا الأمر إلى ما قال علي أمثل.

وقال بعضهم ووالله ان علياً لمستغن برأيه وأمره عنا.

وذكر ذلك لعلي فقام فحمد الله وأثنى عليه وذكر فضلهم وما فيه إليهم ونظره لهم وقيامه دونهم. وانه ليس له من سلطان إلا ذلك والأجر من الله عز وجل عليه.

ونادى: برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه فتذامرت السبأية والأعراب.

---

(١) الفتنة ووقعة الجمل.

وخرج في اليوم الثالث على الناس فقال: أيها الناس اخرجوعنكم الاعراب. وقال: يا معشر الاعراب: الحقوا بمياهكم فأبت السبأية. ودخل علي بيته. ودخل عليه طلحة والزبير وعدة من أصحاب النبي ﷺ وتشاوروا وتكلموا فيما اختلفوا فيه فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح ووضع الحرب وانه لا يدرك إلا به. فافترقوا عن موقفهم ذلك على أن يعلنوه من غدهم فرجع علي إلى عسكره وطلحة والزبير إلى عسكرهما.

نشاط الفئات السرية المعادية:

وهنا يبرز رأس الفتنة ويأبى إلا أن تشرئب عنقه ذلك هو ابن السوداء وهو عبد الله بن سبأ اليهودي ومن معه من أتباع الهرمزان الفارسي ممن حاكوا المؤامرة ضد الخليفة عثمان والمؤامرة التي قبلها في إغتيال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وهاهم الآن يدسون ويعملون في صفوف المسلمين بخفاء.

في كتب التاريخ روايات شتى عن نشاطهم السري ـ أفراداً وجماعات ـ أظهروا الاسلام وأخفوا أحقادهم ودياناتهم القديمة بغية العمل داخل صفوف المسلمين في تحطيم الدولة الاسلامية وإفساد المجتمع الاسلامي ببث العقائد الفاسدة ونشر الفتنة بدوافع دينية وعنصرية بعدما عجزت تلك القوى عن مجابهة المسلمين في العمل كما عجزت جيوشها وأقوامها عن مواجهتهم في ميادين القتال.

ورأس الفتنة هذا هو عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء من يهود صنعاء أظهر إسلامه في خلافة عثمان بن عفان، إشتهر أكثر من غيره لأنه أسلم متأخراً وزاول نشاطه بالعراق والشام ومصر وظهر مع الثوار يرسم خططاً ويدلي بآراء هدامة ذكرها معظم المؤرخين في كتبهم.

كان يقوم بدور رئيسي ضمن جماعة يعتنقون مبدأه. كانوا يعملون ضمن مخطط مدروس لتحطيم الدولة الاسلامية من داخلها وضرب المسلمين في صميم معتقداتهم، وإذا كان ذلك مما لا يجوز التهوين في شأنه فكذلك لا يجوز الاستهانة بالدور الذي لعبوه. كانت توجهتهم فيه إدارة منظمة وفقاً لخطة تشبه ما يسمى بـ «الحرب النفسية» في عصرنا وذلك ببث الاشاعات المغرضة وإرسال الرسائل المزورة على لسان علي

وعـائشة وطلحة والزبير إلى الأمصار بالاضافة إلى حملهم السلاح وتنظيمهم حوادث الاغتيال على أعـلى المستـويات وبمراجعة دقيقة لتاريخ صدر الاسلام تبدو بوضوح جذور هذه الفتنة[1].

ورأس الفتنة هذا بدأ أعماله بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام غير أنه لم يقدر على أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى إلى مصر فاعتمر فيهم. ومما كان يقول: «اني لأعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع! ويكذب بأن محمداً لا يرجع[2] وقد قال الله: (ان الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) فمحمد أحق بالرجوع من عيسى. قال فقيل ذلـك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها وقال لأتباعه: «ابدأوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس. وادعوهم إلى هذا الأمر. وبث دعاته وكاتب من استفسر من أهل الأمصار وكاتبوه ودعوا بالسر إلى ما عليه أمـرهم وأظهـروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلوا يكتبون إلى الأمصار كتباً يضعونها في عيوب ولاتهم ويكاتبهم اخوانهم في مثل ذلك ويقرأه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم.

رؤوس الفتنة يحبطون مساعي الاصلاح:

اجتمع نفر من أولئك الحاقدين وكان منهم من سخر بيانه ومواهبه العقلية لقاء أجر مسمى يتقاضاه من العدو. ومن هؤلاء من سبقت الاشارة إليه كعلباء بن الهيثم وعدي بن حاتم وسالم بن ثعلبة العبسي وشريح ابن أوفى من ضبيعة والأشتر في عدة ممن سار إلى عثمان، ورضي بسير من سار وجاء معهم المصريون ـ ابن السوداء وخالد بن ملجم[3] وتشاوروا فقالوا: ما الرأي؟ وهذا والله علي وهو أبصر الناس بكتاب الله وأقرب ممن يطلب قتلة عثمان وهو يقول ما يقول ولم ينفر إليه الا هم والقليل من غيرهم فكيف به إذا شام القوم وشاموه[4] وإذا رأوا قلتنا في كثرتهم؟ انتم والله ترادون، وما أنتم بأنجى من شيء. فقال الأشتر: أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما، وأما علي فلم نعرف أمره

---

(١) الفتنة ووقعـة الجمـل.
(٢) المصـدر السابـق.
(٣) الفتنة ووقعة الجمل ـ الضبي ص ١٤٧.
(٤) أي حققوا حملات الحرب.

حتى اليوم ورأي الناس والله فينا واحد، وان يصطلحوا مع علي فعلى دمائنا. فهلمّوا فلنتواثب على علي فلنحقه بعثمان فتعود فتنة يرضى منا فيها بالسكون.

فقال عبد الله بن السوداء بئس الرأي رأيت! أنتم يا قتلة عثمان من أهل الكوفة بذي قار ألفان وخمسمائة وهذا ابن الحنظلة وأصحابه في خمسة آلاف بالأشراق إلى أن يجدوا إلى قتالكم سبيلاً فارقأ على ضلعك[1].

وقال علباء بن الهيثم: انصرفوا بنا عنهم ودعوهم فإن قلّوا كان أقوى لعدوهم عليهم وان كثروا كان أحرى أن يصطلحوا عليكم دعوهم وارجعوا فتعلقوا ببلد من البلدان حتى يأتيكم فيه من تثقون به، امتنعوا من الناس.

فقال ابن السوداء: بئس ما رأيت ودَّ والله الناس انكم على جديلة[2] ولم تكونوا مع أقوام برآ ولو كان الذي تقول لتخطفكم كل شيء.

فقال عدي بن حاتم:

والله ما رضيت ولا كرهت ولقد عجبت من تردد من تردد عن قتله في خوض الحديث، فأما إذ وقع ما وقع ونزل من الناس بهذه المنزلة فإن لنا عتاداً من خيول وسلاح محموداً فإن أقدمتم أقدمنا وإن أمسكتم أحجمنا فقال ابن السوداء أحسنت.

وقال سالم بن ثعلبة: من كان أراد بما أتى الدنيا فإني لم أرد ذلك والله لئن لقيتهم غداً لا أرجع إلى بيتي ولئن طال بقائي إن لم ألقهم لا يزد على جزر جزور. واحلف أنكم لتفرقون السيوف فرق قوم لا تصير أمورهم إلا إلى السيف. فقال ابن السوداء قد قال قولاً.

---

(١) أي أصلح أمرك أولاً.

(٢) أي على رأي واحد.

وقال شريح بن أوفى: ابرموا أموركم قبل أن تخرجوا ولا تؤخروا أمراً ينبغي لكم تعجيله ولا تعجلوا أمراً ينبغي لكم تأخيره فأنا عند الناس بِشرّ المنازل فلا أدري ما الناس صانعون غداً إذا ما هم التقوا.

وتكلم ابن السوداء فقال: ان عزكم في خلطة الناس فصانعوهم وإذا التقى الناس غداً فانشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر فإذا من انتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع. ويشغل الله علياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون.

إنـــدلاع المعركـــة

وبعث علي من العشي عبد الله بن عباس إلى طلحة والزبير كما قد بُعث من قبلهما محمد بن طلحة إلى علي بأن يكلم كل واحد منهما أصحابه فقالوا نعم فلما أمسوا وذلك في جمادي الآخرة أرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه ما خلا أولئك الذي هضّوا[1] عثمان فباتوا على الصلح وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة قد أشرفوا على الهلكة وجعلوا يتشاورون ليلتهم حتى اجتمعوا على انشاب الحرب في السر فغدوا مع الغلس وما يشعر بهم جيرانهم انسلوا إلى ذلك الأمر انسلالاً وعليهم ظلمة فخرج مضريهم إلى مضريهم وربيعهم إلى ربيعهم ويمانيهم إلى يمانيهم فوضعوا فيهم السلاح فثار أهل البصرة وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين بهتوهم.

وخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس من مضر وقالا ما هذا؟ قالوا طرقنا أهل الكوفة ليلاً فقالا: قد علمنا أن علياً غير منتهٍ حتى يسفك الدماء ويستحل الحرمة وانه لن يطاوعنا ثم رجعا بأهل البصرة حتى ردوهم إلى عسكرهم.

---

(١) هضه كسره ودق عنقه (القاموس المحيط).

وسمع علي وأهل الكوفة وقد وضعوا رجلاً قريباً من علي ليخبره بما يريدون فلما قال ما هذا؟ قال ذلك الرجل:

ما فوجئنا إلا قوم منهم بيّتونا فرددناهم من حيث جاءوا، فوجدنا القوم على رجل فركبونا وثار الناس. فقال علي:

قد علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء ويستحلا الحرمة.

والسبيئية لا تفتر انشاباً ونادى علي في الناس: أيها الناس كفوا فلا شيء . . .

وأقبل أحد رجال الاصلاح وهو كعب بن سور حتى أتى عائشة رضي الله عنها فقال: أدركي فقد أبى القوم إلا القتال لعل الله يصلح بك فركبت والبسوا هودجها الادراع ثم بعثوا جملها وكان يدعى «عسكراً» حملها عليه يعلىٰ بن أمية اشتراه بمائتي ديناراً فلما برزت من بين البيوت وكانت بحيث تسمع الغوغاء وقفت فلم تلبث أن سمعت غوغاء شديدة فقالت: ما هذا؟ قالوا: ضجة العسكر. قالت: بخير أم بشر؟ قالوا: بشر قالت فأي الفريقين كانت منهم الضجة فهم المنهزمون. وهي واقفة فوالله ما فجأها إلا الهزيمة.

الزبير يستعرض جيشه ويلتقي بالامام علي:

وكان الزبير قد بدأ على رأس جيشه تخطر فرسه به أمام الصفوف وهو دارع في الزرد[1] والحديد متقلداً سلاحه له من ماضيه العريق ما يخلع عليه هذه المكانة فنظر إليه علي فقال: اما انه احرىٰ الرجلين ان ذكّر بالله ان يذكر وتقدم علي على فرسه اعزل حتى دنا من الزبير وطلحة وظن القوم أنه انما جاء ليبارز ولكنه كان اعزل فقال: لعمري لقد أعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً فهل أعددتما عذراً عند الله؟.

(١) عبد الفتاح مقصود ـ المجموعة الكاملة « علي بن أبي طالب».

اتقيا الله ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً. ثم التفت إلى الزبير ودعاه إليه وانحاز به ناحية بعيدة يناجيه:

ما حملك يا أبا عبد الله على ما صنعت؟
- أنت
- أنا! «وكان علي يعرف للزبير صراحته ويكبرها فيه»
- نعم أنت

فلاح الأسف على وجه علي فقال:
- كنا نعدك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ففرق بيننا وبينك. «واهتاج الجو ادكاراً بالماضي وإلى بواكير الشباب ووشائج القربى وما ربط الاسلام بين القلبين الكبيرين وطافت بالزبير الذكر والمواقف التي كان فيها علي والزبير رد يقين في الدفاع عن بيضة الاسلام وشخص النبي ﷺ!!

ومن يكون علي للزبير؟ فهو بان خاله. ومن الزبير لعلي؟ هو ابن عمته. وكم للذكريات الحانية من يد تمسح على صدع القلوب فتلينها وتعيدها إلى الايمان والنقاء.

أما الآن فان أحداثاً طارئة تقف لتقول، وما هي إلا الظلال لا تلبث أن تزول بزوال الطارىء فان الزبير يقول:

- وأطلب بدم عثمان.
فقال علي بأباء:
- دم عثمان!
بل أنت وطلحة وليتماه وإنما توبتك منه أن تقيد نفسك وتسلمها لورثة الشيخ. واسرع علي يتم حديثه لين اللفظ بادي الرقة هذه المرة.

- نشدتك يا أبا عبد الله! تذكر يوم مررت بي ورسول الله متكىء على يدك وهو جاءٍ من بني غنم فسلم عليَّ وضحك وضحكتُ إليه لم أزده، فقلت أنت: لا يدع ابن أبي

طالب زهوه. فقال لك: لا يا زبير انه ليس بذي زهو، ولتقاتله وأنت له ظالم. فأغضى الزبير حتى لا وشك جبينه أن يمس صدره. فقال: «اللهم نعم».

ـ فماذ تقول؟

ـ لقد كان ذلك ولكن الدهر انسانيه. ووالله لأصرفن عنك، وغادر وجاء إلى أم المؤمنين فقال وهو صافي النفس قرير الضمير: يا أم المؤمنين: إني والله ما وقفت موقفاً قط الا عرفت أين أضع قدمي إلا هذا الموقف فإني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر: وحدثها حديثه ثم مضى منصرفاً.

وفيما هو يستدبر الميدان عرض له عمار بن ياسر برمحه فهتف به الزبير أتقتلني يا أبا اليقظان! وسرعان ما انتفض عمار للنبرة الغريبة من الزبير ومرآه الأسيف. ولم يكن عمار بلغه ذلك التحول فقال: لا يا أبا عبد الله.

وكان هذا آخر عهد للزبير وميادين القتال ومضى من سننه في وجهه فسلك وادي السباع.

وجاء طلحة سهم غرب يشك ركبته بصفحة الفرس فلما امتلأت خفه دماً وثقل قال لغلامه اردفني وامسكني وابقني مكاناً أنزل فيه فدخل البصرة وهو يتمثل مثله ومثل الزبير:

فان تكن الحوادث أقصدتني ... وأخطأهن سهمي حين أرمي
فقد ضيعت حين تبعت سهماً ... سفاها ما سفهت وضل حلمي
ندمت ندامة الكسعي لما ... شريت رضا بني سهم برغمي
أطعتهم بفرقة آل لأي ... فألقوا للسباع دمي ولحمي

ومر القعقاع في نفر بطلحة وهو يقول: إليَّ عباد الله الصبر. قال له يا أبا محمد انك لجريح وانك عما تريد لعليل. فادخل الأبيات.

فقال يا غلام أدخلني وأبقني مكاناً فادخل البصرة ومعه غلامان ورجلان فاقتتل الناس بعده فأقبل الناس في هزيمتهم تلك وهم يريدون البصرة فلما رأوا الجمل أطاقت به مضر عادوا قلباً كما كانوا حيث إلتقوا وعادوا إلى أمر جديد. ووقفت ربيعة البصرة فمنهم ميمنة ومنهم ميسرة. وقالت عائشة خل يا كعب عن البعير وتقدم بكتاب الله عز وجل فادعهم إليه ودفعت إليه مصحفاً وأقبل القوم وأمامهم السبئية يخافون أن يجرى الصلح فاستقبلهم كعب بالمصحف وعلي من خلفهم يرغمهم[1] ويأبون إلا إقداماً.

كان القتال في صدر النهار في الزابوقة فانهزم الناس وعائشة تتوقع الصلح فلم يفجأها إلا القتال وهنا يأخذ كعب بن سور المصحف بو فاق من عائشة وعلي يناشدهم الله عز وجل في دمائهم فرشقوه رشقاً واحداً فقتلوه لا يعلم من أي جهة تتوجه السهام قتلوه رضي الله عنه وكان أول مقتول بين يدي عائشة وأمير المؤمنين فقالت أم ترثيه:

لاهم ان مسلماً أتاهم ... مستسلماً للموت إذ دعاهم
إلى كتاب الله لا يخشاهم ... فرمّلوه من دم اذ جاهم
وأمهم قائمة تراهم ... يأتمرون بالتي تنهاهم

وكان مسلم هذا الثاني بعد كعب تقتله الفئتان وفيه دليل على أن زمام الأمر قد انفلت من يد القادة وأصبحت رحىٰ الحرب تدور دون أن يكون لعلي ولا لعائشة رأي إذ كيف يرتضى الصلح علي وعائشة ثم لا يحصل الذي يريدان على أن الحرب قد استحرت وكانت تدور حول الجمل وبهذه الحالة عندما تفشي المعاني الانسانية كما يريدها علي وتريدها عائشة في حقن دماء المسلمين فكان لابد أن تنتهي ولو على خضم الدماء وكثير التضحيات ولهذا نرى أن الامام علي يفزع أخيراً فيحث المقاتلين ويحدوهم إلى أن يقطعوا دابر القتال بعقر الجمل بحساب أن الحرب قائمة ما دام الجمل قائماً وكذلك كان الأمر من أم المؤمنين فإنها لا ترى أن تستسلم ولو أرادت ذلك لغلبها عليه هؤلاء المنكوبون ـ في اخوانهم وبني قومهم من مضر وربيعة وعدي وضبة ويمن ولكن الله غالب فقد عقر الجمل ووقع وهو يجرجر وقطع بطان الهودج وهدأت القدر التي تغلي ثم حملت أم المؤمنين رضي الله عنها والذي تقدم إلى حملها أخوها محمد بن أبي بكر

---

(١) الفتنة ووقعة الجمل ص ١٥٨.

ورجال أعفة منهم عمار بين ياسر انتدبهم علي لحمل هودج أم المؤمنين حملوها إلى البصرة في دار عبد الله بن خلف الخزاعي على صفية بنت الحارث بن طلحة ابن أبي طلحة بن عبد العزى وهي أم طلحة الطلحات. ومن طريف ما يذكر في هذه اللحظات أن محمداً بن أبي بكر أخا أم المؤمنين أدخل يده في الهودج فقالت: من هذا؟ قال: أخوك البر. قالت: العقوق. قال عمار بن ياسر: كيف رأيت ضرب بنيك اليوم يا أمه. قالت: من أنت. قال أنا ابن كنبار عمار. قالت: لست لك بأم. قال: بلى وان كرهت. قالت: فخرتم إذ ظفرتم وأتيتم مثلما نقمتم .. هيهات والله لن يظفر من كان هذا دأبه ـ وأبرزوها بهودجها من القتلى وكأن هودجها القنفذ مما فيه من النبل. وجاء أعين من ضبيعة المجاشعي حتى أطلع في الهودج فقالت: إليك لعنك الله. فقال: ما أرى إلا حُميراء. قالت: هتك الله سترك وقطع يدك وأبدىٰ عورتك. فقتل بالبصرة وسلب وقطعت يده ورمي به عرياناً في خربة من خربات الأزد[1]. فانتهى إليها علي كرم الله وجهه فقال: كيف أنت يا أمه؟ قالت بخير قال: يغفر الله لك. قالت: ولك.

إستشهاد الزبير وموقف الأحنف:

ولما انسحب الزبير رضي الله عنه عن ميدان القتال بعد المقابلة التي حصلت بينه وبين علي كرم الله وجهه يمم وجهه إلى وادي السباع في طريقه إلى مكة مر بعسكر الأحنف فلما رآه وأخبر به قال والله ما هذا بخيار[2] وقال للناس: من يأتيني بخبره فقال: عمرو بن جرموز لأصحابه: أنا. فاتبعه فلما لحقه، نظر إليه الزبير ـ شديد الغضب ـ قال: ما وراءك؟ قال: انما أردت أن أسألك. فقال غلام الزبير ويدعى عطية كان معه: انه مُعدٍ فقال: ما يهولك من رجل؟ وحضرت الصلاة. فقال: ابن جرموز: الصلاة. فقال: الزبير الصلاة فنزلا، واستدبره ابن جرموز فطعنه من خلفه في جُربَّان درعه[3] فقتله وأخذ فرسه وخاتمة وسلاحه وخلى عن الغلام فدفنه بوادي السباع ورجع إلى الناس بالخبر. فقال الأحنف: والله ما أدري أحسنت أم أسأت! ثم انحدر إلى علي وابن جرموز معه، فدخل عليه فأخبره فدعا بالسيف فقال: طالما جلىٰ الكرب عن وجه رسول الله ﷺ وبعث بذلك إلى عائشة ثم أقبل على الأحنف فقال: تربصت؟ فقال: ماكنت

---

(١) الفتنة ووقعة الجمل: سيف بن عمر الضبي الأسدي ص ١٧٣.

(٢) أي باختيار منه.

(٣) الجُرُبان: الجيب.

أراني إلا قد أحسنت وبأمرك قد كان ما كان يا أمير المؤمنين فارفق فان طريقك الذي سلكت بعيد وأنت إليَّ غداً أحوج منك أمس فاعرف احساني واستضف مودتي لغد، ولا تقولن مثل هذا فإني لم أزل لك ناصحاً.

وجاء في (الأجوبة العراقية على الاسئلة اللاهورية)[1] نقله المرحوم محمد رؤوف طه الحسيني[2] الشيخلي قال:

(وأما طلحة والزبير رضي الله عنهما فلم يموتا إلا على بيعة علي). أما طلحة فقد روى الحاكم بن ثور بن مخزأة أنه قال: «مررت بطلحة يوم الجمل في آخر رمق فقال لي: من أنت؟ قلت: من أصحاب أمير المؤمنين علي. فقال: أبسط يدك أبايعك فبسطت يدي فبايعني وقال هذه بيعة علي وفاضت نفسه فأتيت علياً فأخبرته فقال: الله أكبر صدق الله تعالى ورسوله ﷺ: أبى الله سبحانه لا يدخل طلحة الجنة إلا وبيعتي في عنقه.

وأما الزبير فقد روى الموافق والمخالف: أن ابن جرموز جاء علياً بسيف الزبير يأمل أن ينزل من أمير المؤمنين بحظوة. واستأذن فلم يأذن له. فقال: انا قاتل الزبير قال: أبقتل ابن صفية تفتخر! سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بشر قاتل ابن صفية بالنار».

دفن القتلى وتوجع علي:

وأقام علي بن أبي طالب في عسكره ثلاثة أيام لا يدخل البصرة وندب الناس إلى موتاهم فخرجوا إليهم فدفنوهم وصلى عليهم كرم الله وجهه ودفن (الأطراف) في قبر عظيم وجمع ما كان في الميدان من شيء ثم بعث به إلى مسجد البصرة. ثم قال:

ان من عرف شيئاً فيأخذه إلا سلاحاً كان في الخزائن عليه سمة السلطان ولا يحل لمسلم من مال المسلم المتوفي شيء.

---

(١) لأبي الثناء شهاب الدين محمود الحسيني الآلوسي المتوفي ١٢٥٤هـ.

(٢) مخطوطة ـ مكتبة قاسم السيد محمد رؤوف الحسيني صاحب كتاب (ما شاهدت وصورت).

عدد قتلى الجمل:

كان قتلى الجمل عشرة آلاف نصفهم من أصحاب علي ونصفهم من أصحاب عائشة رضي الله عنهما من الأزد ألفان ومن سائر اليمن خمسمائة ومن مضر ألفان وخمسمائة من قيس وخمسمائة من تميم وألف من بني ضبة وخمسمائة من بكر ابن وائل. وقيل قتل من أهل البصرة في المعركة الأولى خمسة آلاف وقتل في المعركة الثانية خسمة آلاف فذلك عشرة آلاف قتيل.

ومن أهل الكوفة خمسة آلاف. وقتل من أهل عدي يومئذٍ سبعون شيخاً كلهم قد قرأ القرآن سوى الشباب ممن لم يقرأ القرآن.

مقابلة علي لعائشة ومعاقبته من أساء إليها[1]:

ودخل علي البصرة يوم الاثنين فانتهى إلى المسجد فصلى فيه فأتاه الناس ثم راح إلى عائشة على بغلته فلما انتها إلى دار عبد الله بن خلف وهي أعظم دار في البصرة وجد النساء يبكين على عبد الله وعثمان ابن خلف مع عائشة وصفية بنت الحارث متخمرة تبكي فلما رأته قالت: يا علي يا قاتل الأحبة يا مفرق الجمع أيتم الله بنيك منك كما أيتمت ولد عبد الله منه. فلم يرد عليها شيئاً ولم يزل علي حاله حتى دخل على عائشة فسلم عليها وقعد عندها وقال لها: جبهتنا صفية. أما اني لم أرها مذ كانت جارية حتى اليوم. فلما خرج علي أقبلت عليه فأعادت عليه الكلام فكف بغلته وقال: «اما لهممت وأشار إلى الأبواب من الدار - ان افتح هذا الباب واقتل من فيه ثم هذا واقتل من فيه ثم هذا واقتل من فيه - وكان أناس من الجرحى قد لجأوا إلى عائشة فأخبر علي بمكانهم عندها، فتغافل عنهم - فسكتت.

فخرج علي، فقال رجل من الأزد والله لا تفلتن هذه المرأة. فغضب فقال: صه! لا تهتكن ستراً ولا تدخلّن داراً ولا تهيجن امــرأة بأذى وان شتمن أعـراضكم وسفهن أمراءكم وصلحاءكم فانهن ضعاف، ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وانهن لمشركات، وان الرجل ليكافىء المرأة ويتناولها بالضرب فيعير بها عقبه من بعده، فلا يبلغني عن أحد

(١) الفتنة ووقعة الجمل ١٧٩.

عرض لأمرأة فأنكل به شِرار الناس. ومضى علي فلحق به رجل فقال: يا أمير المؤمنين قام رجلان ممن لقيت على الباب فتناولا من هو أمض لك شتيمة من صفية قال: ويحك. لعلها عائشة؟ قال: نعم، قام رجلان منهم على باب الدار فقال أحدهما:

«جزيت عنا أمَّنا عقوقاً»

وقال الآخر:

«يا أمَّنا توبي فقد خطيت»

فبعث القعقاع بن عمرو إلى الباب، فأقبل بمن كان عليه، فأحالوا على رجلين فقال: اضرب أعناقهما، ثم قال: لانهكنَّهما عقوبة. فضربهما مائة وأخرجهما من ثيابهما.

وهما رجلان من أزد الكوفة يقال لهما عجل وسعد ابنا عبد الله. بيعة أهل البصرة لعلي وقسمة بيت المال:

ولما فرغ علي من بيعة أهل البصرة نظر في بيت المال فإذا فيه ستمائة ألف وزيادة فقسمها على من شهد معه الوقعة فأصاب كل رجل منهم خمسمائة وقال: لكم أن اظفركم الله عز وجل بالشام مثلها إلى اعطياتكم وخاض في ذلك السبئية وطعنوا على علي من وراء وراء[1].

سيرة علي فيمن قاتل يوم الجمل[2]:

كان من سيرة علي كرم الله وجهه ان لا تقتل مدبراً ولا يذفف (يجهز) على جريح ولا يكشف ستراً ولا يأخذ مالاً، فقال قوم يومئذٍ: ما يحل لنا دماءهم ويحرم علينا أموالهم؟! فقال علي: القوم أمثالكم، من صفح عنا فهو منا ونحن منه ومن لج حتى يصاب فقتاله متى على الصدر والنحر، وان لكم في خمسه لغنى فيومئذٍ تكلمت الخوارج.

---

(١) الفتنة ووقعة الجمل/ ١٨٠.

(٢) المصدر نفسه.

تجهيز علي عائشة وإرسالها إلى مكة[1]:

وجهز علي عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب أو زاد أو متاع وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وقال: تجهز يا محمد (يعني أخاها محمد بن أبي بكر الصديق)، فبلغها فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه، جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس فخرجت على الناس وودعوها وودعتهم وقالت: يا بَنيّ: تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة فلا يعتدي أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، انه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة واحمائها، وانه عندي على معتبتي من الأخيار.

وقال علي: يا أيها الناس، صدقت والله وبرَّت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وانها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة.

وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ٣٦هـ وشيعها علي اميالاً وسرح بنيه معها يوماً[2].

(١) الفتنة ووقعة الجمل ص ١٨٣.
(٢) المصدر نفسه ص ١٣٨.

تحقيق في موضع معركة الجمل

يتوجه اهتمامنا في تحديد موقع المعركة كون أحداثها تقع في مدينة الزبير التي نؤرخ لها لذ يجدر ان ندل على خط سير المعركة استناداً إلى ما لدينا من الأدلة التاريخية.

في الزبير اليوم موضع يعرف (بديم خزام) قبلي البلدة وأحد جهاتها يشير إليه الغالبية بأنه الموقع التاريخي (لمعركة الجمل) باعتبار (خزام) هو جمل عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها و(ديم) تصغير للدم المهراق على ثرى هذا الموضع وعليه أطلقت التسمية.

ان هذه الحكاية وان كانت لا تخلو من حسن الوضع فإنها لا تتفق ومنطق الأحداث التاريخية لعدة أسباب:

١ - ان جمل عائشة يدعى (عسكراً) وليس (خزاماً) كما أشارت إلى ذلك أمهات كتب التاريخ المعروفة كالطبري وابن الأثير والمسعودي وكما ورد ذكره في نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

٢ - المعركة لم تتخذ مكاناً محدداً بهذه البقعة الصغيرة وإنما احتلت فسحة واسعة شملت جهات في ظاهر البصرة من غرب وشمال.

٣ - لم يكن للحكاية سند من تاريخ لا في الكتب العربية ولا في كتابات الأجانب.

أما موضع (ديم خزام) هذا فتحقيقه كما جاء على لسان الثقات المعمرين من أهل الزبير ممن عاصروا وقائع (ديم خزام) حيث يقولون:

ان (خزام) هذا هو أحد المزارعين الذين كانوا يهتمون بزراعة الحنطة أيام موسمها في الشتاء في الزبير فزرع حنطته (ديماً) بينما زرع أصحابه (سيحاً)[1] وكان بهذا موضع

(١) تدخل زراعة الحنطة ضمن المزرعة (في الركية) وحديث الزراعة نتناوله في إحدى فصول هذا الكتاب.

تندرهم إذ ظنوا أنه سيخسر حنطته ويذهب برأس ماله لقلة الأمطار غير أن (خزام) قد اختار أرضه التي زرعها في هذه البقعة المنخفضة فكان حظها من موسم الأمطار وافراً فأصابت نجاحاً وأعطت نتاجاً مما أسقط في يد الآخرين أصحاب السيح وراح الناس يذكرون ذلك في مجالسهم ويقولون (ديم خزام) غلب (سيح الجماعة) وسرت العبارة مسرى الأمثال واكتسبت الموضع شهرته بهذا.

أما موقع (المعركة) فانها ذات شقين فالمعركة الأولى تلك التي دارت في المربد بين عبد الله بن الزبير قائد قلب جيش عائشة أم المؤمنين ضد جيش عثمان بن حنيف والي البصرة لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ذكر ذلك الطبري برواية سيف بن عمر الضبي في كتابه «الفتنة ووقعة الجمل» يقول : «انه بعد أن تلاقى أتباع عائشة مع مؤيدي علي في المربد كانت الجيوش من الكثافة بحيث لو رميت بحجر ما وقع إلا على رأس انسان»[1] وفي هذه الساحة تواقف الجيشان وجرت المفاوضات في مساعي دعاة الصلح. وفي فترة من هذه المفاوضات تحاث الفريقان بالحصباء.

ورأت السيدة عائشة أن تتفادى توسع الفتنة فانحازت إلى مقبرة بني مازن وأخذ جيش الزبير نحو مسناة البصرة حتى انتهى إلى الزابوقة جنوب دار الرزق.

بينما اتجه عثمان بن حنيف إلى فم السكة التي تربط المربد بمسجد البصرة عن يمين الدباغين وكانت خطة الطرفين ترمي إلى انتظار عودة الرسل التي اتفق عليها قادة الطرفين إلى المدينة المنورة وحسبما مر بنا أن رؤوس الفتنة أشعلت أول فتيل لها فما ان عادت الرسل وظنوا أن ذلك سبيل الاصلاح نفذوا مؤامرتهم فاشتعلت الحرب في الزابوقة وكانت شديدة تمزق فيها جيش ابن حنيف وذلك لخمس بقين من ربيع الآخر سنة (٣٦) للهجرة.

والزابوقة في (الفصل الأول) في بحث المواقع التاريخية إنها (موضع الشعيبة) في حين أن ابن حنيف أمسك بفم سكة المربد التي تفضى إلى (الحزم) أمام (مكتبة الزبير الأهلية) أو قبالة (المجلس البلدي) اليوم.

---

(١) المسعودي في مروج الذهب.

وفي مدى خمسين ليلة وعندما وصل جيش الامام علي البصرة قادماً من ذي قار ونفذ من (الزاوية) وحل حيال جيش طلحة والزبير جرت المفاوضات كما سلف ثم أنشب رؤوس الفتنة الحرب وذلك يوم الخميس لعشر خلون من جمادي الآخرة وكانت هذه الوقعة الثانية التي نهايتها تكون (وقعة الجمل) قد اختتمت كما مر بنا حديثها وذلك سنة ست وثلاثين هجرية[1] .

وكانت الحرب في آخر اليوم في (الخريبة) والخريبة جنوب الزابوقة ويستدل (ياقوت) بيت من الشعر يورده في معجمه :

انـي أديـن بمـا دان الـوصـي بـه   يـوم الخـريبـة مـن قتـل المـحـلينـا

والخـريبـة حسب تحقيقنـا في أول الكتـاب انها المـوضـع المسماة عند أهل الزبير (بالسليمانية) وحتى تنتهي (بالبسامية) شمال ناحية الرشيدية وحيال محلة العرب اليوم .

كلمـة في ختـام المعركة :

من سرد الحوادث في معركة الجمل اتضح لكل ذي عينين أنها وقعت بتقدير من المـولى القـاهر فوق عباده، بالرغم مما بذل من جهود . لقد كانت المحاولات تبذل ومساعي رسل السلام لا يفتأون غادين ورائحين بين الطرفين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من جهة وطلحة والزبير وأم المؤمنين رضي الله عنهم ولكن إذا حل القدر عمى البصر كما يقال .

ومن فضول القول أن تعرض لبعض أوجه الصلح والمحاولات لاحلاله بين الطرفين المسلمين للعبرة ولا عذر للعاملين فيه .

هذا مالك بن حبيب يقابل الامام علياً ليقول : ما أنت صانع إذا لقيت هؤلاء القوم؟
- قد بان لنا ولهم - وهو الاصلاح .
- فإن أبوا وأبينا إلا القتال؟

---

(١) روى لنا أحد الثقاة أنه عثر في الشعيبة أثناء بعض الحفريات على رمم من العظام المكدسة مما اضطرهم أن يوقفوا الحفر في هذه الجهة - ولعل في هذا ما يرجح فيما ذهبنا إليه من تحديد موقع المعركة .

فيقول الامام :
ـ فذاك صدع لا يلتئم . فيقول مالك :
ـ فإن ابتلينا فما بال قتالنا؟ فيختم علي كرم الله وجهه الحوار:
ـ من أراد الله عز وجل نَفْعَه نَفَعَه ذلك .

وفي هذا دليل على أن الفريقين وقعا في دائرة القدر المقدور الذي يحار فيه الحليم . في حين أنهم كلهم يأمل أن يربط بينهم الاصلاح وصالح القصد .

ولماذا ننسى رؤوس الفتنة الذين كانوا يفسدون بنود ذلك الاصلاح في السر من أمثال ابن السوداء وزمرتهم ! ولماذا نلقى اللوم على الامام كرم الله وجهه أو على أم المؤمنين أو على الصحابيين الجليلين رضي الله عنهم أجمعين؟ وكلهم حِراص على حقن دماء المسلمين .

وفي لفتة أخرى يتقدم بها كعب بن سور لطلحة والزبير ليقول في هذه المعضلة :
ـ فما حالنا وحالكم ان ابتلينا غداً؟
ـ إنا لنرجو ان لا يقتل أحد نقّى الله قلبه منا ومنهم الا أدخله الجنة .

وهذا ما عنيناه من كون أن القدر يحيق بهم ، وكلما حاولوا الخروج من قبضته تذهب المحاولات . .

وفي العقد الفريد عبارة تصلح أن نختم بها حديث الدفع حين تتأزم الأمور وتصلَ إلى نقطة حدية . فلقد أوقف جماعة الامام علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه وهم يتهمونه في دم عثمان (رض) ويتحدونه فلم يأبه كثيراً بل وقف وقال وهو مطمئن على منبره[1] .

---

(١) العقد الفريد ج ٤ : ٣٠٢.

والله لئن لم يدخل الجنة إلا من قتل عثمان لا دخلتها أبداً. ولئن لم يدخل النار إلا من قتل عثمان لا دخلتها أبداً.

وأشرف علي من قصر له بالكوفة فنظر إلى سفينة في دجلة[1] فقال: والذي أرسلها في بحره مسخرة بأمره ما بدأت في أمر عثمان بشيء ولئن شاءت بنو أمية لا بأهلنهم[2] عند الكعبة خمسين يميناً ما بدأت في حق عثمان بشيء.

فبلغ هذا الحديث عبد الملك بن مروان فقال: اني لأحسبه صادقاً. وجاءت مناظرة أخرى بهذا المعنى لا يسعنا إلا أن نوردها بهذا الصدد.

قال معبد الخزاعـي:
لقيت علياً بعد الجمل، فقلت له:

إني سائلك عن مسألة كانت منك ومن عثمان فإن نجوت اليوم نجوت غداً ان شاء الله قال: سل ما بدا لك.

قلت: أخبرني أي منزلة وسعتك إذ قتل عثمان ولم تنصره؟!

قال: ان عثمان كان إماماً وانه نهى عن القتل وقال: من سل سيفه فليس مني فلو قاتلنا دونه عصينا. قال:

فأي منزلة وسعت عثمان إذا استسلم حتى قتل؟ قال:
المنزلة التي وسعت ابن آدم اذ قال لأخيه: «لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك. إني أخاف الله رب العالمين».

---

(١) لعل المراد بدجلة هنا الفرات ولعله من قبيل الكشف.
(٢) المباهلة ان يجتمع القوم إذا اختلفوا ليقولوا: لعنة الله على الظالم منا.

قلت: فهل وسعتك هذه المنزلة يوم الجمل؟ قال:
انا قاتلنا يوم الجمل من ظلمنا. قال الله: «ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل. انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم. ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور». فقاتلنا نحن من ظلمنا وصبر عثمان وذلك من عزم الأمور[1].

وعلى أي حال فما كان حسن النية متوفرة فالله يتكفل المؤمنين برضوانه قاتلهم ومقتولهم.

ويحسن أن نتمثل بقول الامام مالك رضي الله عنه وقد سئل عن قتلى معركة الجمل فقال قولته الشهورة:

«تلك دماء برأ الله منها سيوفنا فلنطهر منها ألسنتنا»

وكذلك قول جمهور المسلمين: «شهداء معركة الجمل قاتلهم ومقتولهم في الجنة». وهذا أحكم قول يمكن السكوت عليه.

---

(١) المصدر السابق ج ٤ : ٣٠٣.

أم المؤمنين السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق

لم تشترك في معركة الجمل

كتب العلامة الشيخ صالح بن الحاج محمد سليم العباس أباً ونسباً السهروردي طريقه في (جريدة السجل) بتاريخ ٢٠ تشرين أول سنة ١٩٥٢ المصادف ٣٠ محرم الحرام سنة ١٣٧٢هـ ـ بغداد ـ هذا المقال التاريخي فأحدث ضجة في الأوساط العلمية والتاريخية ـ بطريق الاستفتاء . . علماء العصر هذا المقال:

ما قول علماء التاريخ . . الشيخ صالح السهروردي يقول : أن سيدتنا عائشة لم تشترك في حرب الجمل . . اشتراكها في هذه الحرب من وضع الوضاعين.

ان الله تعالى افترض على الناس تعظيم النبي ﷺ وافترض تعظيم أزواجه أهل بيته وتعظيم أبنائه وأحفاده وأسباطه. فتعظيم أزواج النبي ﷺ عن الشعائر وتعظيم الشعائر عن تقوى القلوب.

قال تعالى: « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم. ومن لم يحبهم أكثر من نفسه وماله وولده فلم يكن موالياً وليس من الله في شيء» وقد شرف الله تعالى أزواج النبي بقوله: «وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفاً خبيرا».

فأهل البيت[1] هم أزواج النبي ﷺ وان الله أذهب عنهم الرجس وطهرهن من كل نقص تطهيرا. ومن اعتقد خلاف ذلك كان مخالفاً لكتاب الله تعالى وشاذاً عن سنة

تعليق كتبه شيخ ناصر المعيلي أحد علماء الكويت المحققين.

(١) الآية الكريمة نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة وليس المراد أنهن المراد فقط دون غيرهن والآية تنص في دخولهن في أهل الجنة. وأهل البيت هم قرابة النبي ﷺ : آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس رضي الله تعالى عنهم. تفسير ابن كثير باختصار وتصرف.

الرسول. قال عليه الصلاة والسلام: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال . . حب نبيكم وحب أهل بيته وعلى قراءة القرآن»[1] .

فحب أزواج النبي فرض والطعن بهن أو بإحداهن كفر. وقد ورد في الصحيح ان بغض أزواج النبي ﷺ ممن لم يوال النبي وأزواجه ويحبهم وقرابته ورحمه واعتقاد ما ينقص بقدرهن ويحط بكرامتهن أو نسبته حرب الجمل لاحداهن هو من الكبائر التي لا تغتفر إلا بتجديد الايمان والمثاب إلى الرحمن[★] .

روى البيهقي في صحيحه: أن بنت أبي لهب عم النبي ﷺ قدمت المدينة مسلمة مهاجرة. بمواليها فقيل لها لا تغني عنك هجرتك أنت بنت حطب النار فذكر ذلك للنبي ﷺ فاشتد غضبه ثم علا منبره وقال ما بال أقوام يؤذنني في نسبي وذوي رحمي إلا من آذاني في نسبي وذوي رحمي فقد آذى الله ومن آذى الله فقد كفر.

فمن آذى نساء النبي بلسانه أو اعتقد السوء باحدى أزواجه آذى الله ورسوله ومن آذى الله ورسوله فقد كفر. الا فارقبوا رسول الله ﷺ في نسائه وارعوه واحترموه وأكرموه في أهله وأزواجه. فإن من البر حب أزواج الرسول وتعظيمهن فانهن أشرف الخلائق بعد رسول الله ﷺ . قال تعالى: «وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده إبداً ان ذلكم كان عند الله عظيماً» .

تزوج النبي ﷺ باحدى عشرة زوجة كلهن سيدات شريفات عظيمات في أنفسهن كبيرات في أقوامهن شديدات في دينهن أحببن الله ورسوله والمؤمنين وجاهدن بأموالهن وأنفسهن في سبيل الله وحضرن المشاهد والحروب (مع رسول الله)[2] وتلقت الأمة دينها منهن وأخذت العلوم عنهن أولهن خديجة الكبرى رضي الله عنها وأخرهن الصديقة عائشة التيمية .

---

(١) فان حملة القرآن في ظل الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه. رواه الشيرازي وغيره وهو ضعيف جداً للألباني. ضعيف الجامع الصغير رقم ٢٥١ .

(٢) من مؤلف (العيون) وأحسب أنها سقطت من محرر المقالة.

(★) كلام فيه شيء من المبالغة: فليس نسبة حرب الجمل لاحدى نساء النبي ﷺ من الكبائر التي لا تغتفر ولا تقتضي تجديد الايمان.

ان أزواج النبي ﷺ لم يكرهن مسلماً ولم يبغضن مؤمناً. كن يواسين المؤمنين جميعاً ويكرمن المسلمين عموماً. فلم يخرج منهن أحد على أحد ولم تحارب إحداهن أحداً.

ان قصة خروج أم المؤمنين عائشة على علي بن أبي طالب بطلب دم عثمان قصة مزورة وحكاية مكذوبة وهي من وضع أبي مهدي سعيد بن سنان ومحمد بن معاوية وبركة بن محمد الحلبي وحبيب بن حبيب الثويبة الذين وضعوا في شتى البلاد أحاديث مكذوبة على الرسول ودسوا في كتب الصحاح حتى اعتقد الناس صحتها من دون تحقيق وفاتت على البخاري والشراح[1].

قال الامام الحافظ السبكي في كتابه (معيد النعم): المؤرخون على شفا جرف هار لأنهم يصّلّطون على أعراض الناس وينقلون مجرد ما يبلغهم من كاذب أو صادق فلا عدالة عندهم ولا تحقيق.

قال السبكي: قلّ ان رأيت تاريخاً خالياً من الكذب والتعصب البهتان.

قال الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: ثلاثة كتب ليس له أصل: المغازي والملاحم والتفسير.

قال الخطيب البغدادي: لم تصح هذه الكتب لعدم عدالة ناقلها وزيادة القصّاص فيها.

وقال الامام الشافعي (تبعاً للامام مالك): انها لكذب وذكر الامام الحافظ أبو الحسن علي بن المديني:

---

(١) في قوله هذا نظر: ففي صحة ما جاء في صحيح البخاري ومسلم مما حكما بصحته اجماع الأمة الاسلامية ولم يبين صاحب المقال ما هي الأحاديث التي دست في صحيح البخاري وفات علي البخاري تحقيقها. ففي كلامه بعض التجاوز.

ان الواقدي روى ثلاثين ألف حديث لا أصل لها وهي من موضوعات القضاعي وابن ودعان وهذا سرقها من واضعها الأصلي (زيد بن رفاعة) الذي وضع رسائل اخوان الصفا وفرق بها جماعة المسلمين. وجميع الأحاديث التي وردت بثلب الصحابة والتجاوز على سيدة[1] نساء العالمين أم المؤمنين عائشة فهي كذب ومن مفتريات هؤلاء الشعوبية الذين كادوا للاسلام وحاولوا تمزيقه بثلب أهله والتجاوز على عرض نبيه كان هؤلاء وكثير غيرهم ممن اضطهدوا واضمروا تحطيمه يضعون الأحاديث على الرسول ويركبون له الاسانيد فيحدثون بها ويجوبون في نشرها البلاد ويدسون بها في كتب الأئمة الكبار والناس يومئذٍ في غفلة عنهم لما يرون عليهم من سمة العلم والتزهد الباطل.

ونبـه على هؤلاء الامـام الحافظ (ابن الجوزي) والامام الحافظ ملا علي القارىء والخطيب البغدادي وابن حجر العسقلاني والحافظ عبد الرحمن السيوطي وغيرهم كثير من أئمة الحديث ولكن بعض كتب الصحاح لا تزال تذكر قصة حرب الجمل وخروج عائشة لحرب علي وتذكر حديث الحوأب وهؤلاء الشعوبية كان حالهم في الكذب على رسـول الله ﷺ وسب الصحـابـة والطعن بعائشة وتأليفهم الكتب بذلك هو كحال المبشرين في عصرنـا أو المستشرقين في زماننا هؤلاء عن أولئك أخذوا وعلى كذبهم في الطعن بالاسلام ساروا فلا عائشة خرجت ولا علياً حاربت وحديث خذوا ثلثي دينكم من الحميراء وقوله يا حميراء لا تفعلي كذا وحديث انك تبغضين علياً وحديث تقاتلين علياً وأنت له ظالمة وحديث من منكن تنبحها كلاب الحوأب وغير ذلك كلها أحاديث باطلة لا صحة لها ولا يعضدها أي دليل وقد حكم بكذبها أئمة الحديث وطعن براءتها أهل الصحيح.

ان سيدتنا عائشة لم تتبرج تبرج الجاهلية الأولى كما لم تتبرج واحدة من أزواج النبي ﷺ لما كن عليه من عظيم الحياء وشدة الحشمة وكن كثيرات الحج والاعتمار. وإذا أردن الحـج خرج معهن من الموالي وكثير من الأصحاب في خدمتهن يمشون على بعد من ركابهن وهن في هوادجهن المجللة بالديباج. ولم يشاهد أحد زوجة من أزواج الرسول

---

(١) قال عليه الصلاة والسلام: «سيدات نساء أهل الجنة أربع: مريم وفاطمة وخديجة وآسيه» الحديث رواه الحاكم وهو صحيح عن عائشة.

ﷺ ولا جارية من جواريه وكن يخرجن مع محارمهن. ولما حججن بزمن عمر بن الخطاب أوكل بقطارهن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وجمعاً من محارمهن. كان يمشي عبد الرحمن في أول القطار ويمشي عثمان في آخره.

خرجت عائشة إلى الحج مع جماعة من أزواج النبي ﷺ وكانت الفتنة تتحرك في المدينة على قتل عثمان ولما قتل لم تتهم علياً ولا اتهمت طلحة والزبير وانما سار طلحة والزبير إلى الكوفة لطلب الاقتصاص من قتلة عثمان لانهم فروا واختبأوا في حمى علي لتتوسع شقة الخلاف وعلي لم يعلم بهم. وكان مع طلحة والزبير جمع كبير من عشائر طي وبني كلب وغطفان وبني أسد وبني تميم بنسائهم وكان نساء هذه القبائل يركبن في الهوادج ولم تكن عائشة معهم ولكن أفعال ابن الجارود استغلوا اسم عائشة بنت طلحة باسم أم المؤمنين للكيد وإيقاع الأذى برسول الله ﷺ وأهله واغاظة المؤمنين الفاتحين وغيرهم.

وحديث الحوأب المزور على عائشة هو كذب. ذلك أن قبائل غطفان اجتمعت إلى سلمى بنت مالك في الحوأب فنزلوا إليها وتذمروا وكانت سلمى هذه قد سبيت من قبل وان عائشة أعتقتها. وقال النبي ﷺ يوماً «وقد دخل عليها في نسوة بيت عائشة رضي الله عنها: ان احداكن تستنبح كلاب الحوأب». ولما أطلقت سلمى وسارت إلى أهلها اجتمعت إليها رجال غطفان وهوازن وسليم وطي وأسد لأنها بنت سيدهم فتأملوا لها فنقضوا البيعة وسار إليهم خالد بن الوليد فحاربهم وسلمى واقفة على جملها عسكر تشجع قومها على القتال فعقر جملها وقتلت وقتل حول هودجها مائة رجل من شجعان قومها وانهزم الباقون ثم عادوا للاسلام وأخذ خالد جميع الصدقات وبعث بها إلى الرسول ﷺ. وذكر هذه القصة العلامة (الحموي) في حرف الحاء من معجمه ولكن ابن الجارود وأمثاله من أعداء الاسلام جعلوا عتيقة عائشة (سلمى) عائشة واستعاروا حرب قومها لحرب علي بن أبي طالب ووشحوا القضية بالجمل عسكر وبدلوا سلمى بعائشة أم المؤمنين فلو نسب هؤلاء الزنادقة القصة إلى عائشة بنت طلحة لكان الأمر أقرب إلى المعقول لأن أهل طلحة كانوا معه في حرب الجمل وكانت كبرى بناته تدعى عائشة.

خروج عائشة لقتال علي كذب وافتراء وحديث الحوأب وكل حديث فيه كلمة (الحميراء) تزوير وبهتان من أعداء الاسلام فلا يصح منها شيء البتة ومن تكلم بها أثم. كما أن طلحة والزبير لم يخرجا لقتال علي رضي الله عنهم.

وخشية أن يسلم أهل الفتنة لانهم كانوا أكثر من ألف شخص هجموا على جيش طلحة والزبير على حين غفلة وصار الجيشان يتضاربان بدون أن يعلموا السبب حتى انجلت المعركة عن قتل طلحة والزبير وآلاف من أصحاب الرسول ولم يشعر بموقدها إلا أخيراً.

أيها الناس لا يكون المؤمن مؤمناً وفي قلبه شيء من بغض أصحاب رسول الله ﷺ. وان ما وقع بينهم لم يكن من تلقاء أنفسهم وانما كان بدسائس الغرباء ووضع أعداء الدين فعليكم بالاهتداء بهدي أصحاب رسول الله والعمل بكتاب الله والاخلاص في الحب إلى جميع أحباب الله وكونوا كما قال الله تعالى: «ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا انك غفور رحيم». الحديث: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم».



المسجد الجامع



المسجد الجامع

[الملحق الرابع]

المسجد الجامع ودار الامارة

يعتبر المسجد الجامع في البصرة مركزاً اشعاعياً له أثره الكبير في الثقافة العربية والاسلامية لمدى بضعة قرون. و(الجامع) هو أول بقعة في أرض العراق يخطط فيها للاسلام والمسلمين. فيه تحط رحالهم وتعد لنشر الاسلام في هذه الديار. وفيه عرفت البصرة وعرف بها كونه كعبة العلم في هذا البلد.

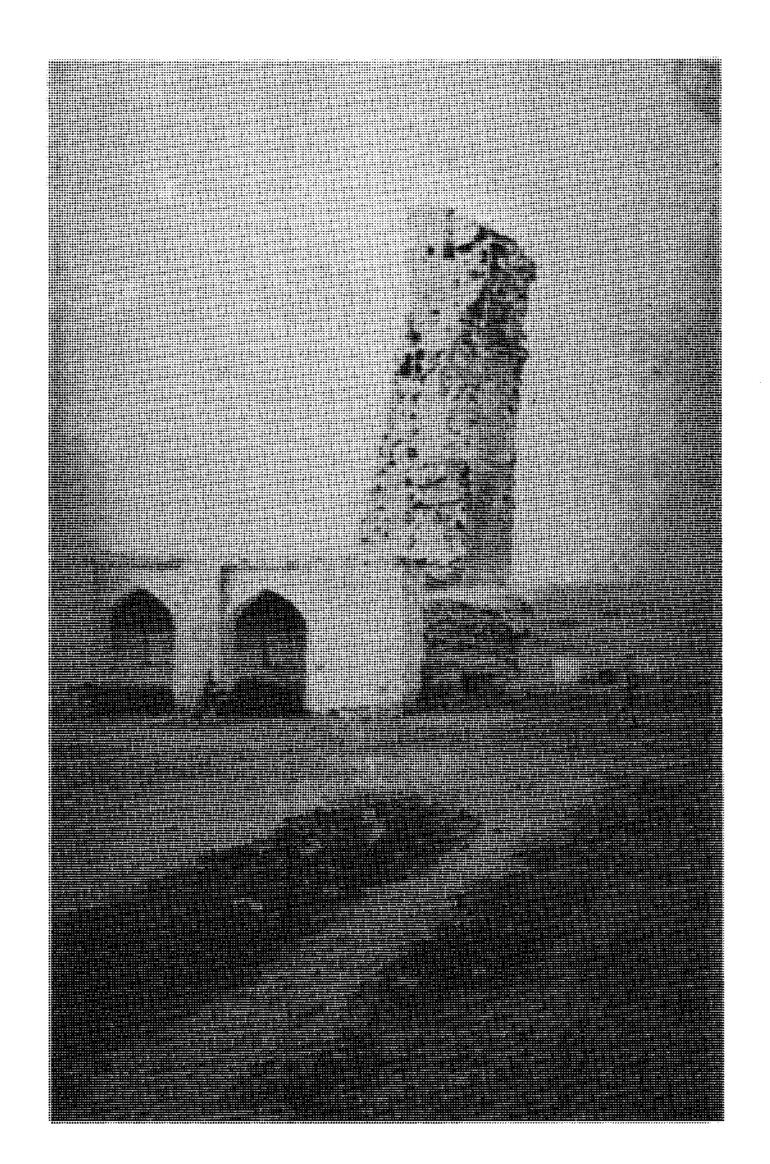
ومن جامع البصرة انطلقت الجيوش الاسلامية لفتح بلاد الشرق من بحر الهند جنوباً وأقصى الصين شرقاً.

جامع البصرة بمعناه الشامل مركز قيادة وقضاء وحكم وإدارة، فيه تعبأ الجيوش وتدرب على فنون القتال لتوجه إلى بلاد فارس وما وراءها يوم كان الجامع بمعناه الحقيقي. شهد هذا المسجد حضارة إسلامية، كان مركزاً لمدينة البصرة كلها. وكان جامعها الوحيد إلى عهد قدوم الامام علي كرم الله وجهه لا يعرف المسلمون سواه. فيه يتنادون إذا حز بهم الأمر أو ندوي للصلاة، فقائد الجيوش في البصرة هو قائد الجبهة الشرقية كلها وهو أمير القوم وإمامهم في الصلاة ويصدر التعليمات التي يتلقاها من خليفة المسلمين.

والجامع بحكم هذا المركز الحساس يعتبر القلب النابض في المدينة فمن احتل ساحته فكأنما احتل البصرة، وهو بهذه المثابة يعتبر المنبر الاعلامي في البصرة على أعلى المستويات.

بناء المسجد (الجامع):

بنى هذا المسجد بصورته الأولى من القصب وضربت حوله الخيام فكان إذا غزوا نزعوا القصب وحزموه حتى يرجعوا فيعيدوا بناءه. وكان ذلك عام ١٤هـ وفي ولاية أبي موسى الأشعري التهمت النيران المسجد وما حوله فاستأذن الخليفة عمر بن الخطاب



أثر لركن الجامع (جامع البصرة التاريخي) قبل الترميم

مجموعة د. بدر البسام

رضي الله عنه بناءه من اللبن فأذن له وكان ذلك في عام ١٧هـ. وكان الصحابي محجن بن الأذرع الأسلمي (رض) هو الـذي عين محراب المسجد ومسقط الظل والزاوية، وجعل المنبر في وسط الجامع فكان الأمير إذا تقدم للصلاة تخطى رقاب الناس ولما عين زياد بن أبية والياً على البصرة سنة ٤٥هـ من قبل معاوية ابن أبي سفيان أمر بهدم الجامع وبنـائـه مجدداً فاتخذت مدينة البصرة شكلاً جديداً وحل الآجر محل اللبن وبنى دار الامارة ملتصقة به وأراد زياد أن يضفي على إمارته مظاهر الأبهة ففتح في حائط المسجد باباً يتصل بباب الامارة من جهته القبلية لكي لا يتخطى الرقاب.

ومن طريف ما يذكر أن زياداً دعا جمعاً من الناس ورؤساء القبائل والعلماء لحفلة افتتاح المسجد ولعل هذه الصورة من الدعوة هي الأولى من نوعها في حياة المجتمع الاسلامي آنذاك. وكان زياد قد أحسن بناءه بالجص والآجر المنحوت وسقفه بالساج وبنى في داخله مقصورة للمقرئين والمؤذنين. وأحضر سواريه من المرمر الجميل من جبل في الأهواز وطاف الناس بالمسجد وهم مأخوذون بروعته وسعة بنائه[(١)]، وكان المسلمون إذا بنوا المسجد يبادرون بوضع علامة ثابتة في أعلى المسجد تدعى (بالشاخص) يسقط ظلها على أرض المسجد لتدل على مسقط الظل يتعرفون بها على دخول الوقت لصلاتي الظهر والعصر. وظلت هذه الطريقة عند المسلمين قروناً ولقد رأينا ذلك في مساجد الزبير لوقت قريب.

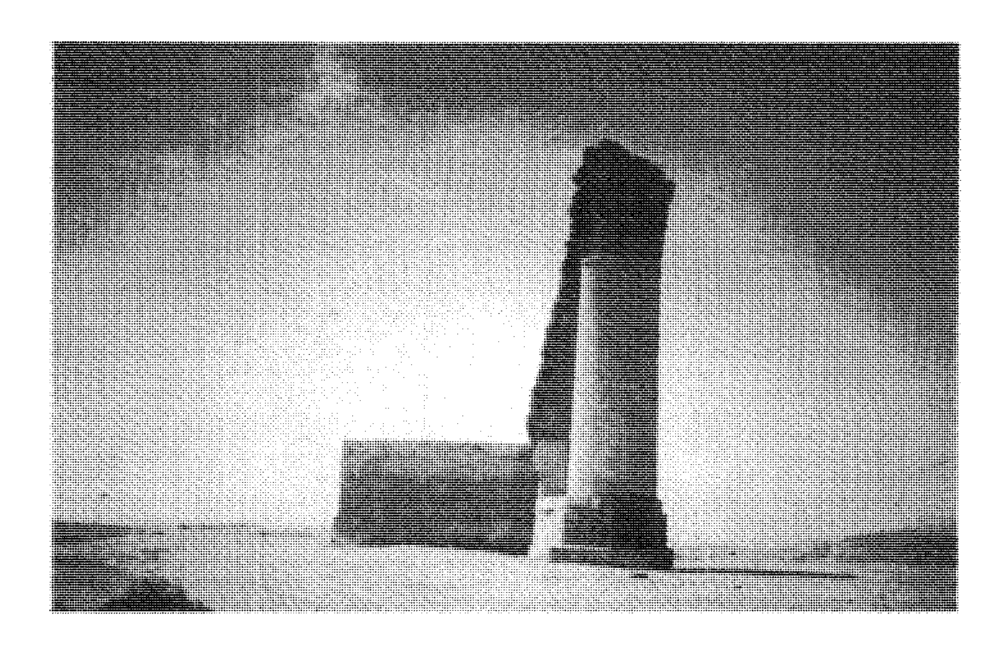
وفي (البيان والتبيين) يحدثنـا الجاحظ أن في بعض المساجد آلة تنصب في الشرفة العليا منه تتحرك بالهواء ويستدل بها على مصدر الرياح. وفي هذا تحدث ابن عائشة قال: «كنا نجلس مع سيبويه في مسجد البصرة الجامع وكان شاباً نظيفاً جميلاً تعلق من كل علم بسبب وضرب في كل أدب بسهم مع حداثة سنه وبراعته في النحو فبينما نحن ذات يوم اذهبت ريح فأطارت الورق فقال لبعض أهل المسجد انظر أي ريح»[(٢)].

---

(١) البلازري: فتوح البلدان ٣٤٢.

(٢) هذه القصة توضح اتجاه الريح من أي جهة كان الهبوب بعكس حديث البلازري عن الشاخص الذي يوضح انكسار الظل وبيان الوقت.

شهد هذا المسجد حياة تنبض بالعلم والأدب والشعر ومختلف فنون الفكر كانت سواريه على كثرتها تمتلىء بطلبة العلم وشيوخه متحلقين حول شيوخ العلم في القراءات والتفسير والحديث والمنطق والنحو اللغة والقصص والمطارحات والتاريخ. وقد حفظت لنا كتب الأدب فرائد من أخبار هذه الحلقات ضمتها خزائن المكتبات العربية والأجنبية، كانت في مقدمة ما يعتز به العرب من تراث.



. الركن الشمالي الغربي من الجامع التاريخي بعد الترميم



بقية آثار الجامع التاريخي

الحلقات العلمية في مسجد البصرة[1]

١ - حلقة أنس بن مالك الخزرجي خادم رسول الله ﷺ. يروي الحديث.

٢ - حلقة أبي الأسود الدؤلي المتوفي سنة ٦٩هـ. واضع أصول علم النحو بإشارة من الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

٣ - حلقة الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفي سنة (١٦٠)هـ صاحب كتاب (العين) في اللغة كأول معجم لغوي وواضع أصول العروض في الشعر. ولعل الخليل أول شهيد من شهداء العلم كما يعبر عنه في أيامنا هذه. ذكر أنه دخل المسجد في بعض أيامه وهو مشغول الذهن يفكر في بعض المعضلات الرياضية فصدمته سارية من سواريه فانكفأ على قفاه فكانت القاضية.

٤ - حلقة أبي العباس المبرد صاحب كتاب (الكامل في اللغة والأدب.

٥ - حلقة أبي عثمان المازني من رؤوس النحو واللغة في البصرة.

٦ - حلقة أبي عمرو بن العلاء وهو من أخذ عنه الخليل بن أحمد في رواية اللغة وغريبها كما أخذها شفاهاً من اعراب البادية في مربد البصرة.

٧ - حلقة الأصمعي المتوفي سنة ٢١٦هـ الذي اعتنى الأدب بما قدم من أدب الحضر والبادية وجالس الخلفاء وروى القصص والنوادر في كل لون من شئون حياة النفس البشرية عامة وهو من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية.

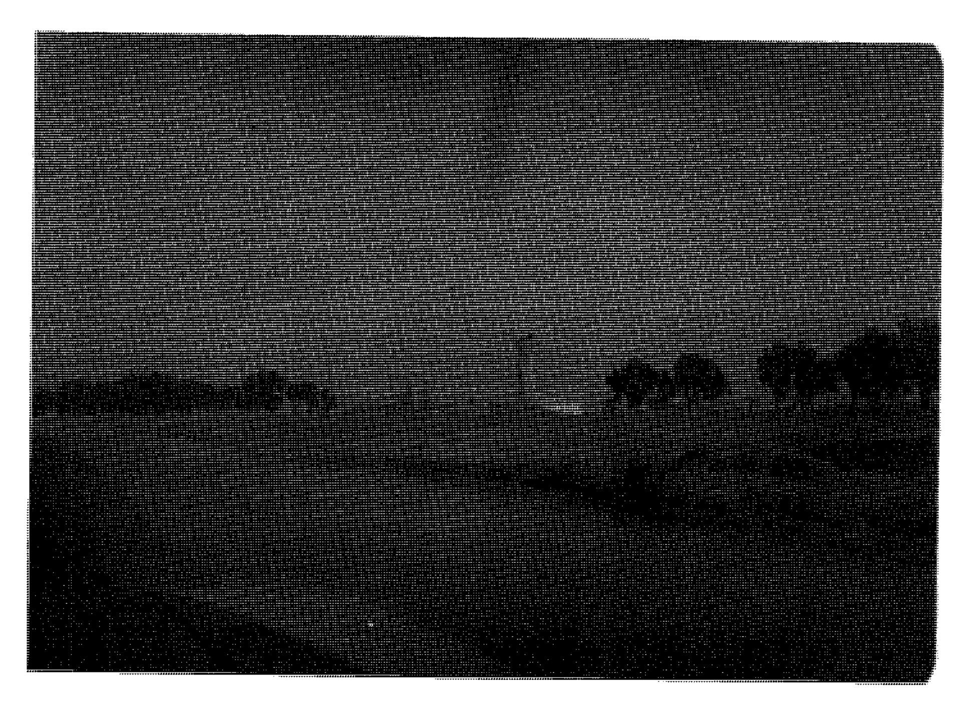
٨ - حلقة سيبويه الذي يعتبر أول من صنف في علم النحو والاعراب على طريقة التأليف المنهجي ومؤلفه الذي سماه (الكتاب) أساس هذا العلم وما يزال يرجع

---

(١) من خير ما رجعنا في هذه الحلقات كتاب المرحوم شيخ عبد القادر باش أعيان «مسجد البصرة الكبير» المخطوط وكذلك زبد التواريخ للشيخ عبد الواحد باش أعيان (المخطوط).

إليه. وهو أول من خط للنحو طريقة اختارها ونسبها إلى البصريين حتى شاعت وناقشه فيها الكسائي عالم الكوفة. ولقد ظلت الطريقتان في صيال (قال البصريون وقال الكوفيون) مدرستان في النحو تأصل فيها علم النحو والاشتقاق إلى أن تحول ركب العلم إلى بغداد والأندلس. فكانت مدرسة البغداديين ومدرسة الأندلسيين على أن المعول لدى الاختلاف هو للمدرستين البصرة والكوفة.

٩ - حلقة الأخفش المتوفي سنة ٢١١هـ وهو تلميذ سيبويه ولم يعلم أن سيبويه درّس النحو بنفسه وانما أوكل ذلك إلى تلميذه الأخفش. ومن الذين اختاروا (الكتاب) أساساً في النحو الخليل بن أحمد حتى كان فيه أماماً ولقد تخرج على يديه فيه أبو عمر وصالح بن اسحاق الجرمي وأبو عثمان المازني والجاحظ. ولكن مؤرخي النحو لا يذكرون الجاحظ بينهم ولعل سبب هذا الاغفال أن الجاحظ



في الطريق إلى الجامع التاريخي

لم يتخصص في هذه المادة مع أنه حضر دروس الأخفش في شرح (الكتاب) وكان يجل به سيبويه اجلالاً والدليل أنه ما أراد أن يهدي لصديقه هدية لائقة وقع اختياره على (الكتاب).

١٠ - حلقة الجاحظ المتوفي سنة ٢٥٥هـ فخر الأدب العربي في البصرة وصاحب المصنفات الكثيرة والذي غشي المجالس لكافة الطبقات في البصرة والكوفة وبغداد. كان موسوعة لعلوم عصره في الأدب وتاريخه وعلم الأحياء وعلم النفس وكان (البيان والتبيين) وما يزال مرجع الباحثين والدارسين قديماً وحديثاً وواحداً من آثار هذه الشخصية الفذة، ومثلة كتاب الحيوان أيضاً.

١١ - حلقة يونس بن حبيب: وهو جدير بالذكر لأن الأخبار تؤكد أن أبا عبيدة قد اختلف إلى يونس (٤٠) سنة يملي عليه كل يوم شيئاً من حفظه.

١٢ - حلقة الحسن البصري: المتوفى سنة ١١٠هـ عالم البصرة وواعظها، استوعب علمي المعقول والمنقول وهو شاب حتى كان أعجوبة الزمان في الحديث والتفسير والفقه مع نصاعة في البيان وقوة في الحجة. وكان جريئاً في معرض الحق لا يخشى في الله لومة لائم، وازدحمت على حلقته في مسجد البصرة جمع الدارسين والمستمعين وقد أفردنا له ترجمة ضافية في مكان غير هذا من الكتاب.

١٣ - حلقة واصل بن عطاء: واضع أصول علم الاعتزال. كان أحد طلاب الحسن البصري وأنبههم حتى إذا آنس منه رأياً غريباً في العقيدة يخرج عما عليه جمهور المسلمين وعيي به نصحاً وإرشاداً قال: اعتزل مجلسنا فاتخذ له حلقة أوضح فيها مبدأه في الاعتزال وكان له طلاب ودعاة منهم عمر بن عبيد.

وأصبح للمعتزلة مكان في تاريخ العقائد الاسلامية وظهر هذا المذهب في العصر العباسي بصورة خطيرة فقد اعتنقه بعض الخلفاء منهم المأمون وحصلت على أثره فتنة عمياء ذهب ضحيتها إمام المذهب أحمد بن حنبل رحمه الله في خلق القرآن.

١٤ ـ حلقة حماد بن سلمه: الذي تخرج على يد سيبويه.

١٥ ـ حلقة عمران بن حصين.

١٦ ـ حلقة ميمون بن الأقرن.

١٧ ـ حلقة قبيصة بن مخارق.

١٨ ـ حلقة عبد الله بن اسحاق الخضرمي.

١٩ ـ حلقة هشام بن عامر الأنصاري.

٢٠ ـ حلقة الأسوب بن سريع بن حمير وكان قاصاً للمواعظ والحديث.

٢١ ـ موسى بن سيار الأسواري من القصاص.

٢٢ ـ إبراهيم التميمي من القصاص.

٢٣ ـ عبيد الله بن عمير الليثي من القصاص.

٢٤ ـ أبو بكر الهذلي من القصاص

٢٥ ـ عمرو بن فائد من القصاص.

٢٦ ـ القاسم بن يحيى من القصاص.

إلى غيرها من الحلقات العلمية والدينية التي تعتبر كل واحدة بمثابة المدرسة التربوية. بنهجها الحديث. وان منها ما هو بمثابة المدرسة الحديثة في الرأي والأسلوب. وكان هذا المسجد يعج بالمختلفين إليه من كل الطالبين والدارسين والمدرسين والفقهاء والذواقين لطرائف العلم والحديث. وإذا ما أقبل الداخل إليه تلقته ضجة هذا الجو العلمي فكان يسمع له دوي كدوي النحل.

ولعل خير من وصف لنا ذلك الحريري صاحب المقامات في مقامته (البصرية) حيث يقول:

«كنت سمعت أن غشيان مجالس الذكر يسرّي غواشي الفكر فلم أر لاطفاء ما بي من الجمرة إلا قصد الجامع في البصرة وكان اذّاك مأهول المساند مشفوه الموارد يجتني من رياضه أزاهير الكلام ويسمع في أرجائه صرير الأقلام ثم قال: يا أهل البصرة رعاكم الله ووقاكم فما أضوع ربّاكم وأفضل مزاياكم بلدكم أوفى البلاد طهرة وأزكاها فطرة وأفسحها رقعة وأقومها قبلة وأوسعها دجلة وأكثرها نهراً ونخلة وأحسنها تفصيلاً وجملة. دهليز البلد الحرام وقبالة الباب والمقام».

ويكفي أن الجاحظ وهو يمثل الوجه الأدبي للبصرة في أزهى عصور العربية انما نبت في رحاب هذا الجامع فألف البيان والتبيين الذي جمع فيه فنوناً وطرائف تجل عن الحصر علماً وأدباً وشعراً وفقهاً وفلسفةً وطباً ونقداً أدبياً.

ابن بطوطة يصف المسجد الجامع:

وفي زيارة الرحالة محمد بن عبد الله الطنجي المعروف (بابن بطوطة) ما يلقى الضوء على تاريخ هذا المسجد في القرن الثامن الهجري قال ابن بطوطة في الحديث عن أهل البصرة وصفتهم: «كنت رأيت عند قدومي إليها على نحو ميلين بناءً عالياً مثل الحصن فلما سألت عنه قيل انه مسجد الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وكانت البصرة من اتساع الخطة وانفساح الساحة بحيث كان المسجد في وسطها. وهم يصلون الجمعة فيه ثم يسد فلا يأتونه إلا في الجمعة الثانية. أرضه مفروشة بالحصباء الحمراء التي يؤتى بها من وادي السباع. وفي المسجد مصحف عثمان ابن عفان رضى الله عنه الذي كان يقرأ فيه يوم قتل وأثر الدم في الورقة التي فيها قوله تعالى « فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم».

على أن هناك مسجداً آخر صلى به الامام علي كرم الله وجهه حين قدومه البصرة قبل معركة الجمل في محلة الزاوية شمال البصرة.

ولقد كان المسجد في حياة البصريين عقب الفتوحات مجالاً لسد الفراغ يمضي فيه الكثيرون من المحاربين القدماء أو ممن قد فرغ من أعماله اليومية فهو يحضر الحلقة من

حلقات المسجد يستمع إلى محدث تارة وإلى مفسر للقرآن تارة أخرى، أو يتحدث مع صاحب له في شأن من شؤون الحياة.

والمسجد بمن ضم على أهبة للصلاة عندما ينادي المؤذن حتى إذا قضيت الصلاة تأخر الراغب في المسجد يفيضون في الحديث ويتذاكرون من الشعر الشواهد والأمثال وأيام العرب. ومن بين هؤلاء جماعة ملازمون حتى دعوا (بالمسجديين) يلزمون المسجد مما يلي أبواب بني سليم ويشبههم السدوسي بأهل الصُفَّة تشبيهاً لهم بأهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ ولم يكن المسجديون كما ادعى بعضهم بأنهم طائفة خاصة من البخلاء يجتمعون في المسجد كما يجتمع أهل الصناعة الواحدة أو الرأي الواحد في أنـديتهم لعهدنا هذا وانما هم جماعة تلاءموا في الطباع والمشارب وقربت بينهم تربية واحدة. وفي الواقع فان هؤلاء المسجديين من الطبقة الوسطى الذين ملكوا ما أغناهم عن السعي الملح والعمل الحثيث فهم يجلسون إلى حلقات العلماء دون أن يكون لهم حصيلة علمية ترقى بهم إلى النقـاش والمناظرة وانما هم يزجون فراغم ليس غير على طريقة المربديين في المربد. وكان هذا المذهب الاجتماعي يجمع بينهم كالنسب يجمع على المودة وكالحلف الذي يجمع على التناصر، فكانوا إذا التقوا في حلقتهم تذاكروا هذا الباب وتطارحوه إلتماساً لِلَّذة واقتناصاً للفوائد.

كان المسجد إذ يقوم بهذا الدور في حياة المجتمع البصري فقد استطاع الجاحظ وغيره من أدباء البصرة أن يفيدوا من تجاربهم وأن يقدموا الكثير للأدب والتاريخ من خلال هذه المشاركات. ولله در الشاعر المفجِّع البصري[1] إذ يقول:

ألا يا جامع الـبـصـرة لا خربَّـك الله
وأسقى صحنـك المـزن من الغيـث فروَّاه
بقـرآن قـرأنـاه وتـفـسـير روينـاه
وكم من طالب للشعـر وبـالشعـر طلبنـاه

---

(١) هو محمد بن أحمد بن عبد الله المتوفى سنة ٣٢٠هـ. له كتاب فريد في الملاحن سماه «المنقذ من الايمان» وهو ما يفزع إليه المجبر على اليمين المكره عليها، كقولك والله ما قتلت ولا جرمت ولا طفت فالقتل المزج والجرح الكسب والطعن من قولهم ما طعنت في عرضه.

وفي هذا الجامع يقول أبو نوّاس[1]:

لنا في البصرة البيضا	ءآلاف واخوان
بهاليل مسابيح	لهم فضل واحسان
كأن المسجد الجا	مع عند الليل بستان
وفيه من طريف النبت	والأزهار ألوان

والقصيدة طويلة فيها وصف بارع لجوانب من حياة المسجد الجادة والهازلة.

خطط جامع البصرة:

اصطلح عند ذكر الخطط ان تنسب للمدن التي تمصر كما يقال خطط البصرة وخطط الكوفة غير أن جامع البصرة وما احتله من مكانه في تاريخ العلم والأدب والسياسة وكونه الحركة النابضة في كل وجهة تظهر في حياة البصرة العسكرية والمدنية استحق أن نفرد له خططاً.

وحينما خطط أسسه الأولى على يد الصحابي عاصم بن دلف كان قد قر في روعه أن يكون وسط سهل يرتفع قليلاً عما يجاوره من أراض ليكون مركزاً لمدينة تقوم على جنباته ومن حواليه وهذه النظرة تلقاها عن القائد الفاتح عتبة بن غزوان، وكان عتبة كما كان أكثر القادة الفاتحين يتلقون الاشارة من الخليفة أمير المؤمنين في كل عمل خطير يريدون القيام به.

من أجل ذلك قام هذا المسجد في هذه المنطقة من أرض البصرة فبنيت حوله دار الامارة ودور لأمراء الجيش ورؤساء الأقسام الادارية ودور للجند واتسعت الرقعة من كل جهة بأبعاد تكاد تكون متساوية فالشوارع العامة تخطط لتلتقي في هذا الجامع والأنهار تحفر ليمر الرئيسي منها على الجامع وتتخذ القياسات والأبعاد لما يستجد من احداثيات بمواصفات معينة.

---

(١) الديوان (بيروت) ص ٧١١ ـ تحقيق أحمد بن المجيد الغزالي.

وفيما يلي تبيان لبعض هذه الدور والاحداثيات :

فأول ما بني المسجد كانت دار الامارة إلى جانبه وما كان هناك فرق كبير في فعاليتها ففي المسجد تقام الصلوات وتعقد المقررات والخطط وفي دار الامارة يتم القضاء بين الخصوم وتصدر الأوامر الادارية وبين المركزين صلة لا تنفصم في كونها الحارسين الأمينين في حماية الدين والدولة ثم بني الديوان وكان يمثل بيت المال في صورته الأولى ويمثل الحسبة ودوائر النفقات العامة، وديوان الجند.

ثم بني السجن وبنيت المساكن والحمامات والأسواق واتخذت الساحات لعرض الجند وظلت البصرة تنمو وتتسع والمسجد يغص بالرواد والمصلين حتى إذا كانت خلافة المهدي أنشأ ديوان النظر في المظالم وجعله لشكوى الرعية. وقد احصي من كان في المسجد من المصلين وطلاب العلم فبلغ عددهم عشرين ألفاً[1] فأمر الخليفة بصرف مائة ألف درهم لتوسيع المسجد الجامع ثم بعد فترة أخرى أدخلت دار الامارة بالمسجد لاتقان الهدف ولتوسعة المسجد وليكون موضع السلطة الزمنية والسلطة الدينية والمسجد قلب كل تحرك خير يراد للأمة الاسلامية.

وبلغ جامع البصرة من الشأن ما اضطرت الحاجة إلى أن يكون له ثمانية عشر باباً وان في حيطانه الخارجية بضعة عشر ألف مربط لخيول المصلين[*] والقادمين من جهات بعيدة. وقد ورد في الأثر أفضلية الصلاة في جامع رئيسي يجمع أبناء المدينة الواحدة يخطبهم الأمير.

وبلغت البصرة في اتساع الرقعة والاسكان ان بلغت مساحتها ستة عشر فرسخاً مربعاً، كانت الزاوية احدى محاليلها وتقع على بعد فرسخين إلى الشمال وفيها قصر أنس بن مالك الصحابي وكان يمتطي حصانه ليحضر الصلاة يوم الجمعة ومن هذه الالتفاتة عقد الامام البخاري باباً في جامعه (فتح الباري) من أين تؤتى الجمعة واستند إلى حضور أنس بن مالك.

---

(١) عبد القادر باش اعيان: البصرة في أدوارها التاريخية : ٣٧.

والزاوية[١] جهة في الشمال يقابلها أبو الخصيب في الجنوب[٢] والمربد في الغرب[٣] والحصوة من الشرق[٤] تلك هي حدود البصرة القديمة آنذاك ولقد اتخذت القبائل العربية والاسر ذات النفوذ في الحياة البصرية مواقع لهم من حول المسجد وعلى ضفاف الأنهار التي تلتقي من حوله كنهر ابن عمر ونهر المعقل ونهر الأبلة ونهر الفيض ونهر بلال فاتخذ بنو مسمع بن جحدر الذين رأسوا بكر الباطنة وهي المنطقة شرقي جنوب البصرة والقريبة من المسجد الجامع بينه وبين ضريح طلحة (رض). وكانت دار مالك بن مسمع عند الجامع وهو يدل على مكانة وتشريف اوالي الشمال منه كما يقول اليعقوبي تشرع على نهرين لها.

ولعل قبيلة بكر وهي إحدى المجموعات القبلية الخمس الكبرى كانت قد احتلت مركزها منذ أوائل العهد الاسلامي في البصرة انتشرت دورها وقصورها في هذا القطاع من المدينة[٥].

وسكنت تميم أوسع القبائل العربية شهرة بين المربد والمسجد الجامع أي في الجنوب الغربي من المدينة وذكر لهم الطبري خطة في هذه الجهة. ولبطون تميم رقعة فسيحة يقدرها ياقوت بثلاثة أميال. ومن القبائل التي التحقت بتميم بنو العم وهي قبيلة كانت تقطن الأحواز ثم انتقلت إلى البصرة منذ أول نشأتها وفي عدادهم عامر بن العنبر وعامر بن زيد مناة ونهشل. وفي عدادهم بهر وربيعة ورزام الدارميين[١].

وذكر في الاحداثيات الزابوقة وقد كان بها دسكرة للفرس عند إنشاء البصرة وتقع بين المسجد والزاوية ـ كما تقدم ـ وبالقرب من المسجد دار الأحنف بن قيس الذي كان رأس خُمس تميم[٢].

---

(١) ناحية من مواقع البصرة وهي الشعيبة (محطة القطار) اليوم.
(٢) أبو الخصيب موقع اثاري هام.
(٣) مربد البصرة تتسع رقعته إلى قبلي مدينة الزبير اليوم لبضعة كيلومترات.
(٤) الحصوة موقع شرقي المسجد الجامع للبصرة.
(٥) الدكتور أحمد صالح العلي: خطط البصرة.
(★) البصرة في الأدوار التاريخية: عبد القادر باش اعيان: ٣٧.
(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر نفسه.

الخلفاء الذين حضروا المسجد

ولعل أول خليفة وطئت قدماه أرض البصرة هو الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عندما جاء في عام ٣٦ للهجرة يوم معركة الجمل والتي أحرز فيها نصراً. دخل الجامع وخطب الناس وشهد حلقات الدرس التي كانت تعقد تحت سواريه.

وهاله ذلك الجمع الذي لا يخلو ممن قد يتصدر للدرس وليس بأهل.

ذكر أنه كان يمر بالوعاظ والمحدثين والفقهاء فكان يصرف بعضهم ويبقي من هو أهل.

وجلس إلى حلقة الحسن البصري فسأله: ما صلاح هذا الدين؟ قال الورع. قال: فما فساده؟ قال: الطمع. فقال الامام مثلك من يعظ وكان الحسن البصري آنذاك فتى نابهاً حافظاً.

وحضر أبو جعفر المنصور آخر أيام بني أمية دخل البصرة متخفياً قبل أن يلي الخلافة فكان يجلس إلى حلقة أزهر السمان المحدث.

وكان الخليفة المهدي إذا حضر في البصرة يحضر حلقات المسجد الجامع ويصلي فيه الصلوات الخمس[١].

ويوم جاء الخليفة هارون الرشيد البصرة صلى في المسجد وحضر حلقات الدرس وجلس إلى حلقة يونس بن حبيب.

---

(١) عبد القادر باش اعيان . . الأدوار التاريخية: ص ٣٧ وكذلك المسجد الجامع للمؤلف نفسه.

الكوارث التي حلت بالمسجد

إذا عرفنا أن المسجد الجامع بالبصرة يمثل الحركة الدينية والسياسية أو كما يطلق عليه السلطتين الزمنية والروحية معاً وأنها أساس كل تحرك يصدر من أمير البصرة يوجه من على منبره سياسته وأوامره وتعليماته فلا غرو إذا كان هدف المحتلين والمعتدين على البصرة واحتلال الجامع يعتبر احتلالاً لمركز المدينة. وفي أي قطر إنما تقوى المقاومة بثبات العاصمة وتضعف بسقوطها.

ومن هذه كانت سلسلة المعارك التي دارت بين جيش عائشة وجيش علي رضي الله عنهما. وبين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث فقد اتخذ الحجاج مقره في الزاوية واتخذ ابن الأشعث قصر عبد الله بن زياد مقراً لادارة جنده قرب المسجد الجامع. ولما دارت المعركة وانتصر فيها الحجاج كان أول ما يدخل في خطة الاحتلال المسجد ليسمع على منبره صوت الدولة.

وفي سنة ٢٥٨هـ[١] - ٨٧١ م داهمت البصرة نكبة صاحب الزنج الذي أحرق المسجد وما حوله من بيوت وأسواق ودارت حوله معركة دامية وكذلك كان حريق ٣٠٥هـ - ٩١٧ م في عهد الحسن بن الخليل الفرغاني.

وفي سنة ٣١١هـ - ٩٢٣ م حدثت فتنة أبي طاهر سليمان الجنابي حين داهم البصرة واحتل الجامع ونقضه وعاث في الأرض الفساد.

وفي سنة ٦٢٤ هـ - ١٢٢٦ م احترق المسجد لأسباب عدائية بين الأمراء فأعاد عمارته والي البصرة أبو المظفر باتكين بن عبد الله الرومي، فجلب له حجارة اساطينه من جبل الأحواز كما جلب خشب الصنوبر والساج من الهند. وأنشأ رباطاً يتصل بالجامع وآخر قريباً منه وأسكن فيه جماعةً من الصوفية. وأنشأ فيه مكتبة وأوقف عليها وقوفاً[٢] وانتشر العلم في زمانه. غير أن عهد الجامع في أفول إذا ما قيس بأيام ازدهاره.

---

(١) الشيخ عبد القادر باش اعيان: البصرة في أدوارها التاريخية.

(٢) نفس المصدر السابق ص ٣٩.

ويوم أن مر ابن بطوطة في أواسط القرن الثامن الهجري كان المسجد لا يفتح إلا يوم الجمعة للصلاة فيه. ولعل هذا الدور أحرج الأدوار التي مرت على المسجد بحيث كان من فقر العلماء وضآلة تحصيلهم أن كان يلحن الخطيب في الصلاة فيعجب ابن بطوطة للأمير وللقاضي حجة الدين قائلاً: أهذه بلدكم بلد الخليل ابن أحمد والحريري ثم يلحن خطيبكم على المنبر فيقول له متأسفاً: ذاك عهد مضى.

وشاهد ابن بطوطة أن في الجامع سبع صوامع تعلو سطحه[1].

وفي القرن التاسع الهجري كانت البصرة أثراً بعد عين ـ وقد زار البصرة أحد السياح الأجانب في القرن العاشر الهجري ورسم لنا صورة تخطيطية للمسجد الجامع وهو متداع نقلها لنا بطرس البستاني صاحب دائرة المعارف في دائرته.

التنقيب في آثار المسجد

في سنة ١٩٦٤ قدمت بعثة أثرية من مديرية الآثار في بغداد للتنقيب في الجامع فحفرت في جانبيه شرقاً وجنوباً من امتداد الركن القائم حالياً إلى عمق يتراوح بين المترين والأربعة أمتار تحت الأرض. وصحبنا البعثة للاطلاع فرأينا قطعاً حجرية اسطوانية الشكل قطرها ١,٥ قدم تقريباً وسمكها نصف ياردة مثقوبة من الوسط وقد وجدت في ذلك العمق بأعداد كبيرة متناثرة كما عثر على أطباق خزفية وأباريق وبعض الحلي الزجاجية الملونة. ولقد علمنا بهذا التجوال أنه من الممكن الوقوف على حقائق تاريخية مفيدة عن طول ضلع الجامع ومساحته وارتفاعه. كما رأينا ببعض الاستدلالات أن هناك أكثر من طابق في بناء الجامع. ثم أن البعثة قفلت أعمالها لتعود مرة أخرى في وقت مناسب.

---

(١) الصومعة المنارة.

وفي التقديرات الواقعة ظهران المسجد مربع الشكل طول كل جانب (٢٢٥م) وان تلك الأساطين المتهشمة في الأعماق انما هي ترقد على مستوى الجامع في الدور الأرضي ثم ركمت تحت الأنقاض بعد سقوط الأبنية فابتنى عليها بطبقة أخرى.

أما هذا الركن القائم حالياً فليس هو منارة المسجد انما هو مجرد زاوية يلتقي عندها الحائط الشمالي بالحائط القبلي وان ارتفاعه (٢٠)م ويلاحظ في قبالة هذا الأثر من الجهة الشمالية بناء مكون من حرم وديوان كان لآل العجايلي تعلو قليلاً عن مستوى الأرض وهم يتـوارثون القيام عليه أباً عن جد ويقال أن الذي بناه لهم آل الفداغ ويقوم آل العجايلي بوظيفة حفر القبور للموتى الذين يدفنون في مقبرة الحسن البصري كما يقوم عميدهم في كل وقت بمراقبة القادم من عدو وغيره من جهة البصرة نظراً لاستشراف موقفه كما قد اتخذ من هذا البناء محط للذين يجلبون الطعام والارطاب من البصره إلى الـزبـير حيث يجدون لهم مراحـاً ومتوضئاً ومصلى ويتقاضى القائم على هذه الوظيفة إكراميات شيوخ الزبير أو اعطيات ذوي المروءات. ثم أن هذا البناء سقط ولم يعدله أثر اليوم.

كما يشاهد في الجانب الجنوبي لهذا الأثر رواق صغير يتسع لعدد من الزائرين بناه المرحوم الشيخ درويش بن الشيخ أنس باش اعيان العباسي وذلك سنة ١١٧٠هـ ليصلي فيه الناس[١].

ويلاحظ ان هناك مرتفعاً شرقي المسجد ظهر على الخرائط القديمة وأطلق عليه تل (مجهول الاسم). ان هذا التل هو ما يعرفه أهل بلدة الزبير (بجبل سعود) وذلك حينما قدم الامـام سعـود بن عبـد العزيز بجيشه سنة ١٢١٨هـ يوم وصل إلى بلدة الزبير فحاصرها فامتنعت عليه لمناعة أسوارها ورمز بذلك بحروف الجمل (غزا ورد). ثم ذهب إلى البصرة حيث خيم بين البصرة والزبير.

على أن الجـامع اليوم يدعو المهتمين بشؤون التراث والآثار إلى استئناف التنقيب والحفريات. وان هذه الأطلال ما تزال بكراً تخفي تحت طياتها كثيراً من المعالم الآثارية:

---

(١) عبد القادر باش اعيان: البصرة في أدوارها التاريخية.

مكتبة البصرة (الشهيرة) والسجن الذي بناه أبو جعفر المنصور والميضأة التي كان يتوضأ منا القادمون من أطراف البصرة للصلاة وخزينة الامارة ومخلفات أخرى وقصور متناثرة تملأ هذه الرقعة. ويمر الطريق المبلط بين الزبير والبصرة من الجهة الشمالية وفي هذه النقطة يرتفع الطريق نسبياً وهي أعلى نقطة يجري فوقها الطريق حيث تنتصب أمامك الأكام والأطلال على أوضح ما تكون وتنتشر على أبعاد مديدة الأمر الذي يدل على وجود قصور وعمائر البصرة تقوم على انهار مندرسة من حول الجامع تلتقي وتتفرق.

وفي الجنوب من هذا الأثر الكبير وعلى مسافة كيلومتر تقريباً يقوم ضريح الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله التيمي أحد العشرة المبشرين بالجنة الذي استشهد في معركة الجمل سنة (٣٦) هـ والى الغرب تقوم مدينة الزبير والتي سميت باسم الصحابي الكبير الزبير بن العوام الأسدي رضي الله عنه. وقد استعان أهل الزبير في بناء بيوتهم أول الأمر بما انتثر على أرض البصرة القديمة من احجار وطابوق. وليس في هذا من معرة حيث أن المدن القديمة تنشأ على الغالب على أطلال ما جاورها.

كما ان الجامع يبعد عن البصرة الحديثة بثلاثة عشر كيلومتراً تقريباً وتغطي هذه المسافة أرض سبخة باستثناء منطقة تعلو منطقة السبخة قليلاً تسمى (الحصوة) لا يعلوها الماء، ولعلها آخر حدود البصرة القديمة.

التنقيب في جامع البصرة

وتمت اتصالات مع اللجنة القائة على التنقب في جامع البصرة من قبل كلية الآداب في جامعة البصرة عام ١٩٧٣ فحصلنا على المعلومات التالية نضيفها إلى ما تقدم:

١ - ظهر نتيجة الحفر والتنقيب أن المسجد الجامع يتكون من عدة طبقات علا بعضها بعضاً تدل على أنها قامت في أجيال مختلفة.

٢ - عثر على نقوش في جدران المسجد تحت الأنقاض ترقى إلى العصر السلجوقي والعصر الايلخاني وهي ذات أشكال هندسية جميلة تغطيها أصباغ كالتي تعلو بعض المشاهد في العراق في العصر الحاضر لونها شذري لامع.

٣ - عثر على حوض منارة المسجد في الجانب الشرقي ووجدت بعض الكتابات الكوفية على أحجار المنارة فيها التربيعات والتدويرات والمثلثات المتداخلة. وفي الجهة الشرقية عثر على تصميمات خاصة في ريازة البناء.

٤ - عثر على كتابات كوفية متفرقة استطعنا أن نؤلف من بعضها جزءاً من الآية «. . . ان المساجدلله . . . » وكانت محفورة على الآجر.

٥ - أرض المسجد مطبقة بالطابوق الكبير (الجامعي) مربع الشكل طول ضلعه ٣٠ سم كما طبقت أرضية الطارمات بأصغر منه.

٦ - وكشف عن عدة قطع اسطوانية مرمرية ما تزال قائمة على ارتفاع متر ونصف المتر بعد أن أزيح من حولها الركام ويبدو أنها تقوم على الطابق العلوي وهي مثقوبة الوسط قطر هذا الثقب ٧ سم وهذه الأساطين من نوع أكبر نصف قطرها ٥٠ سم ومنها أصغر يربط بين الواحدة والأخرى مادة قوية التماسك كان المعماريون يصنعونها بمزج النورة بالرماد والمعروف أن هذه المادة متوفرة في جبل سنام على شكل عروق (طبقات) من الجبس (البورق) الأبيض الشفاف وتبين في مرآها أنها تفوق في تماسكها متانة الاسمنت.

٧ - وجدنا تحت الانقاض طبقة من الحصى الأسود الصغير بحجم الحمصة وهي بسمك (٤ سم) كانت أرض الجامع مكسوة بها وهو الذي فرشه عبيد الله ابن زياد في رحاب الجامع.

٨ - كشف عن بئرين مطويتين بالطابوق قطر فوهة الواحدة متر واحد وعمقه بالتخمين سبعة أمتار[١] ولم يكن فيه ماء ولعل المكان ميضأة المسجد[٢].

٩ - وجود صفوف من الأساطين تمتد إلى جهتي القبلة والجنوب تتكون الواحدة من اثنتين وثلاث من تلك القطع التي تمثل الطارمات تتقدم حرم الجامع أو حجرات

---

(١) قلنا بالتخمين لأنه مظلم.

(٢) الميضأة موضع الوضوء ويطلق عليه عند الزبيريين (مواضي).

الدراسة ولم يكشف النقاب عن بقية الجهات. ويمتد الجامع من الجهة الغربية إلى نهر بلال وهذا النهر يعمق ويتسع وقد قسناه فكان (٢٠) خطوة معتدلة في أسفله ولعله في الأعلى أوسع بنسبة ما.

الجامع مركز الحركة العلمية والدينية

ان جامع البصرة يمثل المركز الاشعاعي للعلوم العربية والاسلامية ففيه يلقي الأستاذ دروسه مستنداً إلى سارية يحيط به مستمعوه مختلفي الأجناس والمشارب. هذا المسجد كان بمثابة المدرسة الجامعية لأهل البصرة ففيه يجد الطالب منهجاً متكاملاً لمختلف الدراسات.

يقول الدكتور شارل بلات[1] في كتابه الجاحظ:
«كان أولاد الخواص يتعلمون على أيدي المعلمين حتى سن متأخرة. أما أولاد عامة أهل البصرة فكانوا يتجهون إلى مسجد البصرة بعد خروجهم من الكتاب»

كما أن المسجد وسط مناسب يجتمع فيه المسلمون ليتحدثوا في شتى المعلومات والمواضيع بعد فراغهم من صلاتهم.

وكان أغلب الطلاب الذين يطمعون أن يلمع نجمهم لا يكتفون بملازمة أستاذ واحد بل كانوا يتنقلون من حلقة إلى أخرى بل من بلد إلى بلد وقد يكون نهجهم أنهم يختصون بمادة واحدة يتقنونها - أو أنهم يجمعون عدة مواد علمية أو أدبية أو فلسفية كاللغة وفقهها والفقه وأصوله وعلوم الرياضيات والطبيعيات. ولدينا برهان على هذا التخصص المناخي للثقافة الحقيقية في نادرة دقيقة أبطالها معاصرون للجاحظ وهي تقارب الحقيقة ان لم تكن الحقيقة يقول الجاحظ:

---

(١) شارل بلات: الجاحظ تعريب ابراهيم الكيلاني.

«حدثنا سهل بن محمد السجستاني قال: وفد علينا عامل من أهل الكوفة لم أر في عمال السلطان بالبصرة أبرع منه فدخلت مسلماً عليه فقال: يا سجستاني من أعلمكم بالبصرة؟ قلت: الزيادي أعلمنا بعلم الأصمعي. والمازني أعلمنا بالنحو. وهلال الرأي أفقهنا. والشاركوني أعلمنا بالحديث. وأنا رحمك الله أنسب إلى علم القرآن. ولما جمعهم الحاكم في الغد طرح على كل واحد منهم سؤالاً من غير اختصاصه وعلمه فكان يمتنع عن الاجابة ويحيله إلى صاحب الاختصاص. فقال ما أقبح بالرجل يتعاطى العلم خمسين عاماً لا يعرف إلا فناً واحداً حتى إذا سئل عن غيره لم يجل فيه»[1].

الحسن البصري والفرزدق

كان الفرزدق يجلس إلى حلقة الحسن البصري فجاءه رجل فقال: يا أبا سعيد انا نكون في هذه البعوث والسرايا فنصيب المرأة من العدو وهي ذات زوج افتحل لنا من قبل أن يطلقها زوجها؟ فابتدر الفرزدق الجواب فقال: قد قلت أنا مثل هذا في شعري. فقال الحسن وما قلت؟ قال قلت:

وذات حليل أنكحتنا رماحنا ... حلالاً لمن يبني بها لم تطلق

فقال الحسن صدقت وحكم بظاهر قوله.

قضاء شريح

وردت مسألة على القاضي شريح في مسجد البصرة وهي كما وردت في البيان والتبيين قال:

دخل رجل على شريح القاضي يخاصم امرأة له: فقال السلام عليكم.

قال: وعليكم.

قال: اني رجل من أهل الشام.

قال: بعيد سحيق.

قال: واني قدمت إلى بلدكم هذا.

---

(١) ابن الجوزي: الأذكياء.

قال: خير مقدم.
قال: واني تزوجت امرأة.
قال: بالرفاء والبنين.
قال: وإنها ولدت غلاماً.
قال: ليهنك الفارس.
قال: وكنت شرطت لها صداقها.
قال: الشرط أملك.
قال: وقد أردت الخروج بها إلى بلدي.
قال: الرجل أحق بأهله.
قال: فاقض بيننا.
قال: قد فعلت.

الوسـط الديـني

ان السمـة التي ظهرت على ملامح مسجد البصرة في العصر العباسي الأول هي ظاهرة الدعوة للرجوع إلى الدين وتطهير القلوب مما علق بها من أوضار مادية العصر وبذخ النعيم ورأينا أن فريقاً من العلماء والزهاد نحا بطلابه ومستمعيه هذا النحو ولعلها كانت ظاهرة لها استقلالها بالرغم من المظاهر التي تمثلت بالاقبال على الدنيا ونعيمها وملاذها كما هي في قصور الخلفاء والأمراء (من الأمويين والعباسيين).

ولو أردنا أن نلتمس خيوطها الأولى لوجدنا أنها ظهرت في عهد الحسن البصري أيام الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وظهرت على قصص هذا العالم أو ذاك. ولقد أورد لنا الجاحظ قائمة من القصاص الذين عرفوا بهذا الفن في مسجد البصرة الكبير.

من نوابغ القصاص والمفسرين:

من القصاص موسى بن سيار الأسواري وكان من أعاجيب الدنيا. كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية. وكان يجلس في مجلسه المشهور به فتقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ثم يحول

وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية فلا يدري بأي لسان هو أبين. واللغتان اذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما اللبس على صاحبتها إلا ما ذكرنا من لسان موسى بن سيار الأسواري.

وقضى عمرو بن فائد ستاً وثلاثين سنة ابتدأ لهم بتفسير سورة البقرة فما ختم القرآن حتى مات. وكان حافظاً للسير والتأويلات فكان ربما فسر آية واحدة في ستة أسابيع.

ومن القصاص قاسم بن يحيى وهو أبو العباس الضرير لم يدرك في القصاص مثله وقد عقد صاحب كتاب قوت القلوب علي بن عطية الحارثي المعروف بأبي طالب فصلاً طويلاً قارن فيه بين العالم الصوفي والقاص ووصل إلى هذه النتيجة:

ان القاص هو الذي يقتصر على اخبار الأمم الماضية وحكايات المتقين بينما الثاني يغوص في أعماق النفس والاشارة إلى ظواهر التقوى والمتقين.

مسجد البصرة محط رجال القضاء:

في فترة من فترات النشاط الديني ظهر الجامع ليمثل السلطة التشريعية والقضائية بمعناهما الحديث فقد أشار صاحب العقد الفريد إلى أن قاضي البصرة كان يعقد في جامع البصرة الكبير مجلساً للقضاء.

وقد يطرح أمير البصرة قضية من قضايا الساعة ويجمع لها أكابر العلماء كالحسن البصري وابن سيرين ومحمد بن واسع بالاضافة إلى القاضي الرسمي فيدلي كل برأيه استناداً إلى النصوص الشرعية أو استناداً إلى القياس والعرف ان انعدم النص والناس يستمعون إلى هؤلاء العلماء وأقوالهم ونقاشهم حتى تكتمل أطراف القضية ويدون القاضي ما تأتى في هذا المجلس والأمير يشهد ذلك وربما كان أدار الجلسة.

ان هذا اللون من البحث والنقاش يعطينا صورة لما يعرف له اليوم بمجلس التدوين القانوني أو مجلس القضاء الشرعي كما يعطي للجمهور المشاهد مثلاً حياً للبحث المنهجي. ولا نعلم منهجاً علمياً في القضاء أسبق إليه من البصرة في التاريخ الاسلامي.

[الملحق الخامس]

المِرْبَد

تجمع كتب تاريخ الأدب على أن البصرة بمثل ما عرفت بمسجدها الجامع المشهور بجامع البصرة الكبير كذلك هي بمربدها.

والمربد على وزن منبر وهي ضاحية من ضواحي البصرة في الجهة الغربية مما يلي البادية بينه وبينها ثلاثة أميال كما ذكرها ياقوت. ويجيء اهتمامنا بالمربد كونه المنطلق الآثاري والتاريخي في دراستنا لمدينة الزبير وريثة المربد وعلى اديمه قامت لتبعث من جديد.

يقول الأصمعي: المربد كل شيء حبست به الابل والغنم وبه سمى مربد البصرة وكان موضع سوق للابل[1].

موقع المربد:

يقع المربد على طريق من ورد البصرة من البادية ومن خرج من البصرة إليه. قال بان الفقيه في تاريخه وجاراه الاصطخري: ان المربد يقع داخل الأرض إلى البادية بمسافة أربعة فراسخ من دجلة العوراء[2] وهو تقدير يقيم بلا شك وزناً لمحلة المربد الواقعة غربي المدينة والذي ترك خارج سور أبي جعفر المنصور الذي بناه عام (١٥٥هـ) (مائة وخمسة وخمسين للهجرة) والمسمى بالسور العباسي[3].

وبناءً على هذا فان المسافة بين دجلة (شط العرب) والمربد (٢٤) كيلو متراً تقريباً ولما كانت المسافة الحالية بين الزبير ومدينة العشار (٢٠) كم فلدينا أربعة كيلومترات يجب أن نترامى بها إلى صحراء الزبير غرباً لتكون الحد الأدنى للمربد. وإذا علمنا أن مدينة

---

(١) معجم البلدان لياقوت ولسان العرب مادة (ربد).

(٢) الطبري ج ٢ وابن الأثير ج ٦.

(٣) ابن قتيبة: عيون الأخبار.

الزبير تقع جنوب غربي البصرة الحالية وفي الغرب من البصرة القديمة كما يقول ياقوت فيتضح ان المربد ينزع إلى الغرب الأوسع لمدينة الزبير فتدخل في الجهة كل من (المدور) و (الجبيلات) و (الضليعات) و (البرجسية ومسلي وهي أعالي المربد كما وتدخل (الدريهمية) في أدناه الجنوبي. ونحن حينما نترامى إلى هذه المواقع لعلمنا أن القوافل التي تحمل وفود القبائل المتاجرة أو المنافره أو المشاركة بهذا أو بذاك من مختلف جهات المنطقة (البصرة أو اليمامة وكاظمة) انما تحتاج إلى أوسع الرقاع لتموج فيها ولتتخذ المراعي فيها بعيدة عن الاحتكاك الذي ربما نشب عنه قتال:

وهذا يهدينا الرأي الى أن المربد يحتل المنطقة التي اتخذت أبعادها من تلك المواقع علماً بأن ما ذكرنا منها يصلح جغرافياً لهذا المضطرب حيث يتمتع بجو جميل وهواء عليل وعيون ماء تفي بالغرض.

ويعرف أهل بلدة الزبير أن هناك دلائل أثارية تنبىء عن وجود حياة غابرة ولو عملت دار الآثار العامة بعض التنقيبات في كل من المواقع المذكورة آنفاً لوقعت على شيء يغني الباحثين.

على أن المؤرخين القدامى لم يعينوا لنا موقع المربد بحدود قياسية ثابتة. بقول ابن قتيبة: ان المربد يقع شمال سفوان ببضعة فراسخ ومن يقف على مرتفعات البصرة وقصورها يشاهد المربد ويرى قبابه تنتصب على بطحائه وانه غربي البصرة.

ويرى البعض أن المربد هو الموضع المعروف اليوم بمصلى العيد[1] ونعلم أن ميداناً كالمربد يجمع إلى أسواقه الساحات المشهورة لأوسع ان تحتويه رقعة صغيرة كمصلى العيد بجدرانه الأربعة.

المربد سوق كبرى:

عرفت العرب المربد سوقاً تضطرب فيه الحياة بكل ضروب النشاط: حركة تجارية دائبة يعرض الحضريون سلعهم مما صنعت أيديهم وانتجت أرضهم من تمر وحبوب

(١) علي الشرقي: العرب والعراق.

وبقول وفواكه طازجة ومجففة وصناعات يدوية تصلح لما يعالج به البدوي شؤونه في الصحراء مع أهله وأبله من ملابس وغزول جاهزة وأمتعة ورحال وهوادج وحلي وبيوت شعر لسكانه. كما يعرض مختلف الصناعات الجلدية متقنة الدبغ اشتهرت البصرة بهذه الصناعة حتى سمي أحد أسواقها بسوق الدباغين فيشترى الراوية يستقي بها الماء ويشتري الأخفاف والسروج وقرب السيوف[1] والعدول ليحمل فيها طعامه على أبله.

كما يعرض التاجر البصري الكثير مما حفلت به صناعات البلاد الأخرى البعيدة مما وصلت إليه من طريق البحر فيشتري منها من غشي المربد البدوي والحضري على سواء. وبمعنى آخر أن البصرة في مواسم معينة من السنة تنصَبُّ في المربد. وفي هذا الوقت بالذات تسابل العشائر العربية البصرة في فصلين من السنة هما الربيع والخريف ففي الربيع تتوافد لبيع منتوج صحرائها من السمن والأقط وأحطاب البر والكمأة وأعشاب برية تصلح أدوية للعلاج كالسنى مكي والحنظل وعروق بعض النباتات التي تصلح في الطب كما يعرض صوف أغنامه ووبر ابله وشعر معزاه أو يشتريها من بعض المناطق الصحراوية لبيعها في المربد كما يعرض الغنم والابل نفسها.

ويهبط البدوي آخر الصيف كل سنة ليمتار[2] أو ليكتال فيشتري التمر والعيش (التمن) وربما اقترض من التاجر على موسم الربيع.

وهناك فئة ثالثة من نوعية أخرى في المربد تعرض بضائع ومشتريات من السوق المحلية في البصرة لتبيعها في سوق المربد فيشتري منها هذا أو ذاك على سواء لعل بعضها من النوع الاستهلاكي اليومي من مآكل ومشارب ولباس ومحارق لا يستغني عنا أحد في ليل أو نهار.

المربد قبل الاسلام:

جاء في الطبري أن القبائل العربية من بكر وربيعة نزلت فبل الاسلام في المربد وكانت الرحلات من البادية إلى العراق ومن العراق إلى البادية لم تنقطع.

---

(١) قِرَب جمع قراب وهو ما يغمد فيه السيف.

(٢) أمتار لنفسه أو لعياله.

وحين نزح المناذرة من موطنهم الأول في اليمن هبطوا أرض المربد قبل أن يستوطنوا الحيرة[١]. ولما خططت البصرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه نزل فيها العرب على منازلهم من يمانية ومضرية ـ والمربد صورة أخرى لسوق عكاظ في الحجاز قبل الاسلام.

بعث الخليفة عمر بن الخطاب (رض) قائده عتبة بن غزوان يقول له: انطلق انت ومن معك حتى اذا كنتم في أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم فأقيموا، فأقبلوا حتى إذا كانوا بالمربد وجدوا هذا (الكدان)[٢] وهو تحريف كذان. قالوا: ما هذه إلّا بصرة. والبصرة كما جاء في اللسان قال ابن شميل: البصرة أرض كأنها جبل من جص وعلى انفساح هذه الرقعة كانت المربد وانما سميت البصرة بصُرة بها. وما تزال المعلومات التي بين أيدينا عن المربد قبل الإسلام ضئيلة.

وفي العهد الاسلامي عمر المربد واتصلت العمارة بينه وبين البصرة حتى قالوا فيه: «العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة»[٣]. وأضاف جعفر بن سليمان الهاشمي فقال: «وداري عين المربد» .. وفي كتاب «ما يعول عليه» يقول: المربد كلما حبست فيه الابل ومنه سمى مربد البصرة لاجتماع الناس وحبسهم النعم فيه. كان مجمع العرب من الأقطار يتناشدون فيه الأشعار ويبيعون ويشترون. وقال العيني: «مربد البصرة محلة عظيمة في الجهة الغربية كان يجتمع فيه العرب من الأقطار»[٤] ويقيم العرب في المربد قرابة الشهرين والثلاثة وهي شهور الربيع. وان الأحياء العربية التي كانت تحضر المربد تقدم شاعرها حيث كان لسانها الناطق وسيفها المصلت ثم تنزل على ماء.

وحين تتواجد هذه الحشود وهي تعرض ما عندها من عروض تتفرغ إلى نفسها لتقيم سوق الشعر وتنصب له الفساطيط. وفي المربد أقيم حوض الثري محمد بن سليمان[٥]

---

(١) الطبري ج ١.
(٢) الحجارة الرخوة النخرة.
(٣) ابن قتيبة: عيون الأخبار.
(٤) عقد الجمان (مخطوط).
(٥) البلازري فتوح البلدان.

يؤتى إليه بالماء بواسطة أقنية من الرصاص تمتد مسافة فرسخ. يقول ابن الجوزي: خربت وقوف البصرة التي وقفت على الدواليب التي تدور وتحمل الماء فتطرحه في قناة الرصاص الجارية إلى المصانع[1] التي أماكنها على فرسخ من الماء. ونحن نذهب إلى أن مصدر الماء هذا هو ملتقى نهر الأبلة بنهر معقل في أرض الزبير اليوم حيث يكونان بالتقائهما عمقاً هادراً من جهة الغرب ومن هذه النقطة تجرى القنوات داخل أرض المربد على عمق ستة كيلومترات تقريباً أي إلى منطقة أرض البرجسية والضليعات والمدور ومسلي من منطقة الزبير. وهذه الرقعة بأبعادها تكوّن لنا المربد على أوسع حدوده.

وحكى طالوت بن عباد أنه رأى محمد بن سليمان في المنام فقال: ما فعل الله بك؟ قال: أوفر لبي ولولا حوضي بالمربد لهلكت.

وكان محمد بن سليمان بدأ بهذا المصنع عند خروجه إلى مكة وحينما عاد من مكة استقبل بالماء الذي اجراه فشرب منه وصلى على جانبه ركعتين شاكُراً لله على هذه المصلحة[2].

المربد في العصر الأموي

شعراء يمثلون قبائلهم في المربد:

أخذ المربد يتسع مركزه ويرتفع شأنه وصار محلة كبيرة وسوقاً إبّان العهد الأموي وصار للبصرة كالمدرسة يتلقون فيها دروساً أدبية في الشعر وفي مختلف أنماط الحياة الاجتماعية ما كانوا ليحصلوا على مثلها في مزدحم حياة المدينة المادي.

وأخذت الوفود العربية تؤم المربد من شعراء وأدباء ووجهاء وأخذت العشيرة تحتمي بشاعرها كما يعتز هو بقبيلته.

---

(١) واحدتها مصنعة وهي حوض يجمع فيه ماء المطر (المحيط).

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ج ٩.

ومن مظاهر تمجيد العرب لشعرائهم أن القبيلة إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها ووضعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس ويتباشر الرجال والولدان[1] لأنه حماية لأعراضهم وذب عن احسابهم وتخليد لمآثرهم وإشادة بذكرهم وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو بشاعر ينبغ فيهم أو فرس تنتج[2].

وعلى أديم المربد وفي موسم اجتماع الوافدين وحيث ينتصب مجلس الفرزدق. واختار بنو تميم أدنى المربد لعلها موقع الشعيبة اليوم.

يأتي قوم بني حرام يقودون شاعراً هجا الفرزدق يوماً والفرزدق ممن يخشى لسانه يلتمسون معذرة منه ويقولون دونك فاقتص ولما رآه الفرزدق ورآهم على مثل حالهم قال:

ومن خائف لأذاة شعري فقد أَمِنَ الهجاءَ بنو حرام
هم قادوا سفيههم وخافوا قلائدَ مثلَ أطواق الحمام

جرير والفرزدق يخشيان الأحوص:

وكان الشاعر في بعض الأحيان يستعدى به ويستعار لسانه لضرب قوم آخرين فهذا ابن بشير أحد أغنياء الأنصار كان الأحوص بن محمد الأنصاري قد نال منه في هجاء فيأتي إلى الفرزدق بالمربد مستجيراً معه هدية له فيجيره ثم يصغي الي شكاة ابن بشير فيطرق الفرزدق ساعة ثم يقول أليس هو القائل:

ألا قف برسم الدار فاستنطق الرسما فقد هاج أحزاني وذكرني نُعمىٰ

قال: بلى.

قال: والله لا أهجو شاعراً هذا شعره. فانصرف ابن بشير واشترى أنفس من الهدية الأولى. وتقدم بها إلى جرير فاستجاره ثم قال له: ما فعل ابن عمك الأحوص بن محمد

---

(١) ابن رشيق: العمدة ج ١.
(٢) المصدر السابق.

فقال: جرير: هو صاحبي الذي هجاني. أليس القائل:

تمشي بشتمي في أكاريس[1] مالك يشيد به كالكلب إذ ينبح النجما

قال: بلى.

قال والله لا أهجوا شاعراً هذا شعره.

فما كان من ابن بشير إلا أن اشترى أكثر من الهديتين وأهداهما إلى الأحوص وصالحه[2].

الفرزدق ويوم دارة جلجل:

وهذه إحدى المواقف البارعة التي تعترض الشاعر ثم يخلص منها. كان ذلك أيام الربيع يوم يبتسم الفصل وتضحك الغمام وتفتح الأرض عن أزاهير الربى فيخرج الناس يستقبلون الطبيعة الضاحكة يلهون ويقصفون ويسمرون.

قال الفرزدق: وأصابنا بالبصرة ليلاً مطر جود فلما أصبحت ركبت بغلة لي وسرت إلى المربد فإذا أنا بآثار دواب قد خرجت إلى ناحية البرية فظننت أنهم قوم خرجوا للنزهة وهم خلقاء ان تكون معهم سفرة فاتبعت آثارهم حتى انتهيت إلى بغال عليها رحائل موقوفة على غدير فأسرعت إلى الغدير فإذا فيه مستنقعات في الماء فقلت لم أر كاليوم قط ولا يوم دارة جلجل وانصرفت مستحيياً فنادينني ياصاحب البغلة ارجع نسألك عن شيء فرجعت إليهن فقعدن في الماء إلى حلوقهن ثم قلن بالله ألا ما أخبرتنا ماكان من حديث «دارة جلجل» قلت: حدثني جدي وأنا يومئذٍ غلام حافظ: ان امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عمه ويقال لها عنيزة وأنه طلبها زماناً فلم يصل إليها حتى كان يوم غدير يوم (دارة جلجل) وذلك أن الحي تحملوا فتقدم الرجال وتخلف النساء والخدم والثقل فلما رأى امرأ القيس ذلك تخلف بعدما سار مع رجال قومه غلوة فكمن في غيابة الأرض حتى مر به النساء وفيهن عنيزة فلما وردن الغدير قلن لو نزلنا فاغتسلنا فيذهب عنا بعض الكلال فنزلن الغدير ونحين العبيد ثم تجردن فوقعن فيه فأتاهن امرؤ القيس فأخذ ثيابهن

---

(١) الأكاريس الجماعة.

(٢) ابن رشيق: العمدة ج ١.

فجمعها وقعد عليها وقال والله لا أعطي جارية فيكن ثوبها ولو قعدت في الغدير يومها حتى تخرج متجردة فتأخذ ثوبها فأبين ذلك عليه حتى تعالى النهار وخشين أن يقصرن عن المنزل الذي يردنه فخرجن جميعاً غير عنيزة فناشدته الله أن يطرح ثوبها فأبى فخرجت فنظر إليها مقبلة ومدبرة وأقبلن عليه فقلن له إنك عذبتنا وحبستنا وأجعتنا قال فإن نحرت لكن ناقتي أتأكلن منها؟ قلن نعم. فجرد سيفه فعقرها ونحرها ثم كشطها وجمع الخدم حطباً كثيراً فأججن ناراً عظيمة فجعل يقطع أطايبها ويلقى على الجمر ويأكلن ويأكل معهن ويشرب من فضلة كانت معه ويسقيهن وينبذ إلى العبيد من الكباب فلما أرادوا الرحيل قالت إحداهن أنا أحمل طنفسته وقالت الأخرى وأنا أحمل رحله وأنساعه[1] فيتقسمن متاعه وزاده وبقيت عنيزة لم تحمل له شيئاً فقال لها يا ابنة الكرام لابد أن تحمليني معك فإنني لا أطيق المشي فحملته على غارب بعيرها فكان يجنح إليها فيدخلُ رأسه في خدرها فيقبلها فإذا امتنعت مال حدجها فيقول: عقرت بعيري فانزل. وفي ذلك يقول:

ويوم عقرت للعذارى مطيتي ... فياعجبا من رحلها[2] المتحمل
فظل العذارى يرتمين بلحمها ... وشحم كهداب الدمقس المفتل
ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة ... فقالت لك الويلات انك مرجل
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً ... عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
فقلت لها سيري وارخي زمامه ... ولا تبعديني من جناك المعلل

وكان الفرزدق أدرى الناس بأخبار امرىء القيس وأشعاره. وذلك أن امرأ القيس رأى من أبيه جفوة فلحق بعمه شرحبيل بن الحارث وكان مسترضعاً في بني دارم فأقام فيهم وهم رهط الفرزدق.

يحدثنا صاحب العمدة يقول:

ان الفرزدق وهو شاعر زمانه ورئيس قومه لم يكن في جيله أطرف منه نادرة ولا أعذب مرحاً ولا أسرع جواباً. اجتاز بنسوة وهو على بغلة فهمزها فحبقت فتضاحكن وكان

---

(١) النِسع بالكسر وهو سير ينسج عريضاً تشد به الرحال.
(٢) رحلها: كورها.

عِرِّيضاً[1] فقال: ما يضحككن؟ وما حملتني أنثى قط الا فعلت مثل هذا.
قالت إحداهن فما صنعت التي حملتك تسعة أشهر فانصرف خجلاً.

ومر بالفرزدق رجل فيه لين وهوادة وأراد أن يعرض له الفرزدق فقال له من أين أقبلت عمتنا؟ فرد عليه: من عند أمك.

نقائض جرير والفرزدق في المربد:

ان المولعين باذكاء نار المصاولة بين جرير والفرزدق كثيرون منهم الأمراء ورواة الشعر وكثيراً ما يغني الفن الشعري في هذه المصاولة ممن يحرص على شهود المربد وبخاصة على إحياء مجالس الشعر والطراد والمطارحة وهذا اللون ما أطلق عليه بالنقائض.

ولقد فاضت كتب الأدب بهذا الفن، غير أن النقائض لم تتوضح معالمها ولم تعرف قواعدها إلا بعد أن عرف الناس جريراً والفرزدق وقد كانت النقائض فناً تحمل طابع السذاجة ثم لم تكتمل صورته إلا في عصر بني أمية على يد فحول شعراء الهجاء الذين تألقوا في سماء المربد أمثال جرير والفرزدق والأخطل والراعي والعجاج وغيرهم.

ان فن النقائض يوشك أن يكون فناً أموياً خالصاً مدرسته المربد ومنه انتقل إلى سائر الأوساط الأدبية.

ومن هذه المواقف التي قد تبدو حادة ما قاله الفرزدق في جرير:

فاني أنا الموت الذي هو ذاهب بنفسك فانظر كيف أنت محاوله

فحلف بالطلاق أن جريراً لا يغلبه فيه. فكان جرير يتمرغ في الرمضاء ويقول: أنا أبو حرزة.. حتى قال:

أنا الدهر يفني الموت والدهر خالد فجئني بمثل الدهر شيئاً يطاوله

---

(١) قوى العارضة: سريع البادرة لا يخشى ولا يتورع.

[الملحق الخامس]
أحداث المربد

ومربد البصرة واجهة إعلامية لوالي البصرة من نوع خاص إذا ما قيس إلى منبر المسجد الجامع في البصرة. هذا للعرب على نطاق القبائل والمستوى الشعبي والمسجد على المستوى الرسمي.

والمربد خط دفاع البصرة الأول فالداخل إلى البصرة من جهة الغرب منه ينفذ. ويوم وصلت أم المؤمنين عائشة يصحبها طلحة والزبير (رضي الله عنهم) احتل جيشها ميامن المربد واحتل عثمان بن حنيف عامل الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه مياسره وامتلأت الساحات على رحبها[١].

وفي المربد دارت معركة الخوارج مع عبيد الله بن زياد عامل البصرة ليزيد. نشبت بين الأزد وربيعة من جهة وبين تميم من جانب آخر بقيادة الأحنف بن قيس وقد انتصرت تميم وفي ذلك يقول الحارث بن بدر للأحنف:

سيكفيك عبس أخو كهمس[٢] ... مقارعة الأزد بالمربد
وتكفيك عمرو على رسلها ... لكيز[٣] بن افصى وما عددوا
وأكفيك بكراً إذا أقبلت ... بضرب يشيب له الأمرد

وفي مثل هذا يقول الفرزدق:

ومنا الذي أعطى يديه رهينة ... لغازي معدٍّ يوم حرب الجماجم
عشية سال المربدان كلاهما ... عجاجة موت بالسيوف الصوارم
هنالك لو تبغي كليباً وجدتها ... أذل من القردان تحت المناسم

---

(١) المسعودي: المروج.
(٢) عبس وكهمس زعيمان خارجيان تميميان.
(٣) لكيز هو عبد القيس يصف الأزد وربيعة.

وجدير بالذكر أنه كان لتميم حلفاء من الأساورة والزط والسيابجة وهؤلاء كانوا قد نزلوا بجوار تميم في البصرة[١] وكان عددهم زهاء (٧٠) ألف وفي ذلك يقول جرير:

سائل ذوي يمن ورهط محرق والأزد إذ ندبوا لنا مسعودا[٢]
فأتاهم سبعون ألف مدجج متسربلين يلامقاً وحديدا

وعلى أديم المربد يجلس مصعب بن الزبير بعد ظهوره على المختار بن عبيد الثقفي فيؤتى بأسارى من أصحاب المختار. فيأمر بقتلهم بين يديه فيقوم إليه أسير منهم ليقول:

أيها الأمير: ما أقبح أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك الحسنة هذه ووجهك المليح الذي يستضاء به فأتعلق بك وأقول: يا رب سل مصعباً فيم قتلني؟

فأستحيا مصعب وأمر بإطلاقه. فقال: أيها الأمير اجعل ما وهبت من حياتي في خفض ودعة من العيش. قال: قد أمرت لك بثلاثين ألف درهم. قال: أشهدك أيها الأمير أن شطر هذا المال لعبد الله بن قيس الرقيات. قال: ولم؟ قال لقوله:

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء فضحك مصعب وقال: اقبض ما أمرنا لك به ولابن قيس عندنا مثله، فما شعر عبد الله بن قيس إلا وقد وافاه المال[٣].

وجاء الفرزدق قدم المدينة فنزل على محمد بنٍ عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح. فقال له الأحوص ألا أسمعك غناءً غُني به في المربد؟ قال: بلى فأتاه بمغن يغنيه فكان مما غناه:

أتنسى إذ تودعنا سليمى بفرع بشامة سقي البشام
ولو وجد الحمام كما وجدنا بسلمانين لاكتأب الحمام

---

(١) الكامل للمبردج.
(٢) مسعودي بن عمرو.
(٣) ابن رشيق: العمدة ج ١

فقال الفرزدق لمن هذا فقال لجرير. ثم غناه:

أسرى لخالدة الخيال ولا أرى ... شيئاً ألذُّ من الخيال الطارق
ان البلية من تمل حديثه ... فانقع فؤادك من حديث الوامق

فقال لمن هذا فقال لجرير ثم غناه:

ان الذين غدوا بلبك غادروا ... وشلاً بعينك ما يزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لي ... ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقال لمن هذا الشعر فقال لجرير. فقال: الفرزدق ما أحوجه من عفافه إلى خشونة شعري وأحوجني مع فسوقي إلى رقة شعره.

المسجديون والمربديون:

حفلت البصرة بوسط أدبي طارت شهرته في الأندية أيام العصر الأموي واستأثرت بكل طريف حتى شغلت الناس وظلت تحتفظ بمكانتها حتى بعد تأسيس بغداد ثم أخذ ميزان الشهرة يميل نحو عاصمة العباسيين. وهذا الجاحظ الذي عاش عصراً عباسياً صرفاً علماً وأدباً ما انفك يولى البصرة اهتمامه مسجدها ومربدها ومقبرتها. استقصى أخبارها وأودعها كتبه. يقول: أدركت رواة المسجديين والمربديين. ومن لم يرو اشعار المجانين ولصوص الاعراب ونسيب الاعراب والارجاز الاعرابية وأشعار اليهود والأشعار المنصّفة فانهم كانوا لا يعدونه من الرواة[1] ثم استبردوا ذلك كله ووقفوا على قصار الأحاديث والقصائد والفِقَر والنتف في كل شيء.

الجاحظ يتحدث عن المربد:

يقول الجاحظ: وقد شهدتهم وما هم على شيء أحرص منهم على نسيب العباس بن الأحنف فما هو إلا أورد خلف الأحمر نسيب الاعراب فصار زهدهم في نسيب العباس بقدر رغبتهم في نسيب الأعراب.

---

(١) البيان والتبيين ص ٥٦٩.

ثم رأيتهم منذ سنيات وما يروى عندهم نسيب الأعراب الأحداث السن قد ابتدأ في طلب الشعر أو فتى متغزل.

وقد جلست إلى أبي عبيدة والأصمعي ويحيى بن نجيم وأبي مالك وعمرو بن كركره مع من جالست من رواة البغداديين فما رأيت أحداً منهم قصد إلى شعر في النسيب فأنشدهم. وكان خلف يجمع ذلك كله.

ولم أر غاية النحويين إلا كل شعر فيه اعراب. ولم أر غاية رواة الأشعار إلا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج.

ولم أر غاية رواة الأخبار إلا كل شعر فيه الشاهد والمثل. ورأيت عامتهم فقد طالت مشاهدتي لهم لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيرة والمعاني المنتخبة وعلى الألفاظ العذبة والمخارج السهلة والديباجة الكريمة وعلى الطبع المتمكن وعلى السبك الجيد وعلى كل كلام له ماء ورونق وعلى المعاني التي لو صارت في الصدور عمرتها وأصلحتها من الفساد القديم وفتحت للسان باب البلاغة ودلت الأقلام على مدافن الألفاظ وأشارت إلى حسان المعاني.

ورأيت البصرة لهذا الجوهر من الكلام في رواة الكتاب أعم وعلى ألسنة حُذّاق الشعر أظهر.

ورأيت أبا عمرو الشيباني يكتب أشعاراً من أفواه جلسائه ليدخلها في باب التخفظ والتذاكر وربما خيل إليّ إلى أن أبناء أولئك الشعراء لا يستطيعون أبداً أن يقولوا شعراً جيداً لمكان اغراقهم في أولئك الآباء.

ولولا أن أكون عياباً ثم للعلماء خاصة لصورت لك في هذا الكتاب ما سمعت من أبي عبيدة ومن هو أبعد في وهمك من أبي عبيدة.

ان هذا الجو الذي ملىء بنشاط العلماء من النحويين واللغويين ومن أدباء ورواة ومتصيدي الفرائد والغرائب إستطاع الجاحظ أن يصوره للتاريخ خير تصوير. ونحن إذ نقف على ذلك فإنما لندل دلالة واضحة على ما كان يتمتع به المربد من مكانة وعلى مالفت أنظار الأدباء وتطلعاتهم واشباع أذواقهم سواء في عصر التدوين أو ما بعده[١].

وفي صفحة أخرى من سِفْر المربد يجمل أن نعرض له بهذه اللقطة: يروي الأغاني أن جريراً والفرزدق اجتمعا في المربد فتنافرا وتهاجيا وحضرها العجاج والأخطل وكعب بن جعيل وغيرهم في خبر طويل. كان كل من جرير والفرزدق يلبس لباساً خاصاً ويخرج إلى المربد ويقول قصائده في الفخر والهجاء والرواة ينقلون ما قال الآخر فيرد عليه.

قال أبو عبيدة: وقف جرير بالمربد وقد لبس درعاً وسلاحاً تاماً وركب فرساً أعاره إياه أبو جهضم عباد بن حصين فبلغ ذلك الفرزدق فلبس ثياب وشي وسواراً وقام في مقبرة بني حصن ينشد جرير[٢] والناس يسعون بينهما بأشعارها فلما بلغ الفرزدق لباس جرير بالسلاح والدرع قال:

عجبت لراعي الضأن في حطمية ... وفي الدرع عبد قد أصيبت مقاتله[٣]

ولما بلغ جريراً أن الفرزدق في ثياب وشي قال:

لبست سلاحي والفرزدق لعبة ... عليه وشاحا حلية وخلاخله

وجاء في مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل العمري، (ص ٢٤٨) قال الحجاج لجرير والفرزدق وهو في قصر بالبصرة بالجزيرة[٤] إءتياني في لباس ابائكما في الجاهلية فلبس الفرزدق الديباج والخز وشاور جرير دهاة بني يربوع وشيوخهم فقالوا ما لباس أبائنا إلا الحديد فلبس درعاً وتقلد سيفاً وتأبط رمحاً وركب فرساً وأقبل في أربعين فارساً من بني يربوع وجاء الفرزدق في هيئته فتقابلا فقال جرير:

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين.
(٢) يعرِّض به ويلحيه.
(٣) المصدر السابق.
(٤) الجزيرة: هكذا وردت لم تعلم بحدود.

لبست سلاحي والفرزدق لعبة ... عليه وشاحا حلية وخلاخله
أعدوا مع الخز الملاب فانما ... جرير لكم بعل وأنتم حلائله

ثم رجعا فوقف جرير في مقبرة بني حصن ووقف الفرزدق في المربد وقد أبَّر جرير عليه.

وما زالا كذلك يتهاجيان ويقولان القصائد الطويلة الكثيرة حتى ضج والي البصرة فهدم منازلهما بالمربد فقال جرير:

فما في كتاب الله تهديم دارنا ... بتهديم ما خور خبيث مداخله

وللمتتبع المتفحص لمواقع منطقة البصرة بمربدها وحيث يحلو للقوم أن يعقدوا مجالسهم كأنما يتراءى لنا أن الفرزدق وقد أحاط به بنو دارم (تميم) وفي اعز بيت منهم في ربى البرجسية حول غدرانها وظلال أشجارها وفي مكان غير بعيد كان يجلس جرير في بني يربوع من تميم وفي هذا الفصل من ربيع العام حضر البيتان من تميم كل يحف بشاعره وانعقدت الفساطيط بجانب الخيام والقباب وكل ينافس قرنه. وفي جهة من البصرة وصحرائها المعشبة بأزاهير الربيع وفي منطقة المدوَّر والضليعات[1] من أرض الزبير اجتمع هناك قوم من طبقة أخرى حيث يرى راعي الابل والبعيث وذا الرمة والرجاز يلهون يتفاخرون وينعمون بشم النسيم ويغنمون ويبرون على سواهم حتى تنقضي شهور الربيع.

وفي هذه الأجواء تنعقد المجالس وتتبادل الزيارات وتنحر الجُزُر ويتناشدون القريض ويذكرون أيام العرب ـ حتى يحمد القوم السرى وحتى تقضي كل قبيلة بما في نفسها من لبانات .. ونرى أمير البصرة يلبي الدعوات لدى هذه الأقوام فيسمرون وتوقد النيران ويلمع نجم شاعر ويخفت آخر وتبر قبيلة على أخرى بما تجد وتقدم لاضيافها من طيبات ومجاملات وتتحدث الناس في يومهم ما أمتعتهم به لياليهم، وتظل هذه ذكرى في النفوس والأوساط والأندية إلى أن يقبل العام الجديد ليبدأ صفحة جديدة وهكذا.

---

(١) البرجسية والمدور والضليعات مواقع وواحات تكتنف الزبير من الغرب.

والمربد اذ ينعقد في موسم هنا فانما هم ربما غيروا موضعهم إلى آخر أدنى منه إلى البصرة وقرب أسوارها فهم فيما حول مقبرة بني حصن مرة أو حيال مقبرة بني مازن أخرى أو حول حوض محمد بن سليمان أو في سكة المربد في طرفها الصحراوي القاصي . . ولنا أن نقول أو على بساط أرض دروازة الزبير اليوم وحول مصلى عيدها وقبالة مكتبتها اليوم كانت تنعقد مجالس المربديين أو تتناثر وراء ديم خزام إلى الشمال أو إلى الغرب والتاجر يختار مواضع الازدحام والباعة المتجولين بين هذا وذاك .

المربد في الأغاني:

وكان لراعي الابل والفرزدق وجلسائهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة وكان الناس يخرجون كل يوم إلى المربد يعرف كل فريق مكانه فيجلس فيه ينتظر شاعره .

يروي الأغاني أن جريراً بات يشرب باطية من نبيذ ويهمهم بالشعر في هجا الفرزدق والراعي فما زال كذلك حتى كان السحر وقالها ثمانين بيتاً في بني نمير ختمها بقوله :

فغض الطرف انك من نمير ... فلا كعباً بلغت ولا كلابا

كبر ثم أصبح حتى إذا عرف أن الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمربد وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق دعا فادّهن ولف رأسه ودعا غلامه فأسرج له حصانه وقصد مجلسهم فأنشدها فنكس الفرزدق وراعي الابل .

ونرى بجانب هؤلاء جريراً والفرزدق والأخطل طائفة أخرى من كبار الرُجّاز يقصدون المربد وينشدون رجزهم . فالعجاج الراجز يخرج إلى المربد عليه جبة خز وعمامة خز على ناقة له قد أجاد رحلها . ويقف بالمربد على الناس مجمّعين ويقول رجزه المشهور:

«قد جبر الدين الآله فجبر»

ويهجو ربيعة فيأتي رجل من بكر بن وائل إلى أبي النجم ويستحثه على الرد عليه فيخرج أبو النجم إلى المربد ويقول رجزه:

«تذكر القلب وجهلاً ما ذكر»

وروبة الرجاز ينشد رجزه:

«وقاتم الأعماق خاوي المخترق»

ويجتمع حوله فتيان من تميم فيرد عليه أبو النجم في رجزه:

«إذا اصطحبت أربعاً عرفتني»

كذلك نرى ذا الرمة يقف بالمربد وعليه جماعة مجتمعة وهو قائم وعليه بردة قيمتها مائتا دينار وينشد ودموعه تجري على لحيته:

«ما بال عينيك منها الماء ينسكب»

وينشد كذلك بعض قصائده فيقف خياط فينقد شعره نقداً شديداً ويسخف بعض تشبيهاته فيمتنع ذو الرمة عن الذهاب إلى المربد حتى يموت الخياط[١].

ومن أطرف هذه الاحتكاكات الشعرية ما رواه الأغاني يقول:

ويوم أن كان أبو النجم يلقي أرجوزته في المربد وهي التي استهلها بقوله:

«تذكر القلب وجهلاً ما ذكر»

كان العجاج على ناقته يسمع ونفسه تحدثه بشر يصيبه وأخذ جمل أبي النجم يدنو من ناقة العجاج يتشممها والعجاج يتباعد عنه لئلا يفسد ثيابه الخز ورحله الثمين

---

(١) الاغاني ج ١٦ : ١١٨.

بالقطران. وما زال الجمل يقترب من الناقة والعجاج يتقهقر حتى أوصل أبو النجم في انشاده إلى قوله:

«شيطانه أنثى وشيطاني ذكر»

ثارت عاصفة من الضحك والاستحسان من كل صوب وضج بها المربد وتعلق الناس هذا البيت وهرب العجاج منزوياً عن المربد.

ومن هذا الوجه من وجوه المربد نراه ينتج أدباً غزيراً من نوع خاص في العصر الأموي وكاد هذا الشعر يكون إمتداداً للشعر الجاهلي لاتحاد الأسباب والبواعث[1].

فأما الشعر الغزلي كشعر ابن ربيعة وأمثاله فليس له كبير أثر في المربد ذلك لأنه فوق النزال والمهاجاة والمفاخرة.

«المربد في العصر العباسي»

امتدت حياة المربد إلى العصر العباسي ولكنه كان يؤدي غرضاً آخر غير الذي كان يؤديه في العصر الأموي. ذلك أن العصبية القبلية ضعفت في العصر العباسي لتسلط النفوذ الفارسي وأحس العرب بها في حالهم من خطر حيث أنهم أمة واحدة لا فرق بين قحطانيهم وعدنانيهم. والعنصر الفارسي يشتد كيده وغلبوا العرب على أمرهم.

وبدأ الناس في المدن كالبصرة يحيون حياة اجتماعية هي أقرب إلى الحياة الفارسية منها إلى الحياة العربية، وانصرف الخلفاء والأمراء عن مثل ذلك النزاع الذي كان يتمثل فيه جرير والفرزدق في العصر الأموي وظهرت العلوم لتزاحم الأدب والشعر وفشا اللحن بين أبناء العرب بسبب دهماء الموالي. فتحول المربد ليؤدي غرضاً آخر يتفق وهذه الحياة الجديدة. أصبح المربد يقصده الشعراء لا ليتهاجوا ولكن ليأخذوا عن أعراب

(١) أحمد أمين ـ مجلة الرسالة السنة الأولى.

المربد اللغة الفصحى وفرائدها وغريبها يحتذونهم وينسجون على منوالهم. ويخرج إلى المربد بشار وأبو نوّاس وأمثالهما. ويخرج إلى المربد علماء اللغة ليدونوا ما يسمعون.

روى أبو علي القالي في (الأمالي) عن الأصمعي قال: جئت إلى أبي عمرو ابن العلاء فقال لي: من أين أقبلت يا أصمعي؟ قال: جئت من المربد. قال: هات ما معك. فقرأت عليه ما كتبت في ألواحي فمرت به ستة أحرف لم يعرفها فخرج يعدو وقال شمرتَ في الغريب[1].

والنحويون يخرجون إلى المربد يستمعون من أهله ما يصحح قواعدهم ويؤيد مذاهبهم فقد اشتد الخلف بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة في النحو وتعصب كل لمذهبه وكان أكثر امداداً لمدرسة البصرة هو المربد.

يقول ياقوت: ان الجاحظ أخذ النحو عن الأخفش وأخذ الكلام عن النظّام وتلقف ثقافته من العرب شفاهاً بالمربد وبذلك يكون المربد مدرسة من نوع آخر[2].

لقد برز في المربد علماء ورواة كان لهم دورهم في الثقافة العربية والاسلامية. فقد نسب إلى المربد جماعة من الرواة منهم:

١ - سماك بن عطية المربدي البصري يروي عن الحسن البصري وأيوب. وروى عنه حماد بن زيد حديثه في الصحيحين.
٢ - وأبو الفضل عباس بن الربيع بن راشد مولى بني هاشم المربدي حدث عن عباس بن محمد وعبد الله بن محمد بن شاكر وحدث عن أبي المعز وذكر أنه سمع منه في مربد البصرة.
٣ - والقاضي أبو عمر. والقاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي البصري. قال السلفي كان ينزل المربد حدث عن أبيه وأبي علي محمد بن أحمد اللؤلؤي.
٤ - وعلي بن أسحق المازراني حدث عن أبي بكر الخطيب ووثّقه وتوفي في ذي القعدة سنة ٤١٣هـ.

---

(١) الطبري ج ٣ ص ١٩٠.

(٢) ياقوت: معجم الأدباء: ج ٤ : ١٦٨.

آخر الأخبار عن المربد:

في ثورة الزنج التي ظهرت في فرات البصرة التي بدأت سنة (٢٥٥هـ) حدث قتال بين جيش الخليفة والزنج فاحترق المربد.

روى الطبري قال:

يقول بن سمعان فاني يومئذٍ لفي المسجد الجامع إذ ارتفعت نيران ثلاث من ثلاثة أوجه. زهران والمربد وبني حرام في وقت واحد كأن موقديها على ميعاد. وحل الخطب وأيقن أهل البصرة بالهلاك وتوالت فيه الحرائق وعوتب شاعر البصرة أبو الحصين بن المثنى على أنه لم يقل شيئاً في حريق المربد مع أن المربد من أجلّ شوارعها وسوقه من اجلّ أسواقها فقال ارتجالاً في آخر حريق لها:

أتتكم شهود الهوى تشهد ... فما تستطيعون أن تجحدوا
فيا مربديون ناشدتكم ... على أنني منكم مجهد
جرى نفسي صاعداً نحوكم ... فمن أجله احترق المربد
وهاجت رياح حنيني لكم ... وظلت به ناركم توقد
ولولا دموعي جرت لم يكن ... حريقكم أبداً يخمد

ويذكر ابن الأثير في حوادث ٤٩٩هـ ان سيف الدولة صدقة بن يزيد تقاتل مع اسماعيل فنهب البصرة وغنم من معه من عرب البر ولم يسلم منها إلا المجاور لقبر طلحة (رض) والمربد. فان العباسيين دخلوا المدرسة النظامية وامتنعوا بها وحموا المربد وعمت المصيبة بأهل البلد سوى من ذكرنا.

ويقول ياقوت ان المربد كان سوقاً للابل ثم صار محلة عظيمة وهو الآن (عاش ياقوت حتى سنة ٦٢٦هـ) بائن عن البصرة بينهما نحو ثلاثة أميال وكان ما بين ذلك كله عامراً وهو الآن خراب. فصار المربد كالبلدة المفردة في وسط البرية. ثم عفا المربد وأثره ولم نجد له ذكراً. وأخنى الذي أخنى على عكاظ بعد أن ظل ستة قرون يخرج شعراً وأدباً ونقداً.

التاريخ يعيد نفسه في المربد

ونحن نؤرخ للمربد وقد دارت فيه أحداثه وأحاديثه في قرون سلفت فمن الجميل أن نعرج عليه وقد شاء له القدر أن يبتعث في القرن العشرين ليضطرب من جديد بروح جديدة ولترف عليه روح من سالف أيامه ولياليه الجميلات وقد دعت إليه أوساط عربية وأدبية في شتى البلاد العربية في عص تكالبت أعداء العرب على بلاد العرب ودعت الغـيرة على التراث أن تقوم الحكومة العراقية وهي حاميته ووارثته أن تنهض بالحمل فكانت الأمل المنتظر وتبنت مهرجانه.

وأقيم المهرجان الشعري في الزبير والبصرة وعلى أرض المربد وفيما يلي مختارات لهذا المهرجان في عامه الأول لسنة ١٩٧١.

«جلسة الافتتاح في أطلال البصرة القديمة»

[نص كلمة رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر ألقاها بالنيابة الأستاذ شفيق الكمالي وزير الاعلام ـ سابقاً :][١]

«رائع أن يلتقي أبناء العروبة، من حاملي مشعل الفكر وصانعي مجد الكلمة على أرض كانت منذ قرون رافداً ثراً. أغنى حضارتنا ومنحها عمقها وأصالتها وإنسانيتها فساهمت بذلك مساهمة فعالة في تطوير الفكر الانساني بما اتسمت به من سمات فذة بوأتها مكانة مرموقة كحضارة وارفة معطاء.

لقد كان الشعر ديوان هذه الأمة وما يزال حتى الآن يعيش في قلوب جماهيرها يهزها هزاً ينفعل معه وتنفعل به، وما ذلك إلا لأنه جذر أصيل من جذور حضارتنا يعبر عنها وعن فلسفتها.

---

(١) مهرجان المربد الشعري لعام ١٩٧١ وزارة الاعلام بغداد.

كان الشعر وما يزال ديوان هذه الأمة مع اختلاف يفرضه منطق التاريخ في النظرة الى هذا الشعر من حيث وظيفته ومهمة صاحبه.

فما عاد الشاعر لسان قبيلة أو نديم سلطان بل لسان أمة وصاحب قضية تتحدد مهماته في مواقف واعية تفرض نفسها على الظروف لتغيرها.

أيها الأعـــزاء:

ان المربد ليس ذكرى، ان المربد هو حضور الانسان العربي في القرن العشرين وهو توكيد على أن الانسان العربي قادر بما يرفده من حضارة مدت جناحيها بأمومة رؤوم لتحتضن العالم كله ليقف هنا في المربد في عناق جديد بين المحيط والخليج ليشهد على نفسه بأنه حضور دائم وبأنه إرادة دائمة على لسان رسل الحرف فيه، في توكيد انسانية الحضارة العربية وغناها وإصرارها على البقاء والتجدد.

تحية للأدباء العرب في مهرجان الشعر والسلام عليكم».

نماذج من شعر المربد الحديث:

وهذه قطعة من قصيدة في الشعر الحر للشاعر أحمد عبد المعطي حجازي عنوانها البحر والبركان.

وقد قدم لها بهذه الديباجة: «هذه القصيدة محاولة رافقت سيرتها فلاحاً مصرياً شاباً منذ خرج من قريته لأول مرة إلى أن استشهد في جزيرة (شدوان)»:

شـــدوان!
صوت البحر يأتي من بعيد وارتعاشات النجوم على المياه.
يتواثب اللمعان في نغم يشب ويختفي ويرف طير لا نراه.
يتوالد الزبد المفضض في سباق المد.

ثم تخور فورته حسيرة .
ويتم مصباح الفنارة دورة أخرى .
ويبدأ من جديد .
وصفير غليون يلوح من بعيد . . للجزيرة !

وهذه قصيدة من العمود للشاعر مصطفى جمال الدين .

ظمىء المربد فأهطلي يا سماء ... بح من ضارع الحقول النداء
وظلال النخيل ما عاد يختال ... بنشوى ضفافها الندماء
غرقت في فم الخليج فضاعت ... في خوابي اجاجها الصهباء
أين منها أبو نوّاس وبشار ... وجيل من حوله ظرفاء
مرحباً قد بلغتم دارنا الأولى ... وحنت لأهلها (الفيحاء)
وانتشى خاطر الفرزدق إذ عا ... دت إليه نواره الحسناء
وتلقاكم جرير بسرب ... من قوافيه كلهن وضاء
وتناسى الخليل في نشوة اللقيا ... عتاباً طغىٰ عليه الوفاء
فانبرى يوسع الطريق لجيل ... عبثوا في عروضه كيف شاءوا
نحن سمار مربدين سهرنا ... والدجى من ضحاهما وضاء
رنحتنا عليهما اكؤس ذابت ... شمولاً بصفوها الشعراء
يشهد النخل والضفاف ورمل ... لوحت حر وجهه الرمضاء
وغدير صاف تقلب في أيدي ... الأعاصير وهو ذاك الرواء

ونحن تسميح الشاعر إذ اجتزأنا من قصيدته التي تربو على خمسين بيتاً كلها جيد هذه الباقة وعسى ان تدل على روح الشاعر الشاب العربي الذي كسب احترام المؤتمر بالرغم من أن شعار المهرجان (المحتوى) أولاً . على أن جمال الدين اعترف بأصالة القصيدة والشاعر سواء كان من أنصار الشعر الحر أو الشعر القديم وهو الذي قال في قصيدته نفسها :

يولد الشعر كيف شاء وتبقى ... الخمر خمراً مهما استجد الاناء

نقـاد المربـد:

ولعل خير من ألقى الأضواء على جو المهرجان هو ناقد الجلسة الأديب القاص سهيل إدريس .. ونحن نثبت بعض ما يناسب المقام. يقول:

«ولعل هذا المهرجان الذي يقام هنا اعتراف من المربد القديم بالمربد الجديد وتكريس له وإقرار باستمرارية الشعر العربي وضرورة تطويره ليظل قادراً على حمل هموم هذا الشعب والتعبير عن شواغله والاسهام في بناء حضارته الجديدة على أسس من المعاصرة والحداثة والتقدم.

وإذا كنا من الذين يدعون إلى تبني القصيدة الجديدة فهذا لا يعني إطلاقاً أننا ننكر دور القصيدة التقليدية في بناء صرح الشعر العربي المبدع الخلاق سواء أكان قصيدة جديدة أم قصيدة تقليدية.

على أن هذا لا يعني بحال من الأحوال أن تكون القصيدة قد استكملت عدتها استكمالاً تاماً. فالواقع أنها لا تزال تتعثر وتكبو ولا تزال قصيدتنا الحديثة السن رقيقة العود إذا قيس ربع القرن الذي عاشته بالقرون الطوال التي مرت على الشعر العربي، ومع ذلك فأحب هنا أن أشير إلى آفة خطيرة بدأت تزحف على قصيدتنا العربية الجديدة يجب أن نستدركها قبل أن يستفحل شرها وقبل أن تعوق تقدمها ان لم تقض عليها تماماً.

هذه الآفة التعقيد المفتعل وطلب الأغراب.

وهذه كلمة ناقد آخر هو «شريف الراس» يقول:

أيها السادة:

لقد ثبت بالوجه الشرعي أن هذا ليس شِعراً .. وان كان ثم من يصر على أنه شعر، اذن فلنعترف أنه شعر عصر انحطاط الانحطاط.

دعونا مما حظى بعضكم بسماعه من أفواه مبدعيه أمس واليوم فقد قيل لنا أنه شعر يقرأ ولا ينطق مثل الكتابة المسمارية . . دعونا من ذلك ولننظر فيما اكتشفته الصدفة أمس .

لقد اكتشفت أن أكثر قصائد الشعر الحديث التي يقرأها الانسان من أولها إلى آخرها فلا يفهم شيئاً، يمكن أن يقرأها من آخرها إلى أولها فلا يفهم شيئاً .

لأنك ان قلت العنقاء طويلة والعنقاء قصيرة لم يتغير عليك شيء إذ أن العنقاء أصلاً غير موجودة . ثم أنه لا يصيب الشاعر التقليدي بل ربما من مفاخره انه كان يستطيع أن يشحن في بيت واحد ما يعجز شعراء اللهاة عن شحنه في ثلاث صفحات من حكي سائب .

إذاً فما الذي يمنعنا بأن نعترف بأن البيت الواحد في القصيدة الرائعة التقليدية هو بحد ذاته قصيدة كاملة . وإذا كان الشعراء المحدثون يصرون على عداوة (وحدة البيت) ويصرون على (وحدة القصيدة) ويلحون على أن القصيدة كائن حي متكامل متوحد لا يمكن انتزاع كلمة منه فما هو ذلك الكائن الحي الذي يمشي على رأسه حين يمكنك أن تقرأه بالمقلوب؟ .

أمس سمعنا أشعاراً للدكتور «رفقة» جعلتنا نتصور لكثرة حديثة عن الحجارة، أننا في مقلع ولكن مقلع ميتافيزيقي . فإذا أبحنا للميتالفيزيقي والأنطولوجيا والطوبوغرافيا أن ترتدي ثوب الشعر فلماذا لا نعترف بأشعار الدراويش تكايا المتصوفة ولماذا لا نجل الفية ابن مالك؟

وأمس أيضاً سمعنا كلاماً لطيفاً للأخ «حسب الشيخ جعفر» جعلنا نحس بحالة من الهذيان ـ أنا شخصياً تصورت أنني أركب خلفه على موقد سيكل صاروخي السرعة لولبي الاتجاهات يسير بنا في سوق الخضرة إلى بائع الأحذية إلى الآثار الأشورية إلى المواخير إلى القطارات إلى الطائرات إلى بائع الأحذية مرة أخرى . كل ذلك والصاروخ

يتجاوز بسرعته كل ما في طريقه حتى الآلة اصطدم به صاروخنا مرة أثناء القصيدة التي خرجنا منها وكأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا[1].

أين هذا مما سمعناه بالأمس من الجواهري والحجازي وأين هذا مما جئنا لنسمعه في الغد من أبي ريشة والفيتوري.

وقبل أن أختتم كلمتي اسمحوا أن ألخص وجهة نظر قراء الشعر بالنقاط التالية:

١ - لأننا لا نؤمن بأنه لا إبداع بلا حرية، لا نقف ضد الشعر الحديث، بل نقف ضد الذين أغرتهم سهولة الاشكال الخارجية للقصيدة الحديثة فراحوا يكتبون كيفما كان.

٢ - ليس من الضروري أن تحدثنا في قصيدتك عن السيف والبندقية والقتال لتكون حادي الأمة في تطلعها نحو التطهر والانبعاث فأنت حين تكون شاعراً أصيلاً وجئتنا حتى بقصيدة غزل تكون واحداً من العاملين على إنبعاثنا .. المهم أن تكون قصيدتك شعراً بأي شكل صنعته. أنت حر.

٣ - مسألة الغموض التي ارتبطت بالشعر الحديث لا تعني أنني أطلب من الشاعر أن يعطينا كلاماً تقريراً واضحاً فالشعر رموز والرموز تكون رموزاً لأنها محاطة بهالة من الغموض السحري الابداعي الخاص .. لكن ثمة فرق كبير بين غموض البلاغة الضروري والبديع وبين غموض العجز والضعف والتلفيق.

٤ - منكم يا شعراء الموجة الحديثة، منكم نطلب عملية تنقية كبرى. وما لم تقوموا بهذه الحركة التطهيرية التي آن أوانها فإن باب الشعر الحديث يظل باغراءات سهولته مشرعاً أمام أي كان.

---

(١) لشدة ضيق هذا الأديب الفاضل في نقده للشعر الحر ان طاش سهمه وفقد حلمه ولو اقتصر كان أوفى وأتقى.

ومن الجميل أن نقدم نموذجاً من قصيدة الشاعر «رفعة» التي أشار إليها الناقد «الراس»:

فك رمز الغيب قل شيئاً لنا
أيها العراق
يا محمرة الليل الكبير
من بلاد الشرق
من صحرائها الكبرى أتينا
نقرع الباب عسى أن يبرق صوت
نبوي
دافىء النبرة يقصى
خنجر الموت الضريرة

• • •

سنوات الجوع تمضي
سنوات خلفها يظهر نجم
عالق بالغيب يجتاز المهاوي
للبحار الزرق للأسفار
للضوء على الشط الأخير

• • •

راية الأجراس من بردى . إلى الصبح النضير
يا رفيقي
أيها الساهر في الكهف العميق
بين عينيك رؤى غيب الطرق
بعد حين
يطلع النجم ويأتي
بالمسافات التي يعبرها

خلف سور العتبة
لمدى يرقع عنا حجبه

● ● ●

في هضبة الجولان كانت لنا
يمامة تطير
تسألني يا سيدي
من أي تاريخ أنا أتيت
من كتف الجولان من قبيلة هناك
تحب لون الأرض
ثمارها
ونجمة كبيرة
تحب عند الضفة الأخيرة
تحب ما تجهله عيناك
منها أنا أتيت
من حفرة موشومة بالرفض

● ● ●

ان أغنيك يا دمشق وأبقى
لأراضيك خيمة وحصيرة
ان أسوي لك من هيكل العذاب خميرة
في يد الكائنات تهز، تهدي للصبا يا ظلالها.

واتماماً للفائدة فلا بد أن نورد نموذجاً لوقائع احدى جلسات المربد الشعري. ففيما يلي وقائع الجلسة الختامية من العدد التاسع لجريدة المربد في ١٩٧١/٤/٦ قدم عريف الحفل السيد إبراهيم الزبيدي الأديب القاص «موسى كريدي» للتعريف بشعراء الجلسة.

بعد ذلك ألقى الشاعر اللبناني الدكتور خليل حاوي العديد من قصائده نقتطف هذا المقطع من قصيدته «الأم الحزينة» التي كتبت بعد الخامس من حزيران:

يا لثقل العار حملته وحدي
وهل وحدي ترى كفنت وجهي
بالرماد

الجنازات التي يحملها الصبح
تدوي في جنازات السهاد
الجباه انطفأت وانطفأ السيف
وأضواء البروج

ليس في الأفق سوى دخنة
فحم

ثم أعلن العريف عن قصيدة الشاعر السوري خليل الخوري التي عنوانها المجزرة وهي ملحمة شعرية.

ثم ألقى الشاعر سامي مهدي قصيدتين هما «الغائب» و (أبي كان يأتي عشاءً».

أما الشاعر يوسف الصائغ فقد ألقى قصيدة ملحمية طويلة بعنوان: «اعترافات مالك بن الريب».

ثم ألقى الشاعر الفلسطيني عز الدين الناصر قصيدته الطويلة: «أضاعوني». وقصيدة «قصائد مجروحة إلى السيدة ميجنة».

أما الشاعر العراقي المغترب بلند الحيدري فقد حيًّا المهرجان بمختارات من شعره اختتمها بقصيدة عمودية عنوانها «تحية للمربد».

ثم ألقى الشاعر إبراهيم الوائلي قصيدة عمودية بعنوان «بعد ثلاثين عاماً».

وتأتي في الختام قصيدة الشاعر محمد راضي جعفر التي عنوانها «البصرة والحرف والحب» نقتطف منها هذه الأبيات:

انـي مـلأت مضيئـة أكـوابـي ... فثبـي نـدى حلـم علـى أهـدابي
ماضـر لـو نهـب الحـيـاة لسـاعـة ... حمراء تشـعـل رغـبـة الاصـلاب
نـرد المـدى المـخـبـوء نكسـره علـى ... حلـم يذيـب وجـودنـا خـلاب

وبعد أن ألقى السادة الشعراء قصائدهم تعرف الجمهور على نقاد الجلسة السيدين صدقي إسماعيل ـ سوريا ـ ونديم نعيمة ـ لبنان.

وفيما يلي بعض ممن حضر المربد من السادة الشعراء والنقاد والأدباء والكتاب غير الذين ألمعنا إليهم[1]:

محمد مهدي الجواهري رئيس اتحاد الأدباء في العراق ـ الدكتور عبد المجيد الرافعي ـ والشاعر القروي رشيد سليم الخوري ـ الدكتورة طلعت الرفاعي ـ سوريا ـ جبرا إبراهيم جبرا ـ الدكتور داود سلوم ـ الدكتور محمد الوهبي ـ شفيق الكمالي ـ عبد الرحمن الرماح ـ الزبير ـ محمود البريكان ـ الزبير ـ زكي الجابر ـ البصرة ـ محمد دكروب ـ ضياء العزادي ـ علي الشوك ـ أبو العبد دودو ـ خمير سعيد ـ خالد علي مصطفى ـ فلسطين ـ سعدي يوسف ـ البصرة ـ يوسف يعقوب حداد ـ البصرة ـ طراد الكبيسي ـ الدكتور رزوق فرج رزوق ـ سليمان العيسى ـ حميد المطبعي ـ محمد سعيد الصكار ـ الدكتور علي جواد الطاهر ـ خليل العطية ـ هاشم النعيمي ـ محمد الجزائري ـ هاشم الطعان ـ كاظم نعمة التميمي ـ الدكتور جاك بيرك ـ ماجد السامرائي ـ لميعة عباس عمارة ـ عبد الرزاق حسين ـ محمود عبد الوهاب ـ الدكتور عبد المنعم الزبيدي ـ الدكتور حسن البياتي ـ يعرب السعيدي ـ إحسان السامرائي ـ عبد الجبار البصري ـ محمود الظاهر ـ كاظم الحجاج ـ عبد الكريم راضي جعفر ـ محمد صالح عبد الرضا ـ فريد الظاهر ـ علي الحلي ـ صدقي إسماعيل ـ خضير عبد الأمير ـ صبري حافظ ـ محمود درويش ـ حسين عبد اللطيف ـ حسب الشيخ ـ محمد جميل شلش ـ ميشال سليمان ـ لبنان ـ عبد القادر القط ـ مصر علي الجندي ـ سوريا ـ نعمان ماهر الكنعاني ـ فؤاد الخشن ـ لبنان ـ صالح الظالمي ـ العراق آمال الزهاوي ـ العراق ـ علوي الهاشمي ـ البحرين ـ مالك

---

(١) ان من ذكرنا من أسماء الأفاضل الأدباء والشعراء والضيوف انما هو على سبيل الشمول لا الحصر. وكذا أمر التقديم والتأخير، وذكر البلد أو عدمه أو اللقب نسوق اعتذارنا.

المطلبي ـ العراق ـ عبد الرزاق الحسني ـ عبد الرزاق عبد الواحد ـ نزار قباني ـ عبد الأمير معلة ـ الدكتور علي أحمد الزبيري ـ عمر أبو ريشة ـ إحسان وفيق السامرائي ـ علي صدقي عبد القادر ـ صلاح أحمد إبراهيم .

البيـــان الختامـــي (*)

ونختم مهرجان المربد الشعري في عامه الأول لسنة ١٩٧١ بالبيان الذي صدر من لجنة إعداد المهرجان والتي هي صوت (الاعلام):

ان مربـدنـا الجديد تواصل لا ردة. دعوة إلى الأصالة من أجل تحقيق أقصى ما نستطيع من معاصرة.

وبهذا الفهم لم يكن غريباً أن يبدأ الجديد أولى دوراته بتبني القصيدة العربية الجديدة شكلاً ومضموناً.

ان المهرجان وان فتح باب التراث المهيب للقصيدة الجديدة فهو لا يرفض القصيدة التقليدية من ناحية المبدأ وان كان ينتظر منها أن تحشد امكاناتها لتعيش في العصر حياة خلاقة.

ان الصراع بين الأجيال طبيعي كذلك تكامل الأجيال. وقد أثبت المهرجان تكامل هذه الأجيال برغم ما يدور بينها من صراع عنيف.

وإذا كنـا في هذا المهـرجان نعود فنستحضر إلى الذاكرة والطرس ما قدمه (المربد الأول) وشيوخه الاعلام لحضارتنا العربية وللحضارة الانسانية كافة، فنحن في الوقت ذاته نعي ما قدمه العالم المتحضر لجيلنا وللحضارة العربية كلها، إننا نرى الآن أن إحياء الحضارة العربية وطلب مساهمتها في حضارة العصر لم يعد هماً من همومنا نحن العرب فحسب، بل أصبح هماً من هموم العالم كذلك. وقد يكون التعبير عن هذا الاهتمام العالمي بالحضارة العربية الجديدة محدوداً لكنه اهتمام جاد ونشط. وإذا كان تاريخ الشعر والفن عامـة يعلمنا أن كل شاعر مجيد هو بالضرورة شاعر ملتزم، فنحن وقد دخلنا

(*) إجتزأنا من البيان ما فيه الابانة.

مرحلة التفتح والانطلاق مطمئنون للدور الذي سيلعبه الشاعر العربي في الحياة، لو لم للشعر العربي في هذه المرحلة إلا أنه أصبح عنواناً صارخاً على وجودنا المضطهد في فلسطين المحتلة لكفاه دليلاً على إلتزامه بمسؤوليته على الرغم من الاضطهاد.

وإذا كنا نعلق على المربد الجديد كل هذه الآمال ونراه منطلقاً لهذا الازدهار فنحن نرى من واجبنا أن نتقدم بالاقتراحات التالية آملين أن تتحقق في الدورة القادمة للمهرجان:

أولاً: إنطلاقاً من النجاح الذي حققه المربد الجديد في دورته الأولى وطلباً لنجاح أكبر في تمثيل المهرجان لواقع الشعر العربي نوصي بإنشاء مكتب دائم في العراق للمهرجان على أن تعلن له لجنة استشارية من أدباء العرب.

ثانياً: يتولى هذا المكتب الدائم اعداد ثبت سنوي «ببليوجرافيا» لحركة الشعر العربي تكون دليلاً يهتدي به القائمون على المهرجان في الدعوة إليه وفي إقتراح المسائل التي يناقشها.

ثالثاً: تحقيق أكبر مشاركة في المهرجان من الشعراء العرب الموجودين على اختلاف أقطارهم من المشرق والمغرب.

إنتهى البيان الختامي

ولنا أن نضيف إلى ما تقدم من إقتراحات، واتماماً للقصد إقتراحات هنا:

أولاً: تأكيداً للربط بين المربدين (قديمه وجديده) نرى أن تظل روح المربد القديم لا تزايل روح المربد الجديد، وأن يستوحي الشعراء ذلك ويكون هذا من عنصر المشاركة وتأكيداً (للوجدانية).

ثانياً: أن تقدم بحوث في تراث المربد القديم وما قدم للحضارة الانسانية فمن لا جذور له فأحر أن لا يبقى مع الدهر ومن لا تاريخ له فهو غير مسؤول.

ثالثاً: الشعور العربي نزّاع بأصالته إلى أن يقدم المزيد لكل ما هو خير للانسانية، وفيما يخص الأدب، والشعر بوجه أخص أن يشيع السرور ويزرع الأمل في قلوب قارئيه وسامعيه. وموسيقية الشعر العربي تكمن في اساغته شعورياً وتوقيعياً. وبحور الخليل سر تلك الموسيقية والعذوبة وما تعلُّقُ أذواقنا بشعر الجاهلين وشعراء المربد في العصور العربية إلا لأنه يكرس هذا المنحنى ويؤكده، وكل شعر لا يلتزم هذه المعاني فهو كلال متعب. فلنخش الله في نفوس تطرب إلى الشعر وتعتده غذاءها. والله من وراء القصد.

فهرست الجزء الرابع (الزبير التاريخية)

تابع فهرست الجزء الرابع «الزبير التاريخية»

تابع فهرست الجزء الرابع «الزبير التاريخية»

تابع فهرست الجزء الرابع «الزبير التاريخية»

تابع فهرست الجزء الرابع «الزبير التاريخية»

فهرست الصور والخرائط للجزء الرابع

تابع فهرست الصور والخرائط للجزء الرابع